1041

الكشاف

١

الزمخشري

الكشاف (الأول)

زمخشري

طال ما دفع إلى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه. ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية كلما رجعوا إلي في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقاً إلى مصنف يضم أطرافاً من ذلك حتى اجتمعوا إلي مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل فاستعفيت فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء على علمي أنهم طلبوا ما الإجابة إليه علي واجبة لأن الخوض فيه كفرض العين ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم فضلاً أن تترقى إلى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فأمليت عليهم مسألة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاماً مبسوطاً كثير السؤال والجواب طويل الذيول والأذناب وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وأن يكون لهم مناراً ينتحونه ومثالاً يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والإناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من أهلها وقليل ما هم عطشى الأكباد إلى العثور على ذلك المملى متطلعين إلى إيناسه حراصاً على اقتباسه فهز ما رأيت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة إذا أنا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الأمير الشريف الإمام شرف آل رسول الله أبي الحسن علي بن حمزة بن وهاس أدام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم أعطش الناس كبداً وألهبهم حشاً وأوفاهم رغبة حتى ذكر أنه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاد بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل إلى إصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستقالة وعيت به العلة ورأيتني قد أخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فأخذت في طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة وما هي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة أفيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم أسأل الله أن يجعل ما تعبت فيه منه سبباً ينجيني ونوراً على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسؤول

سورة الفاتحة مكية وقيل مكية ومدنية لأنها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى وتسمى أم القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو أهله ومن التعبد بالأمر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لأنها تثنى في كل ركعة وسورة الصلاة لأنها تكون فاضلة أو مجزئة بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من عد أنعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه العكس

بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل أمر ذي بال وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد أثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله فإن قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو لأن الذي يتلو التسمية مقروء كما أن المسافر إذا حل أو ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله أرتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمراً ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع آيات إلى فرعون وقومه أي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الأعرابي باليمن والبركة بمعنى أعرست أو نكحت ومنه قوله

فقلت إلى الطعام فقال منهم ... فريق يحسد الإنس الطعاما

فإن قلت لم قدرت المحذوف متأخراً قلت لأن الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لأنهم كانوا يبدؤون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله إياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم إرادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها فإن قلت فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل أوقع لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم فإن قلت ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة قلت فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى أن المؤمن لما اعتقد أن فعله لا يجيء معتداً به في الشرع واقعاً على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه السلام كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر وإلا كان فعلاً كلا فعل جعل فعله مفعولاً باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني أن يتعلق بها تعلق الدهن بالإنبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركاً باسم الله أقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه أعرست ملتبساً بالرفاء والبنين وهذا الوجه أعرب وأحسن فإن قلت فكيف قال الله تعالى متبركاً باسم الله أقرأ قلت هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك قوله الحمد لله رب العالمين إلى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فإن قلت من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء وأما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم أحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن إذ كان دأبهم أن يبتدؤوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة وإذا وقعت في الدرج لم تفتقر إلى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال

باسم الذي في كل سورة سمه

وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه

اسما وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل
للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى فان قلت فلم حذفت
الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتدا الذي
عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت البا تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز
انه قال لكاتبه طول البا واظهر السينات ودور الميم والله اصله الاله قال معاذ الاله ان تكون
كظبية ونظيره الناس اصله اناس قال ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا فحذفت الهمزة وعوض
منها حرف التعريف ولذلك قيل في الندا يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسما الاجناس كالرجل
والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب
ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما
الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تاله واله واستاله
كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فان قلت ااسم هو ام صفة قلت بل
اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شي اله كما لا تقول شي رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول
رجل كريم خير وايضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير
جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق
ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته
دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن
ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح فان قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد
ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر
والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض
وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والاخرة
ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البنا لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو
الممتلي غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف
ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطايف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي
فقال اليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بنا الاسم لزيادة المسمى
وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله تعالى كما
ان الله من الاسما الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه
وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم فان قلت كيف تقول الله
رحمن اتصرفه ام لا قلت اقيسه على اخواته من بابه اعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا
اصرفه فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر
ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ان يكون له مونث على فعلى كعطشى
فقد حظر ان يكون له مونث على فعلانة كندمانة فاذن لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص العارض
فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظايره فان قلت ما معنى وصف الله
بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه
على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه
اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت فلم قدم ما هو
ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير
وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلايل النعم وعظايمها واصولها اردفه
الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف **الحمد** والمدح اخوان وهو الثنا والندا
على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى
النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال افادتكم النعما مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله
عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثنا على موليها اشيع لها وادل على
مكانها من الاعتقاد وادب الجوارح لخفا عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل
اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه
الكفران وارتفاع الحمد بالابتدا وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراة بعضهم
باضمار فعله على انه من المصادر التي ينصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا
وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك
لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتدا للدلالة
على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على
ان ابراهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون
تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم
له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو
التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو
والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرا الحسن
البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرا ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها
الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة
تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القرااتين قراة ابراهيم حيث
جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراة الحسن **الرب** المالك ومنه قول
صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو
رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم
يطلقوا الرب الا في الله وحده وفي غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله
تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرا زيد بن علي رضي الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح
وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين **العالم** اسم لذوي العلم من الملايكة

والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل
جنس مما سمي به فان قلت فهو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلا او ما في حكمها
من الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم **وقرى ملك يوم الدين**
ومالك وملك بتخفيف اللام وقرا ابو حنيفة ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرا ابو هريرة
رضي الله عنه مالك بالنصب وقرا غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرا مالك بالرفع وملك هو الاختيار
لانه قراة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص **ويوم
الدين** يوم الجزا ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
فان قلت ما هذه الاضافة قلت هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به
كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله
لمن الملك اليوم فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ
وقوعه صفة للمعرفة قلت انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان
في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس
او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى
في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى
اصحاب الاعراف والدليل عليه قراة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله
سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شي من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها
الظاهرة والباطنة والجلايل والدقايق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب
بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته
لم يكن احد احق منه بالحمد والثنا عليه بما هو اهله **ايا** ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من
الكاف والها واليا في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب
كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسما مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه
الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشي شاذ لا يعمل عليه وتقديم المفعول
لقصد الاختصاص كقوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة
ونخصك بطلب المعونة وقرى اياك بتخفيف اليا واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة ها
قال طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة
اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم
تستعمل الا في الخضوع لله لانه مولي اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل
عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب
ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله
والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات
تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العاير الارمد
وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان
الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغا اليه
من اجرايه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوايد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق
بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثنا وغاية الخضوع
والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته
نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك
التميز الذي لا تحق العبادة الا به فان قلت لم قرنت العبادة بالاستعانة قلت ليجمع بين ما
يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة
على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت
لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على
ادا العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا
الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض **وقرا** ابن حبيش نستعين
بكسر النون **هدى** اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وانك
لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية
وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعا واحدة لان كل
واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرا عبد الله ارشدنا **السراط** الجادة من سرط الشي اذا ابتلعه
لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم **والصراط** من قلب السين صادا لاجل الطا
كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرى بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد
وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويونث كالطريق والسبيل
والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم
تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا
لمن امن منهم فان قلت ما فايدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فايدته
التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون
ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم
فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك
ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم
والفضل فكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير
مدافع ولا منازع **والذين انعمت عليهم هم المومنون** واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه
بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم
الانبيا وقرا ابن مسعود صراط من انعمت عليهم **غير المغضوب عليهم** بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم
عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان

وبين الضلالة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمر بن الخطاب وروت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى وعليهم الثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قرآ وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني ولا الضألين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وآله كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عليه السلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را با اسماء لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب تقول هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم عمدت الى تأدية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسابها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على وسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص فما يرجع الى التسمية بتلك لا تبين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في يس وامالة الياء انهم قالوا يا زيد في التهجي فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا لا وما من الحروف من اجل الياء فلان يميلوا الاسم الذي هو يا اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها فان قلت من اي قبيل هي من الاسماء أمعربة ام مبنية قلت بل اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخالف ما نحاولنا من قولك انه موقوف فاذا اعطيها الاعراب قلت هذا التخيل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في ان قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان قلت قد تبين انها اسماء لحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكونها سكون وقف لا بناء فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور قلت فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكر ما في حروف التهجي بباب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتأتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم يتأتى فيها ان يفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن ابي اوفى العبسي

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم

فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث والحكاية ان تجيء بالقول على استفصاحه الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأ

سورة انزلناها قال وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال آخر تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي وروي منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلامهم يقول رايت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من اين يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات قلت الوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرأ يس ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة الا رب من قلبي له الله ناصح وقال الآخر فذاك امانة الله الثريد قلت ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال لانه لو كان ذلك لم يجز الا على تخفيف لو كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الاخيرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو هذا والاسباب فيما نحن بصدده ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحركات الوقف لما استمرت هذه الاسامي سواكن الا ترى كيف ما اجتمع في اخرها ساكنان من الحسنيات فعوملت تارة معاملة الآن وتارة معاملة هؤلاء فان قلت هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من ارادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وجل حم والكتاب المبين كانك قلت اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه واما قوله صلى الله عليه وآله وسلم حم لا ينصرون فيصلح ان يكون منصوبا بالجر والنصب جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة قلت كأن المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز من قائل قرآنا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه والوجه الثاني ان تكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تتظاهر بجزهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزلة ولنا ضرب على الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم يتجاوزوا ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلاثة اسماء واربعة وخمسة والقول بانها اسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترضت عليه بانه قولك يقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده اجابك بانه لا يخلو سوى ما نزلت به وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السماوات والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصائد وهذه السور والآي وانما تعني رواية القصائد التي هذه استهلالها وتلاوة السور والآي التي تلك فواتحها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق وبيت شعر وبا هكذا سيبويه سمي التسمية بالجملة والبيت من الشعر ويربأ التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم دالة على المعنى لا تقاطعه على تحقيق ذلك واما التسمية بالسورة كلها فالتحقيق فيه ليس بتصيير الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية مؤلف بمؤلف عدة والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال الله عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها

من احد **واعلم** انك اذا تاملت ما اورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم **ثم اذا نظرت** في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء **ثم اذا استقريت الكلم** وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكان الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وال عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت باجمعها في اول القران وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القران مطلوبا به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تادية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والاخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل اية سلك ولذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح اية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فاية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص اية والمر لم تعد اية والر ليست باية في سورها الخمس وطسم اية في سورتيها وطه ويس ايتان وطس ليست باية وحم اية في سورها كلها وحم عسق ايتان وكهيعص اية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد اية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها اية فان قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة اية قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها ايتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز قائلا الم الله اي هذه الم ثم ابتدا فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلاثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتداة وللمفردات المعددة فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه **ذلك الكتاب** الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معنى السورة ومثله قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني

نبئت نعمى على الهجران عاتبة … سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري

فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم مبتدا وذلك مبتدا ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال

هم القوم كل القوم يا ام خالد

وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدا محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرا عبد الله الم تنزيل الكتاب **لا ريب فيه** وتاليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي عليهما السلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب

فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا اخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة **وقرا** ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه **والوقف** على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه **هدى** الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى **للمتقين** والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه اخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القران واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده **والمتقي** في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ضلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر **ومحل هدى** الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة براسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متاخية اخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفي عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه **الذين يؤمنون** اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين واما مقتطع عن المتقين مرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان مقتطعا كان وقفا تاما فان قلت ما هذه الصفة اواردة بيانا وكشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا قلت يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الا ترى كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف اخواته ان يقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان لا ترد على طريق البيان للمتقين وتكون صفة براسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات **والايمان** افعال من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب والمخالفة واما تعديته

بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما وثقت
فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة وكلا الوجهين حسن في يومنون **بالغيب** اي
يعترفون به او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يومنون
غائبين عن المومن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم
اخنه بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وايمانهم
فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما امن مومن افضل من ايمان بغيب
ثم قرا هذه الاية فان قلت فما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته
صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشي غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة
قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن [illegible]
[illegible] كلا ها ريد بالغيب الخميصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت
الدابة فخفت واما ان يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل واصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ
فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان
يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب
والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة فان قلت ما الايمان الصحيح قلت
ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن
اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق **ومعنى اقامة الصلوة** تعديل اركانها وحفظها
من ان يقع زيغ في فرايضها وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال
عز وعلا الذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت
واقامها قال • اقامت غزالة سوق الضراب • لاهل العراقين حولا قميطا • لانها اذا حوفظ عليها
كانت كالنافق الذي تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت واضيعت
كانت كالشي الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور
عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا
تقاعس وتثبط او اداؤها عبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت
والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من
المستحسن **والصلوة** فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى
حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طاطا راسه
وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها
في تخشعه بالراكع والساجد **واسناد الرزق** الى نفسه للاعلام بانهم **ينفقون** الحلال
الطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا
عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون
بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز ان يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة
وشقيقتها وهي الصلوة وان تراد هي وغيرها من النفقات في سبيل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول
كل منفق وانفق الشي وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشي ونفد واحد وكل ما جاء مما
فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تاملت فان قلت **والذين يومنون**
اهم غير الاولين ام هم الاولون وانما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات كقولك هو الشجاع
والجواد وفي قوله • الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم • وقوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب • قلت يحتمل ان يراد بهولاء مومنوا اهل
الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين امنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند
الله وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشاة الاخرى واعادة الارواح في
الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب
مجراها في الدنيا ودفعه اخرون وزعموا انه انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل نما الاجسام ولمكان
التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع
اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان
يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه فان قلت
فاذا اريد بهولاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا قلت ان عطفتهم على الذين يومنون بالغيب
دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الفريقين من مومني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على
المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يومنون **بما انزل اليك** فان قلت
قوله بما انزل اليك ان عني به القران باسره والشريعة عن اخرها فلم يكن كله منزلا وقت ايمانهم
فكيف قيل انزل بلفظ المضي وان اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض
المنزل واشتمال الايمان على الجميع سائقه ومترقبه واجب قلت المراد المنزل كله وانما عبر
عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب
والمخاطب على الغايب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه
منتظر النزول جعل كان كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك
كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشي الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون
الاتي لكونه معقود الصفة بعض ومربوطا اتيه بماضيه **وقرا** يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل
من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الاخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا
عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من امن
بما انزل اليك وما انزل من قبلك **والايقان** ايقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه **والاخرة**
تانيث الاخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الاخرة وهي من الصفات الغالبة
وكذلك الدنيا وعن **نافع** انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض **وقرا**
ابو حية النميري يوقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كانها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت همزة

لحب المؤقدان الي مؤسى • وجعدة اذ اضاءهما الوقود • **اولئك على هدى** الجملة في محل الرفع ان كان
الذين يومنون بالغيب مبتدا والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين
يومنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستيناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون
بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يومنون
الى ساقته كانه جواب لهذا السوال المقدر وجي بصفة المتقين المنطوي تحتها خصايصهم
التي استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هولاء عقايدهم
واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله الانصار الذين قارعوا دونه
وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل المحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستيناف على اولئك
كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد
ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا **واعلم** ان هذا النوع من الاستيناف يجي تارة
باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته
كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة احسن
وابلغ لانطوايها على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين
وان يرتفع الثاني على الابتدا واولئك خبره قلت نعم على ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا
باهل الكتاب الذين لم يومنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم ظانون انهم على الهدى
وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه
فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم • ولله صعلوك •
ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله • فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه • وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما •
ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت
حالهم بحال من اعتلى الشي وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل
الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى **من ربهم** اي منحوه من عنده واوتوه
من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى
ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت
رجلا وقال الهذلي • فلا وابي الطير المربة بالضحى • على خالد لقد وقعت على لحم • **والنون** في من ربهم ادغمت
بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها
الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة
بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو
انفردت كفت مميزة على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله اولئك كالانعام
بل هم اضل اولئك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين
ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شي واحد فكانت الجملة الثانية
مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل **وهم** فصل وفايدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر
لا صفة والتوكيد وايجاب ان فايدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدأ **والمفلحون**
خبره والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك
انهم يفلحون في الاخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التايب اي هو
الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية
فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا
هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى
وهو ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك
في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا
تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم
سورة البقرة **والمفلح** الفايز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج
بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك بالحا والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح
وكذلك اخواته في الفا والعين نحو فلق وفلذ وفلى • لما قدم ذكر اوليايه وخالصة عباده بصفاتهم
التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم
العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف **وسوا عليهم** وجود الكتاب
وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المومنين ولم تعطف
كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الاي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين
وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان
الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف
فان قلت هذا اذا زعمت ان الذين يومنون جار على المتقين فاما اذا ابتداته وبنيت الكلام لصفة
المومنين ثم عقبته بكلام اخر في صفة اضدادهم كان مثل تلك الاي المتلوة قلت قد مر لي ان الكلام
المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستيناف وانه مبني على تقدير سوال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له
في المعنى وان كان مبتدا في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز ان
يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان يكون
للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم
باستوا الانذار وتركه عليهم وسوا اسم بمعنى الاستوا وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى
تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم في اربعة ايام سوا للسايلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان
وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم
انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتدا
وسوا خبرا مقدما بمعنى سوا عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان فان قلت الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف
صح الاخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا
العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه
لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وام

[illegible]

محذوف بان بمعنى الاستوا وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام
كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا
استفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستوى استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد
علم ان احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ

[illegible]

من غير معاقب ولا ممانع بزيادة نوع الراحة اليه وبعضه فرأى من فزاحد عون الله والذين آمنوا وهو ابو
حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفعهم
في ذلك فقيل يخادعون فان قلت متى كانوا يخادعونهم عن اغراضهم ومقاصد
منها امنا تخليتهم فاعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم
بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك
من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان
قلت فلو اظهر عليهم حتى تصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها قلت لم تظهر عليهم لما احاط علما
من المصالح التي لو اظهر عليهم لفاتت بما فيه واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء
المؤمنين المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكنا نسترنا فيه ما علمه تعالى من المصلحة فان
قلت ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة
المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا
وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك
يخدعون انفسهم حيث تمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم
بالاماني وان يراد بما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع
ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته
تقاد عندي كذا انفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء بأصغريه وكذلك بمعنى
الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل
شيء حي وحقيقته نفس الرجل بمعنى عين اصيب نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسه
اذا تردد في الامر واتجه له رايان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس
وهما النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين
له شبههما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع
لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم **والشعور**
علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس
وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له **واستعمال المرض في القلب** يجوز ان يكون حقيقة
ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء
الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف
وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد
به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي
على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله تعالى
في قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان [illegible]
[illegible] **[illegible]** وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه اعف عنه يا رسول
الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة
فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك ويراد بما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور
لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن
ولواءه يخفق ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق
على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم
الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وآله
نصرت بالرعب مسيرة شهر **ومعنى** زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه
كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله الذي ازادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب
له كما اسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا او كلما زاد الله رسوله نصرة
وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة
طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع **وقرأ** ابو عمرو
في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو **اليم** كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به
نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم
كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسمجه
وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة
وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها **والكذب** الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو
قبيح كله واما ما يروى عن ابراهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن
لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه
مجانب للايمان **وقرئ** يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه او من كذب الذي هو مبالغة في كذب
كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص وقلص او بمعنى الكثرة كقولك
موتت البهائم وبركت الابل او من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف
متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير
الى هذه مرة والى هذه مرة **واذا قيل لهم** معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت
ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه **والفساد** خروج الشيء عن حال استقامته وكونه
منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة **والفساد في الارض** هيج الحروب
والفتن لان في ذلك فسادا في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزرع والمنافع الدينية والدنيوية
قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
ومنه قيل لحرب كانت بين طيء حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمالئون الكفار على
المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك
من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تفسد نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار
اذا اقدم على ما هذه عاقبته **وانما** لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك
انما زيد كاتب ومعنى **انما نحن مصلحون** ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح
فيها من وجه من وجوه الفساد **وألا** مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما
بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله أليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق

لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها كقوله
اما والذي لا يعلم الغيب غيره ... اما والذي ابكى واضحك ... رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ
رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلتا الكلمتين ألا وان من التأكيد وتعريف
الخبر وتوسيط الفصل وقوله **لا يشعرون** [illegible] في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده
من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم لطريق السداد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم
فكان من جوابهم ان سفهوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان
قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح هو اسناد
الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك
الف ضرب من ثلاثة احرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في **كما** يجوز ان تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية
مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما آمن رسول الله ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن
سلام واشياعه لانهم من جلدتهم ومن ابناء جنسهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون
في الانسانية او جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل
والاستفهام في **انؤمن** في معنى الانكار واللام في **السفهاء** مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك زيد قد
[illegible] وقد فعل السفيه ويجوز ان تكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم
عندهم اعرق الناس في السفه فان قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم
لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل
كان سفيها ولانهم كانوا في رياسة وبسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب
وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم او اراد عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم
من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم بانهم من السفه بمعزل
والسفه سخافة العقل وخفة الحلم فان قلت لم فصلت هذه الآية **بلا يعلمون** والتي قبلها بلا يشعرون
قلت لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل منزلة يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب
الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني على
العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب
والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له [illegible]
هذه الآية الخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم
وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين
وايهامهم انهم معهم **فاذا فارقوهم الى شطارهم** صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا
ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عبد الله انظروا كيف ارد هؤلاء
السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل
نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ
بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فقال
علي يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله فقال له عبد الله مهلا يا ابا الحسن اني تقول هذا والله
ان ايماننا كايمانكم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا ونزلت ويقال لقيته ولاقيته
اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقي ومماس **وقرأ** ابو حنيفة رحمه الله **واذا لاقوا** وخلوت بفلان واليه
اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن
خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمؤمنين
الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في
تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن
واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسمائه الباطل
انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية
وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما
لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم
وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية
وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون
في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا
اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر
والبعد من ان يزالوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم
متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت اني تعلق قوله **انما نحن مستهزءون** بقوله
انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزءون رد
للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء
تأكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم
انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزءون والاستهزاء السخرية
والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب
مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكاني وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله
تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله
ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه
الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد
لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء امرهم والدلالة على ان
مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر في يخادعون من انه تجرى
عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فان قلت كيف ابتدئ قوله **الله يستهزئ بهم** ولم
يعطف على الكلام قبله قلت هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء

الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمومنين ولا يحوج المومنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت هلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزءون قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ان تنزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون **ويمدهم في طغيانهم** من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والاملاء والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم في الغي على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له فان قلت كيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المومنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد رينها وظلمتها تزايد الانشراح والنور في قلوب المومنين فسمى ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسندوا الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هولاء من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو **وقرا** زيد بن علي رضي الله عنه في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فان قلت اي نكتة في اضافته اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله بريء منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد اليه انه لو لم يمد لطغيانهم اي ان الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكرنا اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي **والعمه** مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والراي والعمه في الراي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه قوله ○ بالجاهلين العمه ○ اي الذين لا راي لهم ولا دراية بالطرق وقيل ارض عمهاء لا منار بها ومعنى **اشتروا الضلالة بالهدى** اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه ○ اخذت بالجمة راسا ازعرا ○ وبالثنايا الواضحات الدردرا ○ وبالطويل العمر عمرا جيدرا ○ كما اشترى المسلم اذ تنصرا ○ وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بني اسرائيل تتفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الاخرة فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلال الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين **فما ربحت** الربح الفضل على راس المال ولذلك سمي الشف من قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا اشف **والتجارة** صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كانها من حسنها وسمنها تبيع نفسها و**قرا** ابن ابي عبلة تجاراتهم فان قلت كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رايت اسدا وانت تريد المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح فان قلت هب ان شرى الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كان ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكالها واخواتها اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر ماء ورونقا منه وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كان اذني قلبه خطلاوان وان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه ○ ولما رايت النسر عز ابن داية ○ وعشش في وكريه جاش له صدري ○ لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في امه ○ فما ام الردين وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام ○ اذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه بالحبل التوام ○ اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد اذا جرت واساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع اولا ثم ضم اليه التنفيق ثم الحبل التوام فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فان قلت فما معنى قوله **وما كانوا مهتدين** قلت معناه ان الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة راس المال والربح وهولاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بالاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له راس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر ○ لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر

شان ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق حتى يريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر ما اكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله وكلام الانبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير فان قلت ما معنى **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا** وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة اي صفتهم وشانهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان فان قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذلك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته تعالى في الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها **والاضاءة** فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى **ما حوله** والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده **قراءة** ابن ابي عبلة ضاءت وفيه وجه اخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ما حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه **ذهب الله بنورهم** والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدال عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمع الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد ووجه اخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه **وتركهم في ظلمات** والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله **لا يبصرون** فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح وفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب **وقرا** اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب ومنه قول عنترة ○ فتركته جزر السباع ينشنه ○ ومنه قوله وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية **وقرا** الحسن ظلمات بسكون اللام وقرا اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون فان قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فان قلت واين الاضاءة في حال المنافق وهل هو ابدا الا حائر خابط في ظلماء الكفر قلت المراد ما استضاؤوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المومنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان لا تطمع لقوله **صم بكم عمي** وفي الاية تفسير اخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقبت ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات **وتنكير** النار للتعظيم كانت حواسهم سليمة

هزّ من نشاط السامع كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكياً عن ثالث لكما إن فلاناً من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازاً من طبعه ما لا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الأنفس للقبول وبلغنا بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة **أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي ويا أيها الذين آمنوا** فهو مدني فقوله **يا أيها الناس اعبدوا ربكم** خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في أصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه وأما نداء القريب فله أي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب تنزيلاً له منزلة من بعد فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جداً فإن قلت فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد وأسمع به وأبصر قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه إلى رضوان الله ومنازل المقربين هضماً لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والإذن لندائه وابتهاله **وأي** وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام كما أن ذو والذي وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو أي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف إلا أن أياً لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضاً مما يستحقه أي من الإضافة فإن قلت لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ فإن قلت لا يخلو الأمر بالعبادة من أن يكون متوجهاً إلى المؤمنين والكافرين جميعاً أو إلى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف أمروا بما هم ملتبسون به وهل هو إلا كقول القائل ... وأما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها وإقبالهم وثباتهم عليها وأما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الإقرار كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الأمر وإن لم يذكر حيث لم ينفعل إلا به وكان من لوازمه على أن مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فإن قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولاً شيئين معاً الأمر بالعبادة والأمر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئاً آخر فإن قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فإن خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والأرض والآلهة التي كانوا يسمونها أرباباً وكان قوله **الذي خلقكم** صفة موضحة مميزة وإن كان الخطاب للفرق جميعاً فالمراد به ربكم الحقيقي **والذي خلقكم** صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة إلا أن الأول أوضح وأصح **والخلق** إيجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس **وقرأ** أبو عمرو خلقكم بالإدغام وقرأ أبو السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي **والذين من قبلكم** وهي قراءة مشكلة ووجهها على إشكالها أن يقال أقحم الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيداً كما أقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا أبا لكم تيماً الثاني بين الأول وما أضيف إليه وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه في لا أبا لك **ولعل** للترجي أو الإشفاق تقول لعل زيداً يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر أو يخشى لعل الساعة قريب ألا ترى إلى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن ولكن لأنه إطماع من كريم رحيم إذا أطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري إطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال إن لعل بمعنى كي ولعل لا تكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألقيت إليك وأيضاً فمن ديدن الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات أو يخيلوا إخالة أو يظفر منهم بالرمزة أو الابتسامة أو النظرة الحلوة فإذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العز والكبرياء أو يجيء على طريق الإطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم فإن قلت فلعل التي في الآية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء لأن قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم لأن الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد أيضاً ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لأن الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وأزاح العلة في أقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في أيديهم زمام الاختيار وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين أن يفعل وأن لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وإنما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار فإن قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعاً فإن قلت فهلا قيل تعبدون لأجل اعبدوا أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك إلى تنافر النظم وإنما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فإذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على أقصى غايات العبادة كان أبعث على العبادة وأشد إلزاماً لها وأثبت لها في النفوس ونحوه أن تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني إلا لجر الأثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع وقد سبقت منه موجبات عبادته وقضايا تحول أن تذكر خلقهم أحياء قادرين أولاً لأنه سابقة أصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق **الأرض** التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق **السماء** التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل المنتج من الحيوان من ألوان **الثمار رزقاً لبني آدم** ليكون

لهم ذلك معتبراً ومتسلقاً إلى النظر الموصل إلى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وأن شيئاً من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على إيجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك أن لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له أنداداً وهم يعلمون أنها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته إما أن يكون في محل النصب وصفاً كالذي خلقكم أو على المدح والتعظيم وإما أن يكون رفعاً على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح **وقرأ** يزيد الشامي بساطاً وقرأ طلحة مهاداً ومعنى جعلها **فراشاً** وبساطاً ومهاداً للناس أنهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه وبساطه ومهاده فإن قلت هل فيه دليل على أن الأرض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها وإذا كان متسهلاً في الجبل وهو وتد من أوتاد الأرض فهو في الأرض ذات الطول والعرض أسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتاً كان أو قبة أو خباء أو طرافاً وأبنية العرب أخبيتهم ومنه بنى على امرأته لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديداً فإن قلت ما معنى **إخراج الثمرات** بالماء وإنما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى أنه جعل الماء سبباً في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على أن ينشئ الأجناس كلها بلا أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له في إنشاء الأشياء مدرجاً لها من حال إلى حال وناقلاً من مرتبة إلى مرتبة حكماً ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبراً وأفكاراً صالحة وزيادة طمأنينة وسكون إلى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في إنشائها بغتة من غير تدريج وترتيب **ومن** في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فأخرجنا به من كل الثمرات وقوله فأخرجنا به ثمرات ولأن المنكرين أعني **ماء ورزقاً** يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لأنه لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز أن تكون للبيان كقولك أنفقت من الدراهم ألفاً فإن قلت بم انتصب رزقاً قلت إن كانت من للتبعيض كان انتصابه بأنه مفعول له وإن كانت مبينة كان مفعولاً لأخرج فإن قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان أحدهما أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان أدركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وإنما هي مدر متلاحق والثاني أن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الأول **قراءة** محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد **ولكم** صفة جارية على الرزق إن أريد به العين وإن جعل اسماً للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقاً إياكم فإن قلت بم تعلق **فلا تجعلوا** قلت فيه **ثلاثة أوجه** أن يتعلق **بالأمر** أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له **أنداداً** لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل لله ند ولا شريك **أو بلعل** على أن ينتصب تجعلوا انتصاب فأطلع في قوله تعالى لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى في رواية حفص عن عاصم أي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه **أو بالذي** جعل لكم إذا رفعته على الابتداء أي هو الذي خلقكم هذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوئ قال جرير

أتيماً تجعلون إلي نداً وما تيم لذي حسب نديد

وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند يند نداداً إذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فإن قلت كانوا يسمون أصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا إليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بأن جعلوا أنداداً كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط وفي ذلك **قال** زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه

أرباً واحداً أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور

وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله نداً فإن قلت ما معنى **وأنتم تعلمون** قلت معناه وحالكم وصفتكم أنكم من صحة التمييز بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الأمور وغوامض الأحوال والإصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصاً ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا تصطلى نارهم في استحكام المعرفة بالأمور وحسن الإحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كأنه قيل وأنتم من أهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد أي أنتم العرافون المميزون ثم إن ما أنتم عليه في أمر ديانتكم من جعل الأصنام لله أنداداً هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز أن يقدر وأنتم تعلمون أنه لا يماثل أو وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت أو وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الإشراك ويهدمه وعلم الطريق إلى إثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم أن من أشرك فقد كابر عقله وغطى على ما أنعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة وأراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله كما يدعي أم هو من عند نفسه كما يدعون بإرشادهم إلى أن يحزروا أنفسهم ويذوقوا طباعهم وهم أبناء جنسه وأهل جلدته فإن قلت لم قيل **مما نزلنا** على لفظ التنزيل دون الإنزال قلت لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفاً لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوماً سورة بعد سورة وآيات عقيب آيات على حسب النوازل ووقوع الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقاً حيناً فحيناً وشيئاً فشيئاً حسب ما يعن لهم من الأحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه أو رسائله ضربة فلو أنزله الله لأنزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجماً فرداً من نجومه سورة من أصغر السور أو آيات شتى مفتريات وهذا غاية التبكيت ومنتهى إزاحة العلل **وقرئ** على عبادنا يريد رسول الله وأمته **والسورة** الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات وواوها إن كانت أصلاً فإما أن تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لأنها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لأنها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها وإما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة

ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار

لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي أيضاً في أنفسها مترتبة طوال وأوساط وقصار أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين وإن جعلت واوها منقلبة عن همزة فلأنها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء

وأفضله منه فإن قلت ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورًا قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة
ولأمرٍ ما أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه على هذا المنهاج مسوّرة مترجمة
السور وبوّب المصنفون في كل فن كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده أن الجنس إذا
انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن وأنبل وأفخم من أن يكون بيانا واحدا ومنها أن القارئ
إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأهز لعطفه وأبعث على الدرس والتحصيل
منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر إذا علم أنه قطع ميلا أو طوى فرسخا أو انتهى إلى رأس بريد نفّس
ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزّأ القراء القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا ومنها أن الحافظ إذا حذق
السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجلّ في نفسه
ويغتبط به ومنه حديث أنس رضي الله عنه كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا ومن ثم كانت القراءة
في الصلاة بسورة تامة أفضل ومنها أن التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك
تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم إلى غير ذلك من الفوائد من مثله متعلق بسورة صفة لها أي بسورة
كائنة من مثله والضمير لما نزلنا أو لعبدنا ويجوز أن يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد فإن قلت وما
مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة
في حسن النظم أو فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا أو أميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد
إلى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لأحملنك على الأدهم مثل الأمير حمل
على الأدهم والأشهب أراد من كان على صفة الأمير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد

[illegible]

وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة الواحدة من مصدر جنه اذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة ومجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة **تجري الانهار من تحتها** قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت آنق شيء واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات الا مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها **والنهر** المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية نهر ومدار التركيب على السعة وفي اسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان فان قلت لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله **كلما رزقوا** لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله فان قلت ما موقع **من ثمرة** قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او من رمانها او عنبها او غير ذلك **رزقا قالوا** ومن في الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف قيل **هذا الذي رزقنا من قبل** وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله **واتوا به متشابها** وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به فان قلت لاي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم معه الف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبيين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان والنبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق كما

ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد **بتطهير الازواج** ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما يأخذنه من اعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كما في الموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة
وإذا العذارى بالدخان تقنعت ... واستعجلت نصب القدور فملت
والمعنى وجماعة ازواج مطهرة **وقرأ** زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة اي فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم **والخلد** الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس
الا انعم صباحا ايها الطلل البالي ... وهل ينعمن من كان في العصر الخالي
وهل ينعمن الا سعيد مخلد ... قليل الهموم ما يبيت باوجال
سيقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعلت بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه ويستدعيه ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة واضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا تغني استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه الآية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وخشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا هلك فلان حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله **ان الله لا يستحيي** اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول ابي تمام
من مبلغ افناء يعرب كلها ... اني بنيت الجار قبل المنزل
وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه
اذا ما استحين الماء يعرض نفسه ... كرعن بسبت في اناء من الورد
وقرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقال استحييته واستحييت منه وهما محتملتان هاهنا **وضرب المثل** اعتماله وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث فاضطرب رسول الله خاتما من ذهب **وما** هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتأكيد

بعوضة كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا انتصب

كان رفعها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن ووجه اخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله عز وجل لاصنامهم بالحشرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي مما وهب ما دينار وديناران والمعنى ان الله ان يمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ او بما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء في العدد ولقد الفت قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة ابن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة باعتبار انها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصابها على ان يجري ضرب مجرى جعل واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد لبعض الشعراء [illegible] اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش

فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضرب فيه مثلا وهو القلة والحقارة ونحوه قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذاك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته بالشح [illegible] فيقول فلان لا يعطي الدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يعطي نصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما تجاوزه وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في احتماله ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابراهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فيحتمل فما فوقها ما تجاوز الشوكة وما دونها في القلة وهي نخبة النملة في قوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورتها واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشدت لبعضهم يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الاول

واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين قلة فطنتهم وعناد عقولهم وتسجيل بكلمة الحمق الحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوز عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ماذا رأيت خير اي المرئي خير وفي جواب الذي رأيت خيرا اي رأيت خيرا وقرئ قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين

والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم على ان الباري عز وجل صفة المريد بها التي هي القصد وهو امر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله هو انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره امره بها والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديئا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم وقالوا الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة [illegible] قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فراى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وقرا زيد بن علي رضي الله عنه يضل به كثير وكذلك وما يضل به الا الفاسقون

والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن اشياعه وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة لا تجزي خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفرة الفسقة وقد جاء الاستعمال في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون النقض الفسخ وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا

١٢

ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امراة فاستوثق فانها لم تعاصد [illegible] نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المراة بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعسفين [illegible] جميعا فان قلت فما المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم واخذ الميثاق عليهم بانه اذا بعث اليهم رسولا صدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمهم من الكتب المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في بعث عيسى صلوات الله عليه [illegible] يا بني اسرائيل [illegible] نقضوا من ميثاقهم [illegible] ما اضيعوا من عهد الله [illegible] اياهم وكيفما [illegible] ونقضهم له [illegible] ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا [illegible] عيسى [illegible] اسم محمد صلى الله عليه وسلم ما من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا [illegible] ولا يفرق بين احد [illegible] ان يقطعوا ارحامهم [illegible] عهد الله [illegible] خلقه [illegible] العهد الذي اخذ على ذرية ادم [illegible] وهو قوله واذ اخذ ربك [illegible] وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم [illegible] وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد [illegible] من بعد توثقته [illegible] ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته عليهم [illegible] وامر الله به ان يوصل [illegible] قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لانه الداعي الذي يبعث عليه [illegible] تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به [illegible]

ويفسدون في الارض [illegible] ما امر الله به ان يوصل [illegible] البعض بالوفاء [illegible] والمنقطع بالوصل والفساد بالصلاح [illegible]

كيف تكفرون بالله [illegible] ويدعوا الى الايمان [illegible] ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فان قلت [illegible] قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل [illegible] فلا يخرج في صورة المستحيل [illegible] فان قلت فقد [illegible] انكار الفعل [illegible] كيف [illegible] قلت [illegible] الحال التي يقع عليها كفرهم [illegible] فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر [illegible] انكار الذات [illegible] وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك عن حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الامير الا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقعا حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة باولها واخرها فان قلت فقد اَل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا [illegible] جميع [illegible] فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا واية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به الاحياء للنشور وبالرجوع المصير الى الجزاء [illegible] فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع عن الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين اتصل انكار اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها لها مشتملة على ايات بينات تصرفهم عن الكفر وعلى نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت تحتمل الامرين جميعا اما ما عدد به من ايات وهي مع كونها ايات من اعظم النعم

لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالاخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل واحد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء ويراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني ثم استوى الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في

الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما فسرت به معنى ثم استوى الى السما يناقضه [illegible]

[illegible]

[illegible] اني جاعل في الارض خليفة [illegible]

[illegible]

وعلم آدم الاسماء كلها [illegible]

[illegible]

لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكأنكم في ذلك مسلوبو العقول لأن العقول تأباه وتدفعه ونحوه أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون. واستعينوا على حوائجكم إلى الله بالصبر والصلوة أي بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة متحملين لمشاقها وما يجب فيها من إخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها أو واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلوة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعي إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق وصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لأنه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز أن يراد بالصلوة الدعاء وأن يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء إلى الدعاء والابتهال إلى الله في دفعه وإنها الضمير للصلوة أو للاستعانة ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمروا بها ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي إلى واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر علي هذا الأمر كبر على المشركين ما تدعوهم إليه فإن قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ألا ترى إلى قوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم أي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون أن لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين بأعمالهم ومثاله من وعد على بعض الأعمال والصنائع أجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كأنه يستلذ مزاولته بخلاف عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الإخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة وأما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها إذا لينته. وأني فضلتكم نصب عطف على نعمتي أي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة. واتقوا يوما يريد يوم القيامة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك. شيئا مفعول به ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزئ من أجزأ عنه إذا أغنى عنه فلا يكون في قراءته إلا بمعنى شيئا من الإجزاء وقرأ أبو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فإن قلت فأين العائد منها إلى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما أنشده أبو علي تروح من الحي أم تبتكر أي ما أحد بأن تنتظر فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فأجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله أم مال أصابوا ومعنى التنكير أن نفسا من الأنفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الأشياء وهو الإقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل أي فدية لأنها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل أي توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا فإن قلت هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقا أخلت به من فعل أو ترك ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة فإن قلت الضمير في ولا يقبل منها إلى أي النفسين يرجع قلت إلى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة إن جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز أن يرجع إلى النفس الأولى على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو أعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها. ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والأناسي كما تقول ثلاثة أنفس. آل أصله أهل ولذلك يصغر بأهيل فأبدلت هاؤه ألفا وخص استعماله بأولي الخطر والشأن كالملوك وأشباههم ولا يقال آل الإسكاف والحجام. فرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان إذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاء موسى الكليم فزاد في أقصى تفرعنه وفرط عرامه. وقرئ أنجيناكم ونجيتكم. يسومونكم من سامه خسفا إذا أولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم إذا ما الملك سام الناس خسفا أبينا أن نقر الخسف فينا. وأصله من سام السلعة إذا طلبها كأنه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء أشده وأفظعه كأن قبحه بالإضافة إلى سائره. ويذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يلق أثاما يضاعف له العذاب وقرئ يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ عبد الله يقتلون وإنما فعلوا بهم ذلك لأن الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما أنذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله. وفي ذلكم بلاء المحنة إن أشير بذلكم إلى صنيع فرعون والنعمة إن أشير به إلى الإنجاء. فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الأشياء لأن المسالك كانت اثني عشر على عدد الأسباط فإن قلت ما معنى بكم قلت فيه أوجه أن يراد أنهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وأن يراد فرقناه بسببكم وبسبب إنجائكم وأن يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا أي تدوسها ونحن راكبوها. وروي أن بني إسرائيل قالوا لموسى أين أصحابنا لا نراهم قال سيروا فإنهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم أعني على أخلاقهم السيئة فأوحى إليه أن قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم. وأنتم تنظرون إلى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه. لما دخل بنو إسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون إليه وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقال أربعين ليلة لأن الشهور غررها بالليالي وقرئ وعدنا لأن الله تعالى وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات إلى الطور. من بعده من بعد مضيه إلى الطور. وأنتم ظالمون بإشراككم. ثم عفونا عنكم حين تبتم. من بعد ذلك من بعد ارتكابكم الأمر العظيم وهو اتخاذكم العجل. لعلكم تشكرون إرادة أن تشكروا النعمة في العفو عنكم. الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعني الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والإيمان

من العصا واليد وغيرهما من الآيات أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد به يوم بدر. يحتمل قوله فاقتلوا أنفسكم على الظاهر وهو البخع ومن معناه قتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبدة وروي أن الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لأمر الله فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وأمروا أن يحتبوا بأفنية بيوتهم ويأخذ الذين عبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه أو حل حبوته أو اتقى بيد أو رجل فيقولون آمين فقتلوهم إلى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو إسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة وسقطت الشفار من أيديهم فكانت القتلى سبعين ألفا فإن قلت ما الفرق بين الفاءات قلت الأولى للتسبيب لأن الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم من قبل أن الله جعل توبتهم قتل أنفسهم ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو إما أن ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كأنه قال فإن فعلتم فقد تاب الله عليكم وإما أن يكون خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فإن قلت من أين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر إلى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة والبلادة وأمثال العرب حتى تعرضوا لسخط الله ونزول أمره بأن يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم وأشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها. قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم. جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لأنها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي إما مصدر كالغلبة وإما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على أن موسى عليه السلام رادهم القول وعرفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون في جهة محال وأن من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام أو الأعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط عليهم الصعقة كما سلط على أولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة. الصاعقة ما صعقهم أي أماتهم قيل نار وقعت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل أرسل الله جنودا سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما أفاق والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون إليه لقوله وأنتم تنظرون وقرأ علي رضي الله عنه فأخذتكم الصعقة. لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت أو نعمة الله بعدما كفرتموها إذا رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة وإذاقتكم الموت. وظللنا وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل عليهم بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه. كلوا على إرادة القول. وما ظلمونا يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه. القرية بيت المقدس وقيل أريحا من قرى الشام أمروا بدخولها بعد التيه. والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون إليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع وإخبات وقيل طؤطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على أوراكهم. حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة أو أمرك حطة والأصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والأصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب على الأصل وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونستقر فيها فإن قلت هل يجوز أن ينصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والأجود أن ينصب بإضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء. وسنزيد المحسنين أي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة. فبدل الذين ظلموا أي وضعوا مكان حطة قولا غير الذي قيل لهم يعني أنهم أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وليس الغرض أنهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاءوا بلفظ آخر لأنهم لو جاءوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب إليك أو اللهم اعف عنا وما أشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا أي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الأعراف فأرسلنا عليهم على الإضمار. والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروي أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفا وقيل سبعون ألفا. عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام إما للعهد والإشارة إلى حجر معلوم فقد روي أنه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذي أمر أن يسقيهم وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شعيب فدفعه إليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل إذ رموه بالأدرة ففر به فقال له جبريل يقول لك الله ارفع هذا الحجر فإن لي فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته. وإما للجنس أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه قال وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة وروي أنهم قالوا كيف بنا لو أفضينا إلى أرض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا ألقاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا إن فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى إليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الإنسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار. فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت أو فإن ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان. كل أناس كل سبط. مشربهم عينهم التي يشربون منها. كلوا على إرادة القول. من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن الماء وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب. ولا تعثوا العثي أشد الفساد

تمادوا في الفساد في حال فساد كما انهم كانوا متمادين فيه ن كانوا فلاحة فنزعوا الى فكرهم فاجتووا
ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقا **على طعام واحد** ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى
فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل
ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا ياكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة
نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف
ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب
ونحو ذلك ومعنى **يخرج لنا** يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها
الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقرئ **وقثائها** بالضم **وفومها** الحنطة ومنه فوموا
لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل اوفق **اتستبدلون الذي هو ادنى** اقرب
منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة
كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرئ ادنأ
بالذي هو خير ادنا بالهمز من الدناءة **اهبطوا مصرا** وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال
هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر
فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتانيث
لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد
وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرا به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر
وقيل هو مصر ابن صفر **وضربت عليهم الذلة** جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في
القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود
صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم
الجزية **وباءوا بغضب من الله** من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له
ومكافأته اي صاروا احقاء بغضبه **ذلك** اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب
اي ذلك بسبب كفرهم **ويقتلون النبيين** وقد قتلت اليهود شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت قتل
الانبياء لا يكون الا **بغير الحق** فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا
في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها
يستحقون به القتل عندهم وقرئ علي رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد **ذلك** تكرير للاشارة **بما عصوا** بسبب
ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم
في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما
وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا **ان الذين آمنوا**
بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون **والذين هادوا** والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل
في اليهودية وهو هائد والجمع هود **والنصارى** جمع نصران يقال رجل نصران وامراة نصرانة قال ونصرانة لم تحنف
والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح **والصابئين** وهو من صبا اذا خرج من الدين وهم
قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة **من آمن** من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام
دخولا اصيلا **وعمل صالحا فلهم اجرهم** الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن قلت
الرفع ان جعلته مبتدا خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول
الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط **واذ اخذنا ميثاقكم** بالعمل على ما في التوراة **ورفعنا فوقكم**
الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فراوا ما فيها من الآصار والتكاليف
الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى
ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا **خذوا** على ارادة القول **ما آتيناكم** من الكتاب **بقوة** بجد وعزيمة **واذكروا ما فيه**
واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه **لعلكم تتقون** رجاء منكم ان تكونوا متقين او وقلنا خذوا واذكروا
ارادة ان تتقوا **ثم توليتم** ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به **فلولا فضل الله عليكم** بتوفيقكم للتوبة لخسرتم
وقرئ خذوا ما آتيناكم وتذكروا **السبت** مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا
ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه بالعبادة واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في
البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم
كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك
الحبس في الحياض هو اعتداؤهم **قردة خاسئين** خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد
فجعلناها يعني المسخة **نكالا** عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد **لما بين يديها** لما قبلها
وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم
من الآخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها
من ذنوبهم وما تاخر منها **وموعظة** للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها كان في بني اسرائيل
شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته فامرهم الله **ان يذبحوا بقرة**
ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله **قالوا اتتخذنا هزوا** اتجعلنا مكان هزء او اهل هزء او مهزوءا بنا والهزء نفسه
لفرط الاستهزاء **من الجاهلين** لان الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بالضمتين وهزءا بسكون الزاي
نحو قوله كفوا وكفؤا وقرئ حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا **والعياذ** واللياذ من واد واحد وفي قراءة
عبد الله **سل لنا ربك ما هي** سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا
فسالوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر **والفارض** المسنة وقد فرضت فروضا قال
خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وكانها سميت فارضا لانها فرضت سنها
اي قطعتها وبلغت اخرها **والبكر** الفتية **والعوان** النصف قال نواعم بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت
بين يقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من
الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على
تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا
كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك وقد يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة
في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت
السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك ويلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتانيثها ليست
على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع **ما تؤمرون** اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فا

امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير **فاقع** اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد
اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانئ وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني
وارمك رداني فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع
توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء
فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة
وهي الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان
شعاع الشمس يخرج من جلدها **تسر الناظرين** لذة في القلب عند حصول النفع او توقعه وعن علي عليه السلام من لبس نعلا صفراء
قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان
سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب
ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو
اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان
يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدا فقال ان قلت لك بقطع الشجر سالتني باي نوع منها ابدا وعن
عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سالتني اضائن ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسود
ام ابيض فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسألته **ان البقر تشابه علينا**
اي ان البقر الموصوف بالتعيين والتصفير كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين
وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرئ محمد ذو الشامة ان الباقر تشابه علينا بالتشديد وفي الحديث لو لم يستثنوا
لما تبينت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا **ان شاء الله** **لمهتدون** الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من
امر القاتل **لا ذلول** صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي
يسنى عليها لسقي الحرث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول
كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلولها وان
توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم وقرئ تسقي بضم التاء من اسقى
مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله او معبر الظهر ينبي عن وليته
ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم تشب صفرتها شيء من الالوان
لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرناها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه
وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشي القوائم **الآن جئت بالحق** اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي
اشكال في امرها **فذبحوها** اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله **وما كادوا يفعلون**
استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت
تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل ما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف
الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني
استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه
حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين
سنة فان قلت كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون
وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة
والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح
عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص **واذ قتلتم نفسا** خوطب
الجماعة لوجود القتل فيهم **فادارأتم** فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا
اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح
في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه **والله مخرج ما كنتم تكتمون** مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه
مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت قد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما
حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم و**فقلنا**
والضمير في **اضربوه** اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله
ما كنتم تكتمون **ببعضها** ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل
عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى
فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله **كذلك يحيي الله الموتى** روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب
دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى
اما ان يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة **ويريكم آياته** ودلائله
على انه قادر على كل شيء **لعلكم تعقلون** تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء
الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان قلت هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الاسباب والشروط حكم
وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة
على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر
الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة
البر بالوالدين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء
وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع
حسن اللون بريا من العيوب يونق من نظر اليه وان يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة
بثلاثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه
لادائه الى البداء وليعلم بما امر من مس الميت وحصول الحياة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب لان
الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حياة فان قلت فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان
حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة
واضربوه ببعضها قلت كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا
لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين
متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس
المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت
قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة
براسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى يتبين انهما

قصّا[illegible] فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج [illegible] بعد الاستيناف مع تاخيرها وانها قصة [illegible]
[illegible] معنى **ثم قست** استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها
[illegible] وصفة القلوب بالقسوة والغلظة [illegible] نبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا
[illegible] **فهي كالحجارة في** قسوتها [illegible]
الحجارة **او اشد قسوة** [illegible] معطوفة [illegible]
[illegible] قراءة الاعمش [illegible] على الحجارة [illegible] اشد قسوة [illegible]
[illegible] بالحجارة [illegible] او من عرفها شبهها بالحجارة [illegible]
من الحجارة [illegible] اشد القسوة [illegible] افعل التفضيل وفعل التعجب قلت
[illegible] وجه آخر [illegible] وصف القسوة
[illegible] قسوة الحجارة [illegible]
[illegible] **وان من الحجارة** [illegible] قوله [illegible] على الحجارة [illegible] القسوة
[illegible] **والتفجر** [illegible]
[illegible] **يشقق** [illegible] الحجارة [illegible]
[illegible] الطول [illegible] **يهبط**
[illegible] **من خشية** [illegible] الله [illegible]
[illegible] **افتطمعون** الخطاب لرسول الله والمؤمنين **ان**
يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان [illegible] يعني اليهود **وقد كان فريق منهم**
طائفة [illegible] **يسمعون كلام الله** وهو ما يتلونه من التوراة **ثم يحرفونه** [illegible] رسول الله
[illegible]
[illegible]
[illegible] **من بعد ما عقلوه** [illegible] **وهم يعلمون** [illegible]
[illegible] **واذا لقوا** يعني اليهود **قالوا** [illegible] **آمنا** [illegible]
[illegible] **واذا خلا** بعضهم الى بعض [illegible] **قالوا** [illegible]
[illegible] **اتحدثونهم بما فتح الله عليكم** [illegible]
[illegible] **ليحاجوكم به عند ربكم** [illegible]
[illegible] **اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون** [illegible]
[illegible] **ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب** [illegible]
[illegible] **الا اماني** [illegible]
[illegible] **وان هم الا يظنون** [illegible]
[illegible] **فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم** [illegible]
[illegible] **ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا** [illegible]
[illegible] **فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون** [illegible]
[illegible] **وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة** [illegible]
[illegible] **قل اتخذتم عند الله عهدا** [illegible]
[illegible] **بلى من كسب سيئة** [illegible] **واحاطت به خطيئته** [illegible]
[illegible] **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** [illegible]
[illegible] **واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله** [illegible]
[illegible] **وبالوالدين احسانا** [illegible]
[illegible] **وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا** [illegible]
[illegible] **واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون** [illegible]
[illegible] **واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم** [illegible]
[illegible] **ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون** [illegible]
[illegible] **ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم** [illegible]
[illegible] **تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان** [illegible]
[illegible] **وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم** [illegible]
[illegible] **افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض** [illegible]
[illegible] **فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا** [illegible]
[illegible] **ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** [illegible]

١٧

ثم قرار [illegible] بالدفع عنهم وكذلك [illegible] **الكتاب** التوراة آتاه اياه جملة واحدة **وقفينا** [illegible] اذا اتبعه
من [illegible] **من بعده بالرسل** [illegible] الكثيرين [illegible]
وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس
وزكريا ويحيى وغيرهم [illegible] عيسى [illegible]
[illegible] **وآتينا عيسى ابن مريم البينات** [illegible]
[illegible]
[illegible] المعجزات الواضحات [illegible] **وايدناه** [illegible]
[illegible] **بروح القدس** [illegible] الحمد لله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **افكلما جاءكم رسول** [illegible] **استكبرتم** [illegible]
[illegible]
[illegible] **ففريقا** [illegible]
[illegible]
[illegible] **وقالوا قلوبنا غلف** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **بل لعنهم الله بكفرهم** [illegible]
[illegible] **فقليلا ما يؤمنون** [illegible]
[illegible] **ولما جاءهم كتاب من عند الله** [illegible]
[illegible] **مصدق لما معهم** [illegible]
[illegible] **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** [illegible]
[illegible] **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** [illegible]
[illegible] **بئسما اشتروا به انفسهم** [illegible]
[illegible] **ان يكفروا بما انزل الله بغيا** [illegible]
[illegible] **ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده** [illegible]
[illegible] **فباءوا بغضب على غضب** [illegible]
[illegible] **وللكافرين عذاب مهين** [illegible]
[illegible] **واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا** [illegible]
[illegible] **ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم** [illegible]
[illegible] **قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين** [illegible]
[illegible] **ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل** [illegible]
[illegible] **واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور** [illegible]
[illegible] **قالوا سمعنا وعصينا** [illegible]
[illegible] **واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم** [illegible]
[illegible] **قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين** [illegible]
[illegible] **قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة** [illegible]
[illegible] **فتمنوا الموت ان كنتم صادقين** [illegible]
[illegible] **ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم** [illegible]
[illegible] **ولتجدنهم احرص الناس على حياة** [illegible]
[illegible]

الاماني الباطلة اماني اليهود وقوله **قل هاتوا برهانكم** متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم [illegible]

[illegible]

به فيقال لكم لا تسأل عنه وجه التعظيم [illegible]

[illegible]

وتطاولت تعدا لمقاصر ويجوز ان يكون ... ونوضع
مرة ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء ... رفع الساقات ويجوز ان يكون
المعنى واذ رفع ابراهيم القواعد ... منه القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية
بالبناء وروي انه كان ... وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت
الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه ادم من ارض
الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين
حجة من ارض الهند ... الى السماء الرابعة فهو البيت
المعمور ثم ان الله تعالى امر ابراهيم ببنائه ...
... من حجر وجاء جبرئيل
بالحجر الاسود ... وكان ياقوتة بيضاء من الجنة
فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود ... ربنا اي يقولان ربنا
وهذا في محل النصب على الحال ...
... انك انت السميع العليم ...
قواعد البيت ...
... مسلمين لك ...
... ومن ذريتنا امة مسلمة لك ...

[illegible]

الانبيا فيطالب الله الانبيا بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيشهدون فتقول الامم
من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل
عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم [illegible]
[illegible]
قوله تعالى [illegible]
الا بشهادة العدول [illegible] **ويكون الرسول عليكم شهيدا** [illegible] **التي كنت عليها**
[illegible]
[illegible] القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **لنعلم** [illegible] **عقبيه** [illegible]

[illegible]

وإياه الرحمن الرحيم [illegible] فإن كل ما سواه إنما نعمة [illegible]

[illegible]

الذي هو الحد بين الحق والباطل ... في الواسطة ... فضلا ان ...

كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك

ان يقع فيه ...

[illegible]

وقيل ... كما قال ... كوفية ... فقيل ...

[illegible]

ولاجماع لانه يفسده او لا فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب

والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب

... ويسخرون من الذين آمنوا ...

[illegible]

والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ...

[illegible]

والله يرزق من يشاء بغير حساب ...

[illegible]

كان الناس أمة واحدة ...

[illegible]

فبعث الله النبيين ...

[illegible]

... فيهما إثم كبير ومنافع للناس ...

[illegible]

والميسر ...

[illegible]

انما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم وقيل إن النصارى
كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فأمر الله بالاقتصاد بين الأمرين وبين
الفقهاء خلاف في الاعتزال فأبو حنيفة وأبو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الإزار ومحمد بن الحسن لا يوجب
إلا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة أن عبد الله بن عمر سألها هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض فقالت
تشد إزارها على سفلتها ثم ليباشرها إن شاء وما روى زيد بن أسلم أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي
وهي حائض فقال لتشد عليها إزارها ثم شأنك بأعلاها [illegible] وهذا قول أبي حنيفة وقد جاء ما هو أرخص من هذا
عن عائشة أنها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطهرن بالتشديد أي يتطهرن بدليل قوله فإذا تطهرن
وقرأ عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا
القراءتين مما يجب العمل به فذهب أبو حنيفة إلى أن له أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل وفي أقل
الحيض لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة وذهب الشافعي إلى أنه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين
الأمرين وهو قول واضح ويعضده قوله فإذا تطهرن من حيث أمركم الله من المأتى الذي أمركم الله به وحلله لكم وهو

[illegible]

ما تقول

ما تقول في قوله فإن الله سميع عليم بعد قوله وإن عزموا الطلاق وما تعطيه ولا يسمع قلت الغالب أن العازم للطلاق
وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من أن يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا
يسمعه إلا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات أراد المدخول بهن من ذوات الأقراء فإن قلت كيف جازت
إرادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في أحد ما
يصلح له كالاسم المشترك فإن قلت فما معنى الإخبار عنهن بيتربصن قلت هو خبر في معنى الأمر وأصل
الكلام وليتربص المطلقات وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة
إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله أخرج في صورة الخبر
ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد ولو قيل ويتربص
المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فإن قلت هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص أربعة أشهر وما معنى
ذكر الأنفس قلت في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن
يتربصن وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على
التربص والقروء جمع قرء أو قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق

[illegible]

[illegible] فإن طلقها [illegible] فلا تحل له من بعد [illegible] حتى تنكح زوجا

غيره [illegible]

[illegible] فإن طلقها [illegible] أن يتراجعا

إن ظنا [illegible]

[illegible]

[illegible]

والذين آمنوا [illegible]

جالوت [illegible]

وآتاه الله الملك والحكمة [illegible]

[illegible]

وتسليمها الى من تثق بنفسه ... وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن
جزءا ... وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك وكانت اربعة اجبل
وعن السدي سبعة جزءا وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد ... يأتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على
ارجلهن فان قلت ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان ياخذها قلت ليتاملها ويعرف اشكالها وهياتها وحلاها
لئلا يلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها
ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤوسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل
جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن
الى رؤوسهن كل جثة الى رأسها وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه انه حذف الهمزة ثم شدد
كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة
او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى
الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل
تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت
بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الارض القوية المغلة فيبلغ حبها
هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فان قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز
بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله تعالى ثلاثة قروء من وقوع امثلة الجمع
متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال
المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك منا اي يعتد على من احسن اليه
باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم
وان امرأ اسدى الي صنيعة وذكرنيها مرة للئيم وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن
وقيل طعم الآلاء احلى من المن وهي امر من الآلاء عند المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه ومعنى
ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على
الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اي فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم
اجرهم قلت الموصول لم يضمن هاهنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة
على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه
ما يثقل على المسؤول او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير
من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق
يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله اي
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضاء الله ولا ثواب الآخرة
فمثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرا سعيد بن المسيب صفوان
بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين
الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال
اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت
اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق وتثبيتا من انفسهم
وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان
لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعها لشهواتها
وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من
اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص
قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية
كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة
فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله
فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى
ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى
واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها
وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة
بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد
ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة
وبربوة بالحركات الثلاث وكلها لغات بتسكين العين في الود للانكار وقرئ اكلها وربوة ضعاف واعصار
الريح التي تستدير في الارض ثم تنسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه
الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار
فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه انه سال
عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال
يا ابن اخي قل ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا للعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان
فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه
وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت
كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها
منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما
ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين
من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان
تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى
كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الحب
والثمر والمعادن وغيرها فان قلت فهلا قيل ومما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيبات المكسوب
والمخرج من الارض قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا
المال الرديء منه تنفقون تخصونه بالانفاق فهو في محل الحال وقراءة عبد الله ولا تؤمموا وقرا ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء
ويممه وتأممه سواء في معنى قصده ولستم باخذيه وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا بان
تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض

تنقص كانك لا تبصر وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض وقرا الزهري
تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرا قتادة تغمضوا
على البناء للمفعول بمعنى الا ان تحملوا فيه وتدخلوا فيه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في
السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا
عنه الشيطان يعدكم الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين
والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات
اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف
عليكم افضل مما انفقتم او وثوابا عليه في الآخرة يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل
وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرا الاعمش فقد اوتي خيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال
فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي
في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله
يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يفون
بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه فنعما هي ما في نعما نكرة
غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها فهو خير لكم وحده وتؤتوها الفقراء وتصيبوا
بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرائض ان يجاهر
بها وعن ابن عباس رضي الله عنه صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل
من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف
باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ونكفر قرئ بالنون مرفوعا
عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتداة ومجزوما عطفا
على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما
والفعل للصدقات وقرا الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان نكفر عنكم ليس
عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث
وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي
عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم وما تنفقون
الا ابتغاء وجه الله وليست نفقتكم الا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا توجهون
مثله الى الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن
الوجوه واجملها وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير
كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع وقد
كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب
نفقتك واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة رضي الله عنه صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وابى غيره للفقراء متعلق بمحذوف
والمعنى اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي صدقاتكم
للفقراء والذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون ضربا في الارض لاشتغالهم به للكسب وقيل هم
اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة
المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله
فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما على اصحاب الصفة
فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا
بما فيه فانه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم
من صفرة الوجوه ورثاثة الحال لا يسألون الناس الحافا الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل
لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي
السائل الملحف ومعناه انهم ان سالوا سالوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله
على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به اذا ساقه العود النباطي جرجرا الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم
يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار
وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق
بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي
هريرة كان اذا مر بفرس سمين قرا هذه الآية الربا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت
الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي المصروع
وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء
كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان
الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص واخبار وعجائب وانكار
ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون اي لا يقومون من المس
الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون
يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث
يوفضون الا اكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربا فارباه الله في
بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربا فان قلت هلا قيل
انما الربا مثل البيع لان الكلام في الربا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه وكانت
شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت
جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى
شبهوا به البيع وقوله واحل الله البيع وحرم الربا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص
لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا
فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في
شانه يوم القيامة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل
بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرا ابي والحسن فمن جاءته
يمحق الله الربا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربا وان كثر الى قل ويربي
الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث

ما نقصت زكاة من مال قط كل كفار أثيم تغليظ [illegible]
الصدقة ويبارك [illegible] من فعل الكفار لا من فعل المسلمين اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا
[illegible] وكان لهم على قوم من قريش مال
[illegible]

[illegible]

ناسيهم عفوا او لجعل ورعهم كانه قيل لا تكلفنا بالنسيان والخطا شيئا او لا تؤاخذنا بما فهم سبب له من الخطا والنسيان

ربنا ولا تحمل علينا إصرا

[illegible]

ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به

[illegible]

أنت مولانا

فانصرنا

[illegible]

وإن الدين بالكسر على أن الفعل واقع على إنه بمعنى شهد الله على أنه وبأنه وقوله إن الدين عند الله الإسلام
جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى فإن قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدته أن قوله لا إله إلا هو توحيد وقوله
قائماً بالقسط تعديل فإذا أردفه قوله إن الدين عند الله الإسلام فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين
عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية أو ذهب
إلى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام [illegible]

[illegible]

الإسلام وإن اختلفا في الشرائع دون الدين [illegible] من اليهود والنصارى **فاحكم بينهم** تفسير لحكم

قوله [illegible] **ذلك** إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره [illegible]

نتلوه عليك من الآيات [illegible] خبر [illegible] ويجوز أن يكون بمعنى الذي [illegible]

[illegible] **والذكر الحكيم** القرآن [illegible]

[illegible] **إن مثل عيسى** [illegible] **كمثل آدم** [illegible]

[illegible] **فإن قلت** [illegible]

[illegible]

كما لم يكن منكم [illegible] بالمشركين اليهود والنصارى [illegible]

[illegible] **إن أولى الناس بإبراهيم** [illegible] **للذين اتبعوه** في زمانه وبعده **وهذا النبي** [illegible]

وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه [illegible] **والذين آمنوا** [illegible]

[illegible] **ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم** [illegible]

[illegible] **يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون** [illegible]

[illegible] **لم تلبسون الحق بالباطل** [illegible]

[illegible] **وجه النهار** [illegible] **واكفروا آخره لعلهم يرجعون** [illegible]

[illegible]

أو يمينه فقلت إذن يحلف ويذهب بمالي فقال من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل أقام سلعته في السوق فحلف لقد أعطي بها ما لم يعطه والوجه أن نزولها في أهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده إلى الله **ولا يكلمهم** مجاز عن سخطه عليهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر إلى فلان تريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه **ولا يزكيهم** فإن قلت أي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه قلت أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لأن من اعتد بالإنسان التفت إليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الإحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر **وإن منهم** هم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وغيرهم **يلوون ألسنتهم بالكتاب** يفتلونها بقراءته عن الصحيح إلى المحرف وقرأ أهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله لووا رؤوسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه أنهم قلبوا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها فإن قلت إلام يرجع الضمير في **لتحسبوه** قلت إلى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز أن يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه **من الكتاب** وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب **ويقولون هو من عند الله** تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على أنهم لا يعرضون ولا يورّون وإنما يصرحون بأنه في التوراة هكذا وقد أنزله الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف لعنه الله غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم **ما كان لبشر** تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل إن أبا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله **والحكم** والحكمة وهي السنة **ولكن كونوا ربانيين** ولكن يقول كونوا والرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية أنه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الأمة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم **بما كنتم** بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم أوجب أن تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ **تعلمون** من التعليم وتعلمون من التعلم **تدرسون** تقرؤون وقرئ تدرّسون من التدريس وتدرسون على أن أدرس بمعنى درس كأكرم وكرم وأنزل ونزل ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرّسون من التدريس وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وأن السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة إليه إلا للمتمسكين بطاعته وقرئ **ولا يأمركم** بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان أحدهما أن تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم **أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا** كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني أن تجعل لا غير مزيدة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له أنتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر وينصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم وأيأمركم لبشر وقيل لله والهمزة في أيأمركم للإنكار بعد إذ أنتم مسلمون دليل أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له **ميثاق النبيين** فيه غير وجه أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني أن يضيف الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الموثق لا إلى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم والثالث أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف والرابع أن يراد أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكما بهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب ومنا كان النبيون وتدل عليه قراءة أبي وابن مسعود وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واللام في **لما آتيتكم** لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي **لتؤمنن** لام جواب القسم وما يحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى الذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على أن ما مصدرية والفعلان معها أعني آتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أني آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز أن تكون ما موصولة فإن قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصلة لأنك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لأن ما معكم في معنى ما آتيتكم فكأنه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم **رسول مصدق** له وجب عليكم الإيمان به ونصرته وقيل أصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بإدغامها في الميم فحذفوا إحداها فصارت لما ومعناه لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى **إصري** عهدي وقرئ أُصري بالضم وسمي إصرا لأنه مما يؤصر أي يشد ويعقد ومنه الإصار الذي يعقد به ويجوز أن يكون المضموم لغة في إصر كعبر وعبر وأن يكون جمع إصار **فاشهدوا** فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار **وأنا معكم من الشاهدين** وأنا على إقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة **فمن تولى بعد ذلك** الميثاق والتوكيد **فأولئك هم الفاسقون** أي المتمردون من الكفار دخلت الهمزة على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون **فغير دين الله يبغون** ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن تعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث أن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل وروي أن أهل الكتاب اختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه فيما اختلفوا فيه من دين إبراهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى أنه أولى به فقال صلى الله عليه كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة أبي عمرو لأن الباغين هم المتولون

٢٧

والواجهون جميع الناس **وقرئ** بالياء معا وبالتاء معا **طوعا** بالنظر في الأدلة والإنصاف من نفسه **وكرها** بالسيف أو بمعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل على بني إسرائيل وإدراك الغرق فرعون والإشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين أمر رسول الله صلى الله عليه بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالإيمان فلذلك وحد الضمير في **قل** وجمع في **آمنا** ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالا من الله لقدر نبيه فإن قلت لم عدي **أنزل** في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر ومن قال إنما قيل علينا لقوله قل وإلينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لأن الرسول يأتيه الوحي عن طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف ألا ترى إلى قوله بما أنزل إليك وأنزلنا إليك الكتاب وإلى قوله آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا **ونحن له مسلمون** موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها ثم قال **ومن يبتغ غير الإسلام** يعني التوحيد وإسلام الوجه لله **دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الإسلام بالإدغام **كيف يهدي الله قوما** كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم وبعد ما شهدوا بأن الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه بعد أن كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة إيمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن أبيرق ووحوح بن الأسلت والحارث بن سويد بن الصامت فإن قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان أن يعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا كقوله تعالى فأصدق وأكن وقول الشاعر

ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب

ويجوز أن تكون الواو للحال بإضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق **والله لا يهدي** لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم أن اللطف لا ينفعهم **إلا الذين تابوا من بعد ذلك** الكفر العظيم والارتداد **وأصلحوا** ما أفسدوا أو ودخلوا في الصلاح فقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فأرسل إلى قومه أن سلوا هل لي من توبة فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية فأقبل إلى المدينة فتاب وقبل رسول الله توبته **ثم ازدادوا كفرا** هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن أو كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بإصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الإيمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وإن أردنا الرجعة نافقنا بإظهار التوبة فإن قلت قد علم أن المرتد كيف ما ازداد كفرا فإنه مقبول التوبة إذا تاب فما معنى **لن تقبل توبتهم** قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لأن الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كأنه قيل إن اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم فإن قلت فلم جعل في إحدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الأخرى فلن يقبل قلت قد أوذن بالفاء أن الكلام بني على الشرط والجزاء وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء أن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فإن قلت فحين كان المعنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجرة إلى الموت على الكفر قلت لأنه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع إلى الإسلام ولا يموت على الكفر فإن قلت فأي فائدة في هذه الكناية أعني أن كني عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار وإبراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي أغلظ الأحوال وأشدها ألا ترى أن الموت على الكفر إنما يخاف من أجل اليأس من الرحمة **ذهبا** نصب على التمييز وقرأ الأعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال فإن قلت كيف موقع قوله **ولو افتدى به** قلت هو كلام محمول على المعنى كأنه قيل فلن تقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا ويجوز أن يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله

ولا هيثم الليلة للمطي ... ولا فتى مثل ابن خيبري

وقضية ولا أبا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل أبي حسن كما أنه يزاد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد أنت وذلك أن المثلين يسد أحدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وأن يراد فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه وقرئ فلن نقبل من أحدهم ملء الأرض على البناء للفاعل وهو الله عز وعلا ونصب ملء وملء الأرض بتخفيف الهمزة **لن تنالوا البر** لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا أبرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه **حتى تنفقوا مما تحبون** حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله إذا أحبوا شيئا جعلوه لله وروي أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله إن أحب أموالي إلي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال صلى الله عليه بخ بخ ذاك مال رابح أو مال رايح وإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها في أقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله أسامة بن زيد فكأن زيدا وجد في نفسه وقال إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله أما إن الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت أعجبته فقال إن الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها وروي أنه نزل في ضيف فقال للرامي طاريني ما يلي في باقة فهم رائد فقال أحسن فقال وجدن غيره لا بل فجاها فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال إن يوم حاجتي إليه أبو ضع وحفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على أن من في مما تحبون للتبعيض ونحوه أخذت من المال ومرفع من في **من شيء** للتبيين أي من أي شيء كان طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه **فإن الله به عليم** بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه **كل الطعام** كل المطعومات أو كل أنواع الطعام والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا ومنه حديث عائشة رضي الله عنها كنت أطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي **حرم إسرائيل** وهو يعقوب عليه السلام **على نفسه** لحوم الإبل وألبانها وقيل العروق وكان به عرق النسا فنذر إن شفي أن يحرم على نفسه أحب الطعام إليه وكان ذلك أحبه إليه فحرمه وقيل أشارت عليه الأطباء باجتنابه ففعل وذلك بإذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم إلى قوله عذابا أليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم

ليغيظهم وظلمهم فقالوا لسنا اول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابراهيم ومن
بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله
عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واكل اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا
منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها** امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما هو
ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم لم يجسروا
على اخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي
ينكرونه **فمن افترى على الله الكذب** بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التوراة **من بعد ذلك** من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة
فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات **قل صدق الله** تعريض بكذبهم
كصريح ذلك ... اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون **فاتبعوا ملة ابراهيم** وهي ملة الاسلام التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم
حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن تبعه **وضع
للناس** صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل تدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله
بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن
اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه
ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة
والبركة واول من بناه ابراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش
وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل
الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم عليه السلام في
الارض وقيل لما اهبط آدم عليه السلام قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في
موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات **للذي ببكة**
للبيت الذي ببكة وهو علم للبيت الحرام ومكة علم البلد وفيه لغتان نحو قولهم النبيط والنميط وفي اسم موضع
بالدهنا لازب ولازم وراتب وراتم ... وقيل بكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها
من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي
بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال اذا الشريب اخذته اكة فخله حتى يبك بكه
وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله **مباركا** كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره
واعتكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير
للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار **وهدى للعالمين** لانه قبلتهم ومتعبدهم **مقام
ابراهيم** عطف بيان لقوله **آيات بينات** فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان
يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام من
تاثير قدمه عليه السلام في حجر صلد كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم في
الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء
عليهم السلام آية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة
آية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة
ويجوز ان تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام
ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم
من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني
في الصلوة وقرأ ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل
على ان مقام ابراهيم واقع وحده عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابراهيم والامن
عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية قلت اجزت ذلك من
حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على امن من دخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم
وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة امن
من دخله فان قلت كيف سبب هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة
وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة
فقالت له امرأة اسمعيل انزل حتى اغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع
قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه
ومعنى **ومن دخله كان آمنا** معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة
ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن
عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص
او ردة او زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج
وقيل امنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه عليه السلام الحجون
والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة
ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل
واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من
نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام **من استطاع** بدل من الناس وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله فسر
الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة
ومذهب مالك والشافعي ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة
من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع
له وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك
يجب عليه الحج والضمير في **اليه** للبيت او للحج وكل مأتى الى الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من
التوكيد والتشديد منها قوله **ولله على الناس حج البيت** يعني انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن
ادائه والخروج من عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه **سبيلا** وفيه ضربان من التاكيد
احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له
في صورتين مختلفتين ومنها قوله **ومن كفر** مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه

من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر
الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله **عن العالمين** وان لم يقل عنه وما فيه
من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء
الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم
قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون
وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا
قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا فكانى انظر الى حبشي
اصمع افدع بيده معول يهدمها حجرا حجرا وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت
وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر **والله شهيد** الواو للحال
والمعنى **لم تكفرون بآيات الله** التي دلتكم على صدق محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم
عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته **لم تصدون عن سبيل الله** عن دين
محمد حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهي الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون
لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم
ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله **تبغونها عوجا** تطلبون لها
اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان
احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ
وبتغييركم صفة رسول الله عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق
وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم **وانتم شهداء** انها سبيل الله
التي لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم
في عظائم امورهم وهم الاحبار **وما الله بغافل** وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال **فريقا** من الذين
يعني اليهود وكان غاظهم الكفر شدة الطعن على المسلمين شاس بن قيس احد اليهود على نفر من
الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان
بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس
اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس
والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا
السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون
الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف
بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق
بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك
اليوم **وكيف تكفرون** معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم
الكفر والحال انكم **تتلى عليكم آيات الله** وهي القرآن المعجز **وفيكم رسوله** على لسان الرسول غضة طرية
وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم **ومن يعتصم بالله** ومن يتمسك بدينه
او بالله على ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم **فقد هدي** فقد حصل
له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا
ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح
عنده **حق تقاته** واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم ونحوه فاتقوا
الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا
يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تاخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط
ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد
ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو
لا تاتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان
واعتصموا بحبل الله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان
مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا
لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا
على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين
لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط
مستقيم **ولا تفرقوا** ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم
متفرقين في الجاهلية مدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول
معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما ياباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام
كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف
فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم
وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة
وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله
وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر **فانقذكم منها** بالاسلام والضمير
للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم
وشفا الحفرة وشفتها حرفها قال الله تعالى على شفا جرف هار ولا مها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة
ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على
ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين
على الوقوع فيها **كذلك** مثل ذلك البيان البليغ **يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ارادة ان تزدادوا هدى
ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له
الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف
وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع
اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث
كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله

كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون **واولئك هم المفلحون** هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان رحمهما الله فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشر قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تارك الصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليتمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل **يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف** قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلاة الوسطى **كالذين تفرقوا واختلفوا** وهم اليهود والنصارى **من بعد ما جاءهم البينات** الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعة هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم **يوم تبيض وجوه** نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكروا وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله **اكفرتم** فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد ايمانهم تكذيبهم برسول الله بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اتقوله برأيك ام شيء سمعته من رسول الله قال بل سمعته من رسول الله غير مرة قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى **ففي رحمة الله** ففي نعمته وهو الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله **هم فيها خالدون** بعد قوله ففي رحمة الله قلت موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون **تلك آيات الله** الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه **وما الله يريد ظلما** فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال **للعالمين** على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضى بها كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله **كنتم خير امة** كأنه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به **اخرجت** اظهرت وقوله **تأمرون** كلام مستأنف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم **وتؤمنون بالله** جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول وكتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكأنه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله **ولو آمن اهل الكتاب** مع ايمانهم بالله **لكان خيرا لهم** لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين **منهم المؤمنون** كعبد الله بن سلام واصحابه **واكثرهم الفاسقون** المتمردون في الكفر **لن يضروكم الا اذى** الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك **وان يقاتلوكم يولوكم الادبار** منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر **ثم لا ينصرون** ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لان كفرة اهل الكتاب كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كأنه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت اي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كأنه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم

ثمن

اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شأنه كيت وكيت ولذلك جاءا من غير عاطف **بحبل من الله** في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او متلبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال والمعنى **ضربت عليهم الذلة** في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله **وحبل من الناس** يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية **وباءوا بغضب من الله** استوجبوه **وضربت عليهم المسكنة** كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه **ذلك** اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة عليهم والمسكنة والبوء بالغضب من الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم **بآيات الله** وقتلهم **الانبياء** ثم قال **ذلك بما عصوا** اي ذلك كان بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه حطيا [illegible] واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل والضمير في **ليسوا** لاهل الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله **من اهل الكتاب امة قائمة** كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل عنى صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية و**يتلون** **ويؤمنون** في محل الرفع صفتان لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي **واولئك** الموصوفون بما وصفوا به من جملة **الصالحين** الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين **فلن يكفروه** لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فان قلت لم عدي الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ يفعلوا فلن يكفروه بالياء والتاء **والله عليم بالمتقين** بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال

لا تعدلن اتاويين تضربهم • نكباء صر باصحاب المحلات •

كما قالت ليلى الاخيلية

ولم يغلب الخصم الالد وتملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر •

فان قلت فما معنى قوله **كمثل ريح فيها صر** قلت فيه اوجه احدها ان الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل قال • وفي الرحمن للضعفاء كاف • شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما انفقوا في عداوة رسول الله فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه لاجله وشبه **بحرث قوم ظلموا انفسهم** فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا في ضياعه بالحرث فلم قال **ظلموا انفسهم** قلت لان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه شيء وحرث الكفار الظالمين هو الذي يذهب على الكلية فلا منفعة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة واما حرث المؤمن فلا يذهب على الكلية لانه وان كان يذهب صورة الا انه لا يذهب معنى لما فيه من حصول الاعواض له في الآخرة والثواب لصبره على الذهاب فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي مر في قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء **وما ظلمهم الله** الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها هم ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشأن لانه انما يجوز في الشعر بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار **من دونكم** من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز ان يتعلق بلا تتخذوا وبطانة على الوصف اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم **لا يألونكم خبالا** يقال ألا في الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد **ودوا ما عنتم** ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه **قد بدت البغضاء من افواههم** لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدا البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء **قد بينا لكم الآيات** الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه **ان كنتم تعقلون** ما بين لكم فعملتم به فان قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز ان يكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة غير مانعيكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدأ واحسن منه وابلغ ان تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة **ها** للتنبيه **وانتم** مبتدأ **واولاء** خبره اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تعالى **تحبونهم ولا يحبونكم** بيان لخطئهم في موالاتهم حيث تبذلون محبتكم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول تحبونهم صلته والواو في **وتؤمنون** للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم

الكتب تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ونحوه فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ... قال الحرث بن ظالم المري ... وأكل أقواما ليانا ... يعضون من غيظ رؤوس الأباهم **قل موتوا بغيظكم** دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار **إن الله عليم بذات الصدور** فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق في البغضاء وما يكونه منهم في خلاء بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول وخارج منها فإن قلت كيف معناه على الوجهين قلت إذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظا إذا خلوا وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا أن شيئا من أسراركم يخفى عليه وإذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من إطلاعي إياك على ما يسرون فإني أعلم ما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم ولم يظهروه بألسنتهم ويجوز أن لا يكون ثم قول وأن يكون قوله قل موتوا بغيظكم أمرا لرسول الله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظا بإعزاز الإسلام وإذلالهم به كأنه قيل حدث نفسك بذلك **حسنة** الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع **والسيئة** ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونكم على ما نالكم من الخير ويشمتون بكم فيما أصابكم من الشدة فإن قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة قلت المس مستعار لمعنى الإصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى إلى قوله إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وإذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا **وإن تصبروا** على عداوتهم **وتتقوا** ما نهيتم عنه من موالاتهم أو وإن تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله **لا يضركم كيدهم** وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على أن ضمة الراء لإتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك **إن الله بما يعملون** من الصبر والتقوى وغيرهما **محيط** ففاعل بكم ما أنتم أهله وقرئ بالياء بمعنى أنه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه **وإذ** واذكر **إذ غدوت من أهلك** بالمدينة وهو غدوه إلى أحد من حجرة عائشة روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه ودعا عبد الله ابن أبي سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الأنصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا فقال عليه السلام إني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله تعالى بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه قد لبس لأمته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح إن رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا **تبوئ المؤمنين** تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ لهم **مقاعد للقتال** مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى أجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل أن تقوم من مقامك وموضع حكمك **والله سميع** لأقوالكم **عليم** بنياتكم وضمائركم **إذ همت** بدل من إذ غدوت أو عمل فيه معنى سميع عليم **والطائفتان** حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان خرج رسول الله في ألف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله وعن ابن عباس أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الإطنابة • أقول لها إذا جشأت وجاشت • مكانك تحمدي أو تستريحي • حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني إلا قول عمرو بن الإطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول **والله وليهما** ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولي أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله فإن قلت ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وإنزاله فيهم آية ناطقة بالولاية وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها **والفشل** الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والأذلة جمع قلة والذلائل جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد وقلتهم أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة **وبدر** اسم بئر كانت لرجل يسمى بدرا فسميت به **فاتقوا الله** في الثبات مع رسوله **لعلكم تشكرون** بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له **إذ تقول** ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أو بدل ثان من إذ غدوت على أن يقوله لهم يوم أحد فإن قلت كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا على الضرائب ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله

ومعنى **ألن يكفيكم** إنكار أن لا يكفيهم الإمداد **بثلاثة آلاف من الملائكة** وإنما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر و**بلى** إيجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الإمداد فأوجب الكفاية ثم قال **وإن تصبروا وتتقوا** ... العدد **مسومين** للقتال **ويأتوكم** يعني المشركين **من فورهم هذا** من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول أبي حنيفة رحمه الله الأمر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول خرج من ساعته لم يلبث والمعنى أن يأتوكم من ساعتهم هذه **يمددكم ربكم** بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يريد أن الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين أنفسهم أو خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لأصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت **وما جعله الله** الهاء لأن يمددكم أي وما جعل الله إمدادكم بالملائكة **إلا بشرى لكم** إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون **ولتطمئن قلوبكم به** كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم **وما النصر إلا من عند الله** لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذكر الإمداد بها مما تقوى به قلوبكم رجاء النصر والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين **العزيز** الذي لا يغالب في حكمه **الحكيم** الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة **ليقطع طرفا من الذين كفروا** ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم **أو يكبتهم** أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة **فينقلبوا خائبين** غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول أبي الطيب • لأكبت حاسدا وأري عدوا • هو من الكبد والرئة واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر إلا من عند الله **أو يتوب** عطف على ما قبله و**ليس لك من الأمر شيء** اعتراض والمعنى أن الله مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا **أو يعذبهم** إن أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم وقيل إن يتوب منصوب بإضمار أن وأن يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الأمر أو على شيء أي ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل أو بمعنى إلا أن كقولك لألزمنك أو تعطيني حقي على معنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته فجعل عليه السلام يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم فنزلت وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه أن فيهم من يؤمن **يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء** بالتوبة ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين ولا يشاء أن يعذب إلا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب عليه ويعذب من لقيه ظالما وإتباعه قوله تعالى أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وأنهم المتوب عليهم والظالمون ولكن أهل الأهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون أنفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير **لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة** نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله زاد في الأجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون **واتقوا النار التي أعدت للكافرين** كان أبو حنيفة رحمه الله يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل هذه الآية وأمثالها لم يحدث نفسه بالأطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وإن قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة إصابة رضى الله وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه **وسارعوا** في مصاحف أهل المدينة والشام بغير واو وقرأ الباقون بالواو ويعضد قراءة أبي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة الإقبال على ما يستحقان به **عرضها السموات والأرض** أي عرضها عرض السموات والأرض كقوله تعالى عرضها كعرض السماء والأرض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من إستبرق وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض **في السراء والضراء** في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالين ما قدروا عليه من كثير أو قليل كما حكي عن بعض السلف أنه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب وفي جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يشغلهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء عن المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس أو حبس فإنه لا يدع الإحسان وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس وأدله على الإخلاص ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين كظم القربة إذا ملأها وشد فاها وكظم البعير إذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا وعن النبي صلى الله عليه من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا وعن عائشة رضي الله عنها أن خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء **والعافين عن الناس** إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروي ينادي منادي يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وآله إن هؤلاء قليل في أمتي إلا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت **والله يحب** يجوز أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وأن تكون للعهد فتكون إشارة إلى هؤلاء **والذين** عطف على المتقين أي أعدت للمتقين وللتائبين وقوله **أولئك** إشارة إلى الفريقين ويجوز أن يكون والذين ابتداء خبره أولئك **فاحشة** فعلة متزايدة القبح **أو ظلموا أنفسهم** أو أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة **ذكروا الله** تذكروا عقابه أو وعيده أو نهيه أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء **فاستغفروا لذنوبهم** فتابوا عنها لقبحها نادمين **ومن يغفر الذنوب إلا الله** وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وأنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه وأن عدله يوجب المغفرة للتائب لأن العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها

وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه. ولم يصروا ليبعثوا على الرجاء فعلمهم عن من يستغفرون وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار. وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال ونعم اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ● ان السفينة لا تجري على اليبس ●

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات. قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تجد لسنة الله التي قد خلت. هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم. وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وتبين من امر المتقين والتائبين والمصرين. ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله سبحانه لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح. وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جند الله هم الغالبون. ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة. قرح قرئ بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرأ ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان تخالفوا امر رسول الله. فان قلت كيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم بدر مثل قرح المشركين قلت بلى كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون. وتلك الايام تلك مبتدأ والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدأ وخبرا كما يقول هي الايام تبلى كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة. نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله

فيوما علينا ويوما لنا ● ويوما نساء ويوما نسر ●

وفي امثال العرب الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا ● والمداولة مثل المعاورة يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه قال

يرد المياه فلا يزال مداولا ● في الناس بين تمثل وسماع ●

وليعلم الله الذين آمنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات. والثاني ان تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه. ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة بما يبتلى به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس. والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله. وليمحص الله الذين آمنوا التمحيص التطهير والتصفية. ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم. ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار. ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها. ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون. ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين الحوا على رسول الله في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته. فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي رايتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده. فان قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كما ان

٢١

من شرب دواء الطبيب النصراني قاصدا الى حصول ما يامل من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض الى مؤتة وقيل له ردكم الله

لكنني اسأل الرحمن مغفرة ● وضربة ذات فرع تقذف الزبدا ● او طعنة بيدي حران مجهزة ● بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا ● حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ● ارشدك الله من غاز وقد رشدا ●

لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤوا فجعل رسول الله يدعو الي عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل رضي الله عنه وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قد قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه. افإن مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه. فان قلت لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل قلت لكونه مجوزا عند المخاطبين. فان قلت اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم وكذلك العلم بانه لا يموت [illegible] هذا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واذلالهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله واسلامه. فلن يضر الله شيئا فما ضر الا نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع. وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا. المعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشيئة الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن الله فيه تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن الله وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو واعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتاخير الاجل. كتابا مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا. مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر. ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد. نؤته منها اي من ثوابها. وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما. وكأين قرئ [illegible] قاتل وقتل وقتل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان. وما كان قولهم هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة. فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة. ان تطيعوا الذين كفروا قال علي عليه السلام نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم. بل الله مولاكم اي ناصركم فلا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على بل اطيعوا الله مولاكم. سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا. بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به. ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة. فان قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ● ولا ترى الضب بها ينجحر ● ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم ويجوز ان يكون الوعد قوله سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم. اذ تحسونهم تقتلونهم قتلا ذريعا. حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف الراي وتنازعتم فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا هاهنا وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله فثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينتهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وقبلوا على المسلمين وحالت

إلى ريح دبولا وكانت صائحة من نوهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله **ثم صرفكم عنهم ليبتليكم** ليمتحن صبركم على المصائب
وثباتكم على الإيمان عندها **ولقد عفا عنكم** لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان أمر رسول الله **والله ذو فضل
على المؤمنين** يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لأن الابتلاء
رحمة كما أن النصرة رحمة فإن قلت بم يتعلق قوله إذ قلت بصرفكم ... **إذ تصعدون** ... أو بقوله
ليبتليكم أو بإضمار اذكر والإصعاد الذهاب في الأرض والإبعاد فيه يقال صعد في الجبل وأصعد في الأرض
يقال أصعدنا من مكة إلى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضدها قراءة أبي إذ تصعدون
في الوادي وقرأ أبو حيوة تصعّدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعّد في السلم وقرأ الحسن تلوون بواو
واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء **والرسول يدعوكم** كان يقول إليّ عباد الله إليّ عباد الله
أنا رسول الله من يكر فله الجنة **في أخراكم** في ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وفي
أخراهم كما يقال في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى **فأثابكم** عطف على صرفكم أي
فجازاكم الله **غما** حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم أذقتموه رسول الله بعصيانكم له أو غما مضاعفا
غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت
الغنيمة والنصر **لكيلا تحزنوا** لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد
على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز أن يكون الضمير في فأثابكم للرسول أي فآساكم في الاغتمام
وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فأثابكم غما اغتمه لأجلكم بسبب غم
اغتممتموه لأجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم
لئلا تحزنوا **على ما فاتكم** من نصر الله **ولا ما أصابكم** من غلبة العدو فإن الله أنزل على المؤمنين الأمن وأزال عنهم
الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن أبي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف
يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما أحد إلا ويميل تحت حجفته وعن الزبير كنت مع رسول الله
حين اشتد علينا الخوف فأرسل الله علينا النوم والله إني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني
يقول لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا وقرئ **أمنة** بسكون الميم كأنها المرة من الأمن
نعاسا بدل من أمنة ويجوز أن يكون هو المفعول وأمنة حالا منه مقدمة عليه كقولك رأيت راكبا
رجلا أو مفعولا له بمعنى نعستم أمنة ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع
آمن كبار وبررة **يغشى** قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس أو على الأمنة **طائفة منكم** هم أهل الصدق واليقين
وطائفة هم المنافقون **قد أهمتهم أنفسهم** ما بهم إلا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين أو قد
أوقعتهم في الهموم ...

[illegible]

اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم ...
وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما
يصعد في السماء ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم
حسرة في قلوبهم لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم **والله يحيي ويميت**
رد لقولهم أي الأمر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما شاء وعن خالد بن الوليد أنه قال عند
موته ما فيّ موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء **والله
بما تعملون بصير** فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا **ولئن** ... جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط
وكذلك لإلى الله تحشرون كذب الكافرين أولا في زعمهم أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان في المدينة لما
مات ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك
بالموت أو القتل في سبيل الله فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله **خير مما تجمعون** من الدنيا
ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الأرض ذهبة حمراء وقرئ بالياء أي مما يجمعه الكفار **لإلى الله
تحشرون** لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقدمه
وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات
ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم ومعنى
الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اغتم لهم ...

[illegible]

من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلوا عليهم آياته بعد ما كانوا على جاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي
ويزكيهم ويطهرهم من نجس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث وقيل
ويأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا أجهل الناس وأبعدهم
من دراسة العلوم وإن كانوا من قبل بعثة الرسول لفي ضلال أن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
بينها وبين النافية وتقديره وإن الشأن والحديث كانوا من قبل لفي ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه أولما أصابتكم
مصيبة يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم قد أصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين ولما
نصب بقلتم وأصابتكم في محل الجر بإضافة لما إليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم وأنى هذا نصب لأنه
مقول والهمزة للتقرير والتقريع فإن قلت علام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة
أحد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز أن تكون معطوفة على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا
وقلتم حينئذ كذا أنى هذا من أين هذا كقوله تعالى أنى لك هذا لقوله من عند أنفسكم كقوله من عند الله
والمعنى أنتم السبب فيما أصابكم لاختياركم الخروج من المدينة أو لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله
عنه لأخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤذن لكم إن الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى
أن يصيب بكم تارة ويصيب منكم أخرى وما أصابكم يوم التقى الجمعان يوم أحد جمعكم وجمع المشركين فهو كائن
بإذن الله أي بتخليته استعار الإذن لتخلية الكفار وأنه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لأن الآذن
مخل بين المأذون له ومراده وليعلم المؤمنين وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر إيمان
هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وإنما لم يقل وقالوا لأنه جواب لسؤال اقتضاه
دعاء المؤمنين لهم إلى القتال كأنه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز أن تقتصر الصلة على نافقوا
ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الأمر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين أن يقاتلوا
إن لم تكن بهم رغبة في الآخرة دفعا عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم فأبوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا
لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي أن عبد الله بن أبي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل أو ادفعوا
العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وإن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه
وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو أمكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين
فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله تعالى أو ادفعوا أراد أكثر سوادهم
ووجه آخر وهو أن يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون أن ما أنتم
فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال إنما هو إلقاء بالنفس إلى التهلكة لأن
رأي عبد الله كان في الإقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان
يعني أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن
عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لأهل
الكفر نصرة أقرب منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم سواد المؤمنين بالانخذال تقوية للمشركين يقولون بأفواههم
لا يتجاوز إيمانهم أفواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الأفواه مع القلوب تصوير
لنفاقهم وأن إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لأفواههم
والله أعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم
والشماتة بهم وغير ذلك لأنكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بأمارات وأنا أعلم كله علم إحاطة
بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا في إعرابه أوجه أن يكون نصبا على الذم أو على الرد على الذين نافقوا أو رفعا
على هم الذين قالوا أو على الإبدال من واو يكتمون ويجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير في بأفواههم
أو قلوبهم كقوله • على جوده لضن بالماء حاتم • لإخوانهم لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين
يوم أحد أو إخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا أي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو أطاعونا إخواننا
فيما أمرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين
معناه قل إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا إلى دفع الموت
سبيلا يعني أن ذلك الدفع غير مغن عنكم لأنكم إن دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت لم تقدروا
على دفع سائر أسبابه المبثوثة ولا بد لكم من أن يتعلق بكم بعضها وروي أنه مات يوم قالوا هذه المقالة
سبعون منافقا فإن قلت فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود فما معنى
قوله إن كنتم صادقين قلت معناه أن النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال وأن
يكون غيره لأن أسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم
أن سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون في مقالتكم وما أنكرتم أن يكون السبب غيره ووجه
آخر إن كنتم صادقين في قولكم لو أطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين
كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن أنفسكم الموت استهزاء بهم أي إن كنتم رجالا دفاعين لأسباب الموت
فادرءوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب لرسول الله أو لكل أحد وقرئ بالياء على ولا يحسبن
رسول الله أو ولا يحسبن حاسب ويجوز أن يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا
أمواتا أي ولا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا فإن قلت كيف جاز حذف المفعول الأول قلت
هو في الأصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله أحياء والمعنى هم أحياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ
تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد وأحياء بالنصب على معنى بل احسبهم أحياء عند ربهم مقربون عنده
ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد
لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في
الشهادة وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة
ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر تدور في
أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون بإخوانهم
المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم أي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا من بعدهم
وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ألا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى
ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة
بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم
على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء وإصابة فضلهم وإحماد لحال من يرى
نفسه في خير فيتمنى مثله لإخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب وكرر يستبشرون ليعلق
به ما هو بيان لقوله ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب
في عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وأن الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء

٤٦

وعلى أن الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا مبتدأ خبره للذين أحسنوا
أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح روي أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا
وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب
أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج مع جماعة حتى
بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا
يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين أحسنوا منهم للتبيين
مثلها في قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا
كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة إن أبويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني أبا
بكر والزبير الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم روي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم
بدر لقابل إن شئت فقال صلى الله عليه وسلم إن شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل
مر الظهران فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمرا
فقال يا نعيم إني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر وإن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب
فيه اللبن وقد بدا لي ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي
عشر من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم وقراركم فلم
يفلت منكم أحد إلا شريدا أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد
وقيل مر بأبي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوهم فكره
المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وهم
يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها إبراهيم صلوات الله عليه حين ألقي في النار
حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين
غانمين ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا إنما خرجتم لتشربوا السويق
والناس الأول المثبطون والآخرون أبو سفيان وأصحابه فإن قلت كيف قيل الناس إن الناس والمراد بالأول نعيم وحده
قلت قيل ذلك لأنه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له إلا فرس واحد وبرد فرد أو لأنه حين
قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فإن قلت
إلام يرجع المستكن في فزادهم قلت إلى المقول الذي هو إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كأنه قيل قال لهم هذا
الكلام فزادهم إيمانا أو إلى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له أو إلى الناس إذا أريد به نعيم وحده
فإن قلت كيف زادهم نعيم أو مقوله إيمانا قلت لما لم يسمعوا قوله وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد
وأظهروا حمية الإسلام كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم كما يزداد الإيقان بتناصر الحجج ولأن خروجهم
على أثر تثبيطه إلى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الإيمان لأن الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل
وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله إن الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه
النار وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد إيمانا وعنه لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة
لرجح به حسبنا الله محسبنا الله أي كافينا يقال أحسبه الشيء إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنك تقول
هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لأن إضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم
الموكول إليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح
في التجارة كقوله ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يخافون من كيد عدو
واتبعوا رضوان الله بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك
تحسير لمن تخلف عنهم وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فازوا به وروي أنهم قالوا هل يكون هذا
غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم إنما ذلكم الشيطان خبر ذلكم يعني إنما ذلكم المثبط هو الشيطان
يخوف أولياءه جملة مستأنفة بيان لتثبيطه أو الشيطان صفة لاسم الإشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان
نعيم أو أبو سفيان ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى إنما ذلكم قول الشيطان أي قول إبليس
لعنه الله يخوف أولياءه يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم
أولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله فإن قلت فإلام رجع
الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت إلى الناس في قوله إن الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا
عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به إن كنتم مؤمنين يعني أن الإيمان يقتضي
أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون أحدا إلا الله يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون
فيه أشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الإسلام فإن قلت فما معنى قوله
تعالى ولا يحزنك ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف أن يضروك
ويعينوا عليك ألا ترى إلى قوله إنهم لن يضروا الله شيئا يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم وما
وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة أي نصيبا
من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك أبلغ ما ضر به الإنسان نفسه فإن قلت فهلا قيل لا يجعل الله
لهم حظا في الآخرة وأي فائدة في ذكر الإرادة قلت فائدته الإشعار بأن الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم قد
خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تمادي طغيانهم وبلوغهم الغاية فيه حتى
أن أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان إما أن يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم
بما أضاف إليهم وإما أن يكون عاما للكفار والأول خاصا فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الإسلام أو على
العكس وشيئا نصب على المصدر لأن المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر وقرئ ولا يحسبن بالتاء والياء فيمن قرأ بالتاء فإنما
نملي لهم خير لأنفسهم بدل منه أي لا تحسبن أن ما نملي للكفار خير لهم وأن مع ما في حيزه ينوب عن
المفعولين كقوله تعالى أم حسبت أن أكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن أن إملاءنا خير وكان حقها
في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الإمام في خط المصاحف
فإن قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر إلا أحد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد
قلت صح ذلك من حيث إن التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى ألا تراك تقول جعلت متاعك
بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز أن يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب
أن الإملاء خير لأنفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل
متعلق بأن وما في حيزه والإملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل
هو إمهالهم وإطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن أن الإملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم إنما نملي لهم ما هذه
حقها أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة الأولى فكأنه قيل ما بالهم
لا يحسبون الإملاء خيرا لهم فقيل إنما نملي لهم ليزدادوا إثما فإن قلت كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضا لله

تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة
وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للاملاء
وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة القعود عن الحرب قلت لما كان في
علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرأ يحيى
بن وثاب بكسر انما الاولى وفتح الثانية ويحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون
وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان
املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان
قلت فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا انما نملي لهم لزيادة الاثم
وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين على ما انتم عليه
من اختلاط المؤمنين بالمخلص والمنافق حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من
ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين
جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم
ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي اليه
واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا
عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها
ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء برسالة الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص
فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى
يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم
كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم
حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها
فان ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها
من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه
حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا
ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي
قال الكفار ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا يحسبن من قرأ بالتاء قدر
مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول
الله او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين
يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الاعمش بغير هو
سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها
طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم
القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وآله مانع الزكوة
يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث
السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه
بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما تعملون بالتاء
والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر قالت اليهود حين سمعوا قول
الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فالا يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء بالقرآن
وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم
يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا
لا ننساه كما يثبت المكتوب فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا
قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا
اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا العلم به وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وان
هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه
الاجتراء على مثل هذا القول وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله كتب مع ابي بكر الى يهود بني
قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال
فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا
وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت ونحوه يد الله مغلولة
ونقول ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين
الغصص يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرأ
حمزة سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود ويقال ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم
وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل
التغليب فان قلت فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه
غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاقهم التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام
للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن عهد الينا امرنا في التورية
واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه الآية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتاكله كما كان
انبياء بني اسرائيل تلك الآية كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله وهذه دعوى
باطلة وافتراء على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الا لكونه آية ومعجزة فهو اذا
وسائر الآيات سواء فلا يكون لتعنته الله تعالى [illegible] وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاؤهم بالبينات
الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاؤهم ايضا بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين
ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان فان قلت فما معنى قوله
وبالذي قلتم قلت معناه وبالذي قلتموه من قولكم قربان تاكله النار ومؤداه كقوله تعالى [illegible]
لما قالوا اي لمعنى ما قالوا [illegible] والزبر [illegible] والكتاب المنير التورية والانجيل والزبور
وهذه تسلية لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب اليهود وقرأ اليزيدي ذائقة الموت على [illegible] وقرأ الاعمش
ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به
قوله تعالى وانما توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون
اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم من القبور فان قلت

فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار قلت كلمة التوفية
تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور
فمن زحزح التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق
المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان
الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه وآله
من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس
ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس
به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له رداءته وفساده والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن
جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا
انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون
لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر
والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبل الخير وما يقع فيها من
الآفات وما تسمعون من اهل الكتاب من المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن
وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله وتحريض المشركين ومن فنحاص وبني قريظة والنضير
فان ذلك فان الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم
الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه
كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم
يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب
العين والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا
منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام
دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه
وآله من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك
بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن
كعب القرظي لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء
لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن
لرسول الله او احد يسمعونه الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا
تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين وقرئ لا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح
الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرئ بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين
يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون
فائزين وفلا يحسبنهم تأكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان
وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا
وعن علي عليه السلام بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله سأل
اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه
وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين
يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم
عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اتوا بما اتوه من علماء التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان
نعت رسول الله ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم حيث ادعوا ان ابراهيم كان على اليهودية
وانهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قفل اعتذروا اليه بانهم رأوا المصلحة في
التخلف عنه واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين
ونفاقهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة
لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس
ويثنوا عليه بالديانة والزهد بما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم وهو على كل شيء قدير
فهو يقدر على عقابهم لآيات لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب
للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر
وفي النصائح الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب واجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا
في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر قلت
لعائشة اخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في
ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول
الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء
ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه
فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله
أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي
وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن
لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر
الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان رجلا من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة اظلته
سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله السحابة فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك فقال ما اذكر
قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما اتيت الا من ذلك يذكرون الله ذكرا دائما على اي
حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا
يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا
يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي صلى الله عليه وآله من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله
وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله لعمران بن حصين صل قائما فان
لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهذه حجة للشافعي رحمه الله في اضطجاع المريض على
جنبه كما في اللحد وعن ابي حنيفة رحمه الله انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال

قطعا على اقبلنا الله قياما وقعودا ومضطجعين **ويتفكرون في خلق السموات والارض** وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعة ثم رفع راسه الى السماء فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه واله بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه واله لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي صلى الله عليه واله لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض **ما خلقت هذا باطلا** على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله **فقنا عذاب النار** لانه جزاء من عصى ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا **سبحانك** اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة **فقد اخزيته** فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله تعالى فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق **وما للظالمين** اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف والحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد **ينادي للايمان** ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او الكفاية لبعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادعو الى الله وعن محمد بن كعب القران **ان امنوا** اي امنوا او بان امنوا **ذنوبنا** كبائرنا **سيئاتنا** صغائرنا **مع الابرار** مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب **على رسلك** هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى **ما وعدتنا** على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وقوله امنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء فان قلت كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجا الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجا الذي هو سيما العبودية يقال استجاب له واستجابه
فلم يستجبه عند ذاك مجيب •
اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد **من ذكر او انثى** بيان لعامل **بعضكم من بعض** اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الاخر اي من اصله وكانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت **فالذين هاجروا** تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج **من ديارهم** التي ولدوا فيها ونشؤوا بما سامهم المشركون من الخسف **واوذوا في سبيلي** من اجله وبسببه يريد سبيل الدين **وقاتلوا وقتلوا** وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل **ثوابا** في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا لان قوله **لاكفرن عنهم ولادخلنهم** في معنى لاثيبنهم **عنده** مثل اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الاية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء **لا يغرنك** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه واله او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم **في البلاد** يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم اهل مكة وقيل هم اليهود وروي ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار به قلت فيه وجهان احدهما ان مدرة القوم ومتقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكونن من الكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين امنوا امنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة

متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الاخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه واله ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع **وبئس المهاد** وساء ما مهدوا لانفسهم **نزلا** والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا • جعلنا القنا والمرهفات له نزلا •
وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله **وما عند الله** من الكثير الدائم **خير للابرار** مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرا مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرا يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد **وان من اهل الكتاب** عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه واله فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن **وما انزل اليكم** من القران **وما انزل اليهم** من الكتابين **خاشعين** حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع **لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا** كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم **اولئك لهم اجرهم** اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعده في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ويؤتكم كفلين من رحمته **ان الله سريع الحساب** لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز ان يراد انما توعدون لات قريب بعد ذكر الموعد **اصبروا** على الدين وتكاليفه **وصابروا** اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته **ورابطوا** واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه واله من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه واله من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرا السورة التي يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

ربع

سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس يا بني ادم **خلقكم من نفس واحدة** فرعكم من اصل واحد وهو نفس ادم ابيكم فان قلت علام عطف قوله **وخلق منها زوجها** قلت فيه وجهان احدهما ان يعطف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها او ابتداها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشاها من تراب وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعها **وبث منهما** نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله والمعنى خلقكم من نفس ادم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء **وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدا محذوف تقديره وهو خالق **تساءلون به** فادغمت التاء في السين وقرئ تسالون به بطرح التاء الثانية اي يسال بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانا شدك الله والرحم او تسالون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رايت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرا تسالون به مهموزا وغير مهموز وقرئ **والارحام** بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام وان يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة ابن مسعود تسالون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد الا ترى الى صحة قولك رايتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر
• فاذهب فما بك والايام من عجب •
والرفع على انه مبتدا خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام مما يتقى او والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا يقرون بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها او واتقوا الله الذي تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد اذن عز وجل اذ قرن الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سالك بالله فاعطه واذا سالك بالرحم فاعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عيينة الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال الم تسمع قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام واول صلته ان يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ونسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله **اليتامى** الذين مات اباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الاباء وفي البهائم من قبل الامهات فان قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى قلت فيه وجهان ان يجمع على يتمى

كأسرى ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله يتيم أبي طالب إما على القياس وإما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو إلا تعليم شريعة لا لغة يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار. فإن قلت فما معنى قوله **وآتوا اليتامى أموالهم** قلت إما أن يراد باليتامى الصغار وبإيتائهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة وإما أن يراد الكبار تسمية لهم على القياس أو لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على أن فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا إن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله إليه فقال النبي صلى الله عليه وآله ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الأجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الأجر للغلام وبقي الوزر على والده **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الأرض فتأكلوه مكانه أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة فما أكرم المستعجلات وقيل هو أن يعطي رديئا ويأخذ جيدا وعن السدي أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل وإنما هو تبديل إلا أن يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي **ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم** ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها إليها في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال. فإن قلت قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم فلم ورد النهي عن أكله معها قلت لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح أبلغ والذم أحق ولأنهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم **حوبا** ذنبا عظيما ومنه قوله عليه السلام إن طلاق أم أيوب لحوب وقرأ الحسن حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقولك قال قولا وقالا **وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى** قيل لما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى وأخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الأزواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأن من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فكأنه غير متحرج ولا تائب لأنه إنما وجب أن يتحرج من الذنب ويتاب منه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا **فانكحوا ما طاب لكم** من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم إن خفتم أن لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن **ما طاب لكم** ويقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل أيامى والأصل أيائم ويتائم ما طاب ما حل لكم من النساء لأن منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا إلى الصفة **مثنى وثلاث ورباع** معدولة عن أعداد مكررة وإنما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا. فإن قلت الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى. فإن قلت فلم جاء العطف بالواو دون أو قلت كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة علمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره أن الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع إن شاؤوا مختلفين في تلك الأعداد وإن شاؤوا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ إبراهيم النخعي وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع **فإن خفتم ألا تعدلوا** بين هذه الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها **فواحدة** فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فإن الأمر كله يدور مع العدل فأينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على معنى فالمقنع واحدة أو فكفت واحدة أو فحسبكم واحدة **أو ما ملكت أيمانكم** سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري إنهن أقل تبعة وأقصر شغبا وأخف مؤونة من المهائر لا عليك أكثرت منهن أم أقللت عدلت بينهن في القسم أم لم تعدل عزلت عنهن أم لم تعزل وقرأ ابن أبي عبلة أو من ملكت **ذلك** إشارة إلى اختيار الواحدة والتسري **أدنى ألا تعولوا** أقرب من أن لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا إذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه إذا جار وروي أن أعرابيا حكم عليه حاكم فقال له أتعول علي وقد روت عائشة عن رسول الله أن لا تعولوا أن لا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله أنه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم فوجهه أن يجعل من قولك عال الرجل عياله

يعولهم كقولك مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب لا تظنن بكلمة خرجت من في أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا وأساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات. فإن قلت كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر قلت ليس كذلك لأن الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير إذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالإضافة إلى التزوج كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع وقرأ طاوس أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده **صدقاتهن** مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد والسكون جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة **نحلة** من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث أبي بكر إني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة وفلان ينتحل كذا أي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على أنها مفعول لها ويجوز أن يكون حالا من الصدقات أي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أي تعظمه **منه** جار مجرى اسم الإشارة كأنه قيل عن شيء من ذلك كما قال الله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات وقد روي عن رؤبة في قوله كأنه في الجلد توليع البهق فقال أردت كأن ذاك أو يرجع إلى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لأنك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فأصدق وأكن من الصالحين كأنه قيل فأصدق ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف إلى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لأن بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا **نفسا** تمييز وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فإن وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم **فكلوه** فأنفقوه قالوا فإن وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم أنها لم تطب منه نفسا وعن الشعبي أن رجلا أتى مع امرأته شريحا في عطية أعطتها إياه وهي تطلب أن ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل أليس قد قال الله تعالى فإن طبن لكم فقال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه أقيلها فيما وهبت ولا أقيله لأنهن يخدعن وحكي أن رجلا من آل أبي معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته إلى عبد الملك بن مروان فقال الرجل أعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فأين الآية التي بعدها فلا تأخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر أنه كتب إلى قضاته إن النساء يعطين رغبة ورهبة فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها وهذه الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فإن طبن ولم يقل فإن وهبن أو سمحن إعلاما بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فإن طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فإن طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب **هنيئا مريئا** صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته وهما وصف للمصدر أي أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى أنهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة **السفهاء** المبذرون أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم بإصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للأولياء وأضاف الأموال إليهم لأنها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا أنفسكم والدليل على أنه خطاب للأولياء في أموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم **التي جعل الله لكم قياما** أي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الأمر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولأن أترك مالا يحاسبني الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له إنها تدنيك من الدنيا قال لئن أدنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب إلى دكانك **وارزقوهم فيها واكسوهم** واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق وقيل هو أمر لكل أحد أن لا يخرج ماله إلى أحد من السفهاء قريب أو أجنبي رجل أو امرأة يعلم أنه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده **قولا معروفا** قال ابن جريج عدة جميلة إن صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم وعن عطاء إذا ربحت أعطيتك وإن غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل إن لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله وإياك بارك الله فيك وكل ما سكنت إليه النفس وأحبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر **وابتلوا اليتامى** واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ **حتى إذا** تبينتم منهم **رشدا** أي هداية دفعتم **إليهم أموالهم** من غير تأخير عن حد البلوغ وبلوغ **النكاح**

ان يعلم انه يصلح للنكاح عليه ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والتناسل والايناس الاستيضاح فاستعير للتبيين واختلف في الابتلاء فقال ابو حنيفة واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يتبين حاله فيما يجيء منه والرشد الاهتداء في وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي الابتلاء ان تتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال فان قلت فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ قلت عند ابي حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يؤنس وعند اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد فان قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فان قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله • فما زالت القتلى تمج دماءها • بدجلة حتى ماء دجلة اشكل • والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود فان احستم بمعنى احسستم قال • احسن به فهن اليه شوس • وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعف من اكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وآله ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله فقال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنا جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم كما تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما ستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب اني انزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعي عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد الاستظهار بين توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل نصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستاثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن الصامت الانصاري ترك امرأته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر قسم ميراث ابيه وعائشة حية فلم يدع احدا في الدار الا اعطاه وتلا هذه الاية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ باية المواريث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون بها الناس والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات واليتامى والمساكين من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابها صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل • لقد زاد الحياة الي حبا • بناتي انهن من الضعاف • احاذر ان يرين البؤس بعدي • وان يشربن رنقا بعد صاف •

وقرئ ضعفا وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله لسعد ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع افضل من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ظلما ظالمين او على وجه الظلم من الاولياء والاوصياء في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • ومعنى ياكلون نارا ما يجر الى النار فكانه نار وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ وسيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الاية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهم حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى فلها النصف وقرئ بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم فان قلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يرد قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث قلت وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء فان قلت هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة قلت لا ابعد ذلك فان قلت لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امرأة قلت لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد ههنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال انفرادهما فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولابويه الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فان قلت فهلا قيل ولكل واحد من ابويه السدس واي فائدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما قلت لان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كان انثى عصب مع اعطاء السدس فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واي فائدة في قوله وورثه ابواه قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال قلت فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امرأة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس وعنه ان الاخوة ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام فان قلت فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية قلت الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجيم الا ترى انها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية من بعد وصية يتعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه

قرئ قسمة هذه الأنصباء بعد وصية يوصي بها وقرئ يوصى بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فإن قلت ما معنى أو قلت معناها الإباحة وأنه إن كان أحدهما أو كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين فإن قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها فكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة أو للتسوية بينهما في الوجوب ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أي لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا إلى حقيقة الأمر لأن عرض الدنيا وإن كان عاجلا قريبا في الصورة إلا أنه فان فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى وثواب الآخرة وإن كان آجلا إلا أنه باق فهو في الحقيقة الأقرب الأدنى وقيل إن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه إليه فيرفع وكذلك الأب إن كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع ابنه إليه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة وقيل الأب تجب عليه النفقة على الابن إذا احتاج وكذلك الابن إذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى أيهما أقرب نفعا وليس شيء من هذه الأقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لأن هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض أن يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصب نصب المصدر المؤكد أي فرض ذلك فرضا إن الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ولكم نصف ما ترك أزواجكم جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزوج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وإن كان رجل يعني الميت يورث من ورث أي يورث منه وهو صفة لرجل كلالة خبر كان أي وإن كان رجل موروث منه كلالة أو يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال أو مفعول به فإن قلت ما الكلالة قلت تنطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء قال الأعشى فآليت لا أرثي لها من كلالة ولا من حفى حتى ألاقي محمدا فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لأنها بالإضافة إلى قرابتهما كالة ضعيفة وإذا جعل صفة للموروث أو للوارث فمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز أن يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق فإن قلت فإن جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها قلت على أنه مفعول له أي يورث لأجل الكلالة أو يورث غيره لأجلها فإن قلت فإن جعلت يورث على البناء للمفعول من أورث فما وجهه قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث فإن قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما إلى من يرجع حينئذ قلت إلى الرجل وإلى أخيه أو أخته وعلى الأول إليهما فإن قلت إذا رجع الضمير إليهما أفاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الأنثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت نعم لأنك إذا قلت السدس له أو لواحد من الأخ أو الأخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والأنثى وعن أبي بكر الصديق أنه سئل عن الكلالة فقال أقول فيها برأيي فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك أن الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد أجمعوا على أن المراد أولاد الأم وتدل عليه قراءة أبي وله أخ أو أخت من الأم وقراءة سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم وقيل إنما استدل على أن الكلالة ها هنا الإخوة للأم خاصة بما ذكر في آخر السورة من أن للأختين الثلثين وأن للإخوة كل المال فعلم ها هنا أنه لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئا أنه يعني بهم الإخوة للأم وإلا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الإخوة الأخياف والأعيان وأولاد العلات وغيرهم غير مضار حال أي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك أن يوصي بزيادة على الثلث أو يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين أن يوصي بدين ليس عليه ومعناه الإقرار وصية من الله مصدر مؤكد أي يوصيكم الله بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز أن تكون منصوبة بغير مضار أي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادة على الثلث أو وصية من الله بالأولاد وأن لا يدعهم عالة بإسرافه في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالإضافة والله عليم بمن جار أو عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فإن قلت فيوصي صفة الرجل إذا جعلته الموروث فكيف تعمل إذا جعلته الوارث قلت كما عملت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لأنه علم أن التارك والموصي هو الميت فإن قلت فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لأنه لما قيل يوصى بها علم أن ثم موصيا كما قال يسبح له فيها على ما لم يسم فاعله فعلم أن ثم مسبحا فأضمر يسبح فكان رجال فاعل ما دل عليه يسبح وكان غير مضار حالا عما دل عليه يوصى بها تلك إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لأن الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها إلى ما ليس لهم بجائز يدخله قرئ بالياء والنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال فإن قلت هل يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لأنهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها واللاتي يأتين الفاحشة يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فأمسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزاني الآية ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بإمساكهن في البيوت بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال أو يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لأنه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فإن قلت

ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كأنه قيل أو يميتهن الموت قلت يجوز أن يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة إن الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن واللذان يأتيانها منكم يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله فإن تابا وأصلحا وغيرا الحال فأعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فإن التوبة تمنع استحقاق المذمة والعقاب ويحتمل أن يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الإمام والحد فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام فأعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد النون التوبة من تاب الله عليه إذا قبل توبته وغفر له يعني إنما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء بجهالة في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة لا مما تدعو إليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله حتى إذا حضر أحدهم الموت فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وآله إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن أن إبليس حين أهبط إلى الأرض قال وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فإن قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب وإلا فهو تائب من بعيد فإن قلت ما فائدة قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله تعالى إنما التوبة على الله لهم قلت قوله إنما التوبة على الله إعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فأولئك يتوب الله عليهم عدة بأنه يفي بما وجب عليه وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب ولا الذين يموتون وهم كفار عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم إلى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف إلى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما أوان التكليف والاختيار أولئك أعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان لا محالة فإن قلت من المراد بالذين يعملون السيئات أهل القبلة أم الكفار قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وأن يراد الفساق لأن الكلام إنما وقع في الزانيين والإعراض عنهما إن تابا وأصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وقوله عليه السلام فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لأن من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لأنه لا يجترئ على ذلك إلا قلب مصمت كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بأنواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل إذا مات له قريب من أب أو أخ أو حميم عن امرأة ألقى ثوبه عليها وقال أنا أحق بها من كل أحد فقيل لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أي أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها إذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة أي إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة أبي إلا أن يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فإن فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع وقيل كانوا إذا أصابت امرأة فاحشة أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها وعن الحسن في البكر تجلد مائة وتنفى ثم ترد إلى زوجها يأخذ منها ما أعطاها وعن أبي قلابة إذا زنت امرأة الرجل فلا بأس أن يضارها ويشق عليها حتى تفتدي منه وعن قتادة لا يحل له أن يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وإن زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والإجمال في القول فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد وأدنى إلى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك وكان النظر في أسباب الصلاح وإن أردتم استبدال زوج كان الرجل إذا طمحت عينه إلى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء إذا رفعته ومنه القنطرة لأنها بناء مشيد قال كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر أنه قام خطيبا فقال أيها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية فقامت إليه امرأة فقالت له يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم إحداهن قنطارا فقال عمر كل أحد أعلم من عمر ثم قال لأصحابه تسمعونني أقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امرأة ليست من أعلم النساء والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لأنه يبهت عند ذلك أي يتحير وانتصب بهتانا على الحال أي باهتين وآثمين أو على أنه مفعول له وإن لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا وأخذن منكم ميثاقا غليظا كأنه قيل وأخذن به منكم ميثاقا غليظا فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما جرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة وعن النبي صلى الله عليه وآله استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون روابهم وكان يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كأنه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا تحل لكم بالتاء على أن ترثوا بمعنى الوراثة والنصب الكراهة والإكراه وقرئ بفاحشة مبينة من بانت بمعنى تبينت أو بينة ويجعل الله بالرفع على أنه في موضع الحال وقرئ إحداهن فإن قلت تعضلوهن ما وجه إعرابه قلت النصب عطفا على أن ترثوا

ولا تأكيد للنهي أي لا يحل لكم أن ترثوا النسا ولا أن تعضلوهن فان قلت اي فرق بين تعدية ذهب
بالبا وتعديته بالهمزة قلت اذا عدي بالبا فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما
الاذهاب فكالازالة فان قلت الام يرجع هذا الاستثنا قلت هو استثنا من اعم عام الظرف او المفعول
له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان
ياتين بفاحشة فان قلت من اي وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا وهو جزا الشرط قلت من حيث ان المعنى
فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فان قلت
كيف استثنى الا ما قد سلف مما نكح اباؤكم قلت كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله • ولا عيب فيهم •
يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة
في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التابيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل
في سم الخياط معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا ولان تحريم
نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله
وقرى وبنات الاخ بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع
والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من
غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل
من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته
لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحرم بالرضاع كتحريم النسب
الا في مسالتين احداهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه
امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخته من النسب ويجوز في
الرضاع لان المانع في النسب وطؤ الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع من نسائكم
متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المراة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها
فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فيكون
حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة
وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الاخر الا ترى انك اذا قلت
وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النسا وتمييز المدخول بهن من غير المدخول
بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتدا الغاية كما تقول بنات رسول
الله صلى الله عليه واله من خديجة وليس بصحيح ان يعنى بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان
مختلفان ولا يجوز الثاني لان الذي يليه من نسائكم هو الذي يستوجب التعلق به ما لم يعرض امر لا يرد الا
ان تقول اعلقه بالنسا والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
فاني لست منك ولست مني • ما انا من دد ولا الدد مني • وامهات النسا متصلات بالنسا لانهن امهاتهن كما
ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان التحريم امهات النسا مبهم دون
تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله وقد روي عن النبي صلى الله عليه واله في رجل تزوج امراة
ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران
ابن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا
ما ابهم الله الا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير انهم قروا وامهات نسائكم اللاتي
دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب
عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شا
فعل اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المراة من غير
زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم
يربهما فان قلت ما فائدة قوله في حجوركم قلت فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن
او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم
الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان
تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي عليه السلام
انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي كناية عن الجماع
كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والبا للتعدية واللمس ونحوه يقوم
مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك
وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما اني لم اصبها الا اني قد جردتها على ولدي من
اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن
عطا وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل الغرفة
فقعد منها ولمس بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا تحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو
بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى
الله عليه واله زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة
وقال عز وجل لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع
عطفا على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الاية تحريم
النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي انهما قالا احلتهما اية وحرمتهما اية
يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل الا ما قد سلف
ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات القراة بفتح الصاد وعن طلحة
بن مصرف انه قرا بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات
الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة
المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق • وذات حليل انكحتها رماحنا • حلال لمن يبني بها لم تطلق •
كتاب الله عليكم مصدر موكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم
فان قلت علام عطف قوله واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله
عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما ورا ذلكم ويدل عليه قراة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروي عن
اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرا واحل لكم على البنا للمفعول
فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم
التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم

فتفقروا انفسكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس
من الوقوع في الحرام ولا مال للشهوات وما يخرج في المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت
يجوز ان يكون مقدرا وهو النسا والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون
ان تبتغوا بدلا مما ورا ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول
للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع
او خلوة صحيحة او عقد عليهن فاتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن
عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى النسا ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه
على اللفظ في به وعلى المعنى في فاتوهن واجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة حال
من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتا لان الايتا مفروض او مصدر موكد اي فرض ذلك
فريضة فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره
وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله
مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او
غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر
رضي الله عنه لا اوتى برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه انه اباحها
ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني قد كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النسا الا ان الله حرم ذلك الى يوم
القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرا فما استمتعتم
به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي
بالمتعة وقولي في الصرف طولا فضلا يقال لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا
فهو طائل قال • لقد زادني حبا لنفسي انني • بغيض الى كل امرئ غير طائل • ومنه قولهم ما خلا منه
بطائل اي بشي يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور
فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة وقال
ابن عباس من ملك ثلاثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاما وهو الظاهر وعليه مذهب
الشافعي واما ابو حنيفة فيقول الغني والفقير سوا في جواز نكاح الامة ويفسر الاية بان من لم يملك
فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس انه قال ومما وسع
الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله من
فتياتكم المومنات الظاهر انه لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق
يجوز نكاحها ونكاح الامة المومنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا
على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل
فان قلت لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الام في الرق
ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله
نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المومنين وقوله من فتياتكم اي من فتيات
المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت فما معنى قوله والله اعلم
بايمانكم قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه
فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمراة افضل في الايمان من الرجل وحق
المومنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تانيس بنكاح الاما وترك
الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان
لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه باذن اهلهن اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة
ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم واتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن
مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضا واللز فان قلت الموالي هم ملاك مهورهن لا هن
والواجب اداؤها الى الملاك لا اليهن قلت لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها
اليهن ادا الى الموالي وقيل اصله فاتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف ولا متخذات اخدان
اخلا في السر كانه قال غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن بالتزويج وقرى احصن فعليهن نصف
ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرا عنها العذاب ولا رجم عليهن
لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح الاما لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي يودي اليه
الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة
الماثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتدا
اي وصبركم عن نكاح الاما متعففين خير لكم وعن النبي صلى الله عليه الحرائر صلاح البيت والاما هلاك البيت
يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام موكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك
لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم وان
يهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبيا والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم
ويتوب عليكم ويرشدكم الى الطاعات ان قصرتم فيما كانت كما ان ... فيتوب عليكم ويكفر لكم
والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات
ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه لمساعدتهم وموافقتهم على اتباع
الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت
فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ
والاخت فنزلت يقولون يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره
من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا على مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس
الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم من قبل النسا فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا
اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النسا وقرى ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون
الشهوات وقرا ابن عباس وخلق الانسان على البنا للفاعل ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه ثمان ايات
في سورة النسا هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم
يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة
ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة
والغصب والقمار وعقود الربا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة وقرى تجارة على الا ان تكون التجارة
تجارة عن تراض منكم والاستثنا منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض

عن رضى منهم وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب
الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي رضى المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول
وهو مذهب ابي حنيفة وعند الشافعي تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم
من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن
العاص انه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله وقرأ علي رضي الله عنه ولا تقتّلوا
بالتشديد ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل
بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم
تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطأ
ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر فسوف نصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من
صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك لكونه سببا للصلي
نارا اي نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لان الحكمة تدعوا اليه ولا صارف عنه من
ظلم او نحوه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها
والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كان لم
تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة
والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلهما والتكفير
اماطة المستحق من العقاب بثواب زيد او بتوبته والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق
بعقاب زيد او بندم على الطاعة وعن علي عليه السلام الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا
واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام
وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين وقرئ يكفر بالياء وندخلكم مدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى
المكان او المصدر فيهما ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على
بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد
وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
فعلى كل واحد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان
مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب
ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط او القبض كسبا له واسألوا الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل
ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا فلنا سهمان
ولهن سهم واحد فنرجوا ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة
معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت مما ترك تبيين لكل اي ولكل
تركة جعلنا موالي الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي يعني وراثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم
موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف
والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظا من رزق الله او ولكل
احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك
ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله تعالى الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون
والذين عاقدت ايمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون
منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد
بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري
ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون
للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من
حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعن ابي حنيفة
لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي
وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقّدت بالتشديد
والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة
على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن
بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل
لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في
الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان
والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم
والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم
الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات
وروي ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير
فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت
فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل
لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل
واما اللطمة ونحوها فلا فالصالحات قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب خلاف
الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه
في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وآله خير النساء امرأة ان نظرت اليها
سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في نفسها ومالها وتلا الآية وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ
الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا وبما
حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وبما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب
واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي
حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال
والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن نشوزهن
ونشوزها ان تعصي زوجها وان لا تطمئن اليه واصله الانزعاج في المضاجع في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف
او هي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اي

لا تباتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن
اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على
الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضربا
غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وآله علق سوطك حيث يراه
اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدانا
ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات • ولولا بنوها حولها لخبطتها • فلا تبغوا عليهن سبيلا
فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان
منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا
ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم وروي ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه
ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى السوط واعتق
الغلام او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم
فانتم احق ان تعفوا عمن يجني عليكم اذا رجع شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على
طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار او على جعل البين مشاقا
والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما
وهو الرجال والنساء حكما من اهله رجلا مقنعا رضيا يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما كان
بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس
الزوجين ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته
وما زووا به عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه فان قلت فهل للحكمين ان يجمعا بينهما او يفرقا ان رأيا
ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس لهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين
الا واليهما بناء الامر على ما تقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته
امرأة وزوجها ومع كل واحد منهما فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي للحكمين
اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رأيتما ان تفرقا فرقتما وان رأيتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج
اما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت
بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز والالف في
ان يريدا اصلاحا ضمير الحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت
نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما
بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين اي ان
قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة
ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين اي ان يريدا
اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق
وفاقا وبالبغضاء مودة ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو
انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا
وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما والجار ذي القربى الذي قرب
جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبي وانشد لبلعاء بن
قيس • لا يجتنبنا مجاور ابدا • ذو رحم او مجاور جنب • وقرئ والجار ذا القربى نصبا على
الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقي
الجوار والقربى والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا
واما شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التأمت
بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة
وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه
واصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون
الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان يكون
مبتدأ خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة وقرئ بالبخل
بضم الباء وفتحها وبضمتين وبفتحتين اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا
به مقتا للسخاء ممن وجد وفي امثال العرب ابخل من الضنين بنائل غيره قال
وان امرءا ضنت يداه على امرئ • بنيل يد من غيره لبخيل • ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه
ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه كانما نهب رحله وكسرت
خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود وكانوا يأتون رجالا من الانصار ينصحونهم
ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون ويكتمون ما آتاهم الله
من فضله من الغنى والانفاق الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة
احب ان ترى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال يا امير المؤمنين ان
الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في
اليهود الذين كتموا صفة رسول الله رئاء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه
الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فساء قرينا
حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم
واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة
في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه
لا مضرة ولا مرزئة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد
مثقال ذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه
فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وقيل لا يظلم لا ينقص من الاجر ادنى
شيء واصغره او لا يزيد في العقاب لان ذلك ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة وقيل ثم ان الله لا يظلم
وان تك حسنة وان يك مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع
على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة
غير المتناهية وعن ابي عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله
يقول ان الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله يعطيه

لقوا الله بحسنة ... الآية أن المراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه أجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده
على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه أجرا لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف
من أضعف وضعّف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم
إذا جئنا من كل أمة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ● شهيدا عن ابن مسعود أنه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وآله
حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله وقال حسبنا يومئذ يود الذين كفروا لو تسوى بهم الأرض يودون أنهم يدفنون فتسوى
بهم الأرض كما تسوى بالموتى وقيل يودون أنهم لم يبعثوا وأنهم كانوا والأرض سواء وقيل تصير البهائم
ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو
للحال أي يودون أن يدفنوا تحت الأرض وأنهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا
مشركين لأنهم إذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على أفواههم عند ذلك وتكلمت أيديهم وأرجلهم
بشركهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الأمر عليهم يتمنون أن تسوى بهم الأرض وقرئ تسوى
بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى ونحوه لويته فتلوى وتسوى إدغام التاء في السين كقوله
يسمعون وماضيه ادّسوى كازّكى ● وروي أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا
من أصحاب رسول الله حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم
ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في أوقات الصلاة فإذا
صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا
تقربوا الصلاة لا تغشوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل
معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو
سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ● ورانوا بسكرتهم كل [illegible] ● وقرئ سكارى بفتح السين
وسكرى على أن يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لأن السكر علة تلحق العقل أو مفردا بمعنى وأنتم جماعة
سكرى كقولك امرأة سكرى وسُكارى بضم السين كحبالى وسُكرى على أن يكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش
كسلى وكسلى بالفتح والضم ● ولا جنبا عطف على قوله وأنتم سكارى لأن محل الجملة مع الواو النصب على
الحال كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب ● إلا عابري سبيل استثناء من عامة أحوال المخاطبين وانتصابه
على الحال فإن قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كأنه قيل لا تقربوا الصلاة في حال
الجنابة إلا ومعكم حال أخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز أن يكون
لا صفة لقوله جنبا أي لا تقربوا الصلاة جنبا غير عابري سبيل أي جنبا مقيمين غير معذورين
فإن قلت كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر قلت أريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لا تقربوا
الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا إلا أن تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلاة بالمسجد معناه ولا
تقربوا المسجد جنبا إلا مجتازين فيه إذا كان الطريق فيه إلى الماء أو كان الماء فيه أو احتلمتم فيه
وقيل إن رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا إلا في المسجد
فرخص لهم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يأذن لأحد أن يجلس في المسجد أو يمر فيه وهو
جنب إلا لعلي رضي الله عنه لأن بيته كان في المسجد فإن قلت أدخل في حكم الشرط أربعة وهم
المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الأمر بالتيمم عند عدم
الماء منهم قلت الظاهر أنه متعلق بهم جميعا وأن المرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم
عن الوصول إليه فلهم أن يتيمموا وكذلك السفر إذا عدموه لبعده والمحدثون وأهل الجنابة
كذلك إذا لم يجدوه لبعض الأسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الأرض ترابا كان أو غيره وإن كان
صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبي حنيفة فإن قلت
فما يصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه أي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر
الذي لا تراب عليه قلت قالوا إن من لابتداء الغاية فإن قلت قولهم إنها لابتداء الغاية قول متعسف
ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب إلا معنى التبعيض
قلت هو كما تقول والإذعان للحق أحق من المراء إن الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير
لأن من كانت عادته أن يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر أن يكون ميسرا غير معسر فإن قلت كيف نظم
في آية واحدة بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من أسباب الرخصة
والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت أراد سبحانه أن يرخص للذين
وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص أولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لأنهم
المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الأسباب الموجبة
للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف عدو أو سبع أو عدم آلة استقاء أو إرهاق
في مكان لا ماء فيه أو غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من الغيط وقيل هو تخفيف
غيّط كهين في هيّن والغيط فيعل بمعنى الغائط ألم تر من رؤية القلب وعدي بإلى على معنى ألم ينته علمك
إليهم أو بمعنى ألم تنظر إليهم أوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود يشترون الضلالة
يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله وأنه هو النبي
العربي المبشر به في التوراة ويريدون أن تضلوا أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم
لا يكفيهم أنهم ضلوا حتى يريدون أن يضل معهم غيرهم وقرئ أن يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله أعلم
بأعدائكم وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وأطلعكم على أحوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا
تستنصحوهم في أموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته
دونهم أو لا تبالوا بهم فإن الله يكفيكم مكرهم من الذين هادوا بيان للذين
أوتوا نصيبا من الكتاب لأنهم يهود ونصارى وقوله والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا جمل توسطت
بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض ويجوز أن يكون بيانا لأعدائكم وما بينهما اعتراض وأن يكون صلة لنصيرا أي ينصركم
من الذين هادوا كقوله تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ على أن يحرفون
صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله ● وما الدهر إلا تارتان فمنهما ●
أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح ● أي فمنهما تارة أموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه
عنها ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله
فيها وأزالوه عنها وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال
مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله فإن قلت كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة

من بعد مواضعه قلت أما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه
فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه وأما من بعد مواضعه فالمعنى أنه كانت له مواضع هو قمين بأن
يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ
يحرفون الكلام والكِلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة كسدرة وسدر ● غير مسمع حال
من المخاطب أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت
لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لا سمعت دعوة
مستجابة أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا أو
اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا أن يكون غير مسمع مفعول اسمع
أي اسمع كلاما غير مسمع إياك لأن أذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروها
من قولك أسمع فلان فلانا إذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا
ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزءا برسول الله يكلمونه
بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام ليا بألسنتهم فتلا بها وتحريفا
أي يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها
أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقا فإن قلت كيف جاؤوا بالقول المحتمل
ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان
ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم
نطقوا به وقرأ أبي وانظرنا من الإنظار وهو الإمهال فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله لكان خيرا لهم
قلت إلى أنهم قالوا لأن المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا وأطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأقوم وأعدل وأسد
ولكن لعنهم الله بكفرهم أي خذلهم بسبب كفرهم وأبعدهم عن ألطافه فلا يؤمنون إلا قليلا أي ضعيفا ركيكا
لا يعبأ به وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره أو أراد بالقلة العدم كقوله ● قليل التشكي للمهم يصيبه ●
أي عديم التشكي أو إلا قليلا منهم قد آمنوا من قبل أن نطمس وجوها أن نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم
فنردها على أدبارها فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الأقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وإن جعلتها
للتعقيب على أنهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على أدبارها بعد طمسها فالمعنى أن
نطمس وجوها فننكسها الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام ووجه آخر وهو أن يراد بالطمس
القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤوسهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير
أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم أو نردهم إلى حيث
جاؤوا منه وهي أذرعات الشام يريد إجلاء بني النضير فإن قلت لمن الراجع في قوله أو نلعنهم قلت للوجوه إن
أريد الوجهاء أو لأصحاب الوجوه لأن المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى الذين أوتوا الكتاب
على طريقة الالتفات أو نلعنهم أو نجعلهم قردة كما مسخنا أصحاب السبت فإن قلت فأين وقوع الوعيد
قلت هو مشروط بالإيمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة وكان
الله تعالى أوعدهم بأحد الأمرين بطمس وجوه منهم أو بلعنهم فإن كان الطمس تبديل أحوال رؤسائهم أو
إجلاءهم إلى الشام فقد كان أحد الأمرين وإن كان غيره فقد حصل اللعن فإنهم ملعونون بكل لسان والظاهر
اللعن المتعارف دون المسخ ألا ترى إلى قوله أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت من ذلك عذابه مثوبة عند الله من لعنه الله
وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان أمر الله مفعولا فلا بد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا فإن قلت
قد ثبت أن الله تعالى يغفر الشرك لمن تاب منه وأنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة فما وجه قوله
إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا
موجهين إلى قوله لمن يشاء كأنه قيل إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول
من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك إن الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار
لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله فقد افترى أي ارتكبه وهو مفتعل مما لا يصح كونه
ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى
وقيل جاء رجال من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بأطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله
ما نحن إلا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل
من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله فإن قلت أما قال
رسول الله صلى الله عليه وآله والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض قلت إنما قال ذلك حين قال له المنافقون
اعدل في القسمة إكذابا لهم إذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد
لنفسه أو شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء إعلام بأن تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لأنه هو
العالم بمن هو أهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به
ولا يظلمون أي الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكائهم
ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم أنهم
عند الله أزكياء وكفى به بزعمهم هذا إثما مبينا من بين آثامهم بالجبت والطاغوت الأصنام وكل ما عبد من دون الله
الشيطان وذلك أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون
قريشا على محاربة رسول الله فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا
لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس
فيما فعلوا وقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يأمر بعبادة
الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني
وذكروا أفعالهم فقال أنتم أهدى سبيلا ووصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما أوتوا
من النعمة ويتمنون أن تكون لهم نعمة غيرهم فقال أم لهم نصيب من الملك على أن أم منقطعة ومعنى
الهمزة لإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فإذا لا يؤتون الناس أي لو كان لهم نصيب من الملك فإذا
لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير
والمراد بالملك إما ملك أهل الدنيا وإما ملك الله كقوله قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق
وهذا أوصف لهم بالشح وأحسن لطابقه نظيره من القرآن ويجوز أن يكون معنى الهمزة في أم لإنكار أنهم قد أوتوا
نصيبا من الملك وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون أحوال الملوك وأنهم لا يؤتون أحدا
مما يملكون شيئا وقرأ ابن مسعود فإذا لا يؤتوا على إعمال إذن عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة
العامة كأنه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا إذن أم يحسدون الناس بل أيحسدون رسول الله والمؤمنين على إنكار
الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم

فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وآله وأنه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما أوتي أسلافه وعن ابن عباس الملك في آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة بمهيرة وسبعمائة سرية فمنهم فمن اليهود من آمن به أي بما ذكر من حديث آل إبراهيم ومنهم من صد عنه وأنكره مع علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله ومنهم من أنكر نبوته أو من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون بدلناهم جلودا غيرها فإن قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن النبي صلى الله عليه وآله تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين ألف مرة وقيل يلبسهم الله جلودا من سرابيل القطران ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أي أدامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب إلا بعدل من يستحقه ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل ويوم أيوم وما أشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك إلا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف إليه التفيؤ تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله يأمركم أن تؤدوا الأمانة الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمر عليا أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهبط جبريل وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أن السدانة في أولاد عثمان أبدا وقيل هو خطاب للولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل وقرئ الأمانة على التوحيد نعما يعظكم به ما إما أن تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به وإما أن تكون مرفوعة موصولة به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به أو نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أي نعما يعظكم به ذاك وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون لما أمر الولاة بأداء الأمانات إلى أهلها وأن يحكموا بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد بأولي الأمر منكم أمراء الحق لأن أمراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إيثار العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهي عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان وكان الخلفاء يقولون أطيعوني ما عدلت فيكم فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن أبي حازم أن مسلمة بن عبد الملك قال له ألستم أمرتم بطاعتنا في قوله وأولي الأمر منكم قال أليس قد نزعت عنكم إذا خالفتم الحق بقوله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول وقيل هم أمراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه وآله من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع أميري فقد أطاعني ومن يعص أميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فإن تنازعتم فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم في شيء من أمور الدين فردوه إلى الله ورسوله أي ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الله الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقى معه شك وهو أن أمرهم أولا بأداء الأمانات وبالعدل في الحكم وأمرهم آخرا بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا إلى كتاب ولا إلى سنة إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولو الأمر عند الله ورسوله وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك إشارة إلى الرد أي الرد إلى الكتاب والسنة خير لكم وأصلح وأحسن تأويلا وأحسن عاقبة وقيل أحسن تأويلا من تأويلكم أنتم روي أن بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله أنت الفاروق والطاغوت كعب بن الأشرف سماه الله طاغوتا لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم إليه على التحاكم إلى رسول الله على التحاكم إلى الشيطان بدليل قوله وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم وقرئ بما أنزل وما أنزل على البناء للفاعل وقرأ عباس بن الفضل أن يكفروا بها ذهابا بالطاغوت إلى الجمع كقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة وأصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية إن أصلها أيية فاعلة فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضم فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول أهل مكة تعالي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني • تعالي أقاسمك الهموم تعالي • والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمرا ولا يوردونه إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم من التحاكم إلى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاءوك حين يصابون فيعتذرون إليك يحلفون إن أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا إحسانا لا إساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك وهذا وعيد لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما حكم به فأعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا بالغا في وعظهم بالتخويف والإنذار فإن قلت بم تعلق قوله في أنفسهم قلت بقوله بليغا أي قل لهم قولا بليغا في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق واطلع قرنه وأخبرهم أن ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وأنه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة إلا لإظهاركم الإيمان وإسراركم الكفر وإضماره فإن فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق إلا السيف أو يتعلق بقوله قل لهم أي قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وأن الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم إبطانه فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها

بلغ

من مرض النفاق وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك وأغلظ وقل لهم في أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لأنها في السر أنجع وفي الإمحاض أدخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما أرسلنا من رسول قط إلا ليطاع بإذن الله بسبب إذن الله في طاعته وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله من يطع الرسول فقد أطاع الله ويجوز أن يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاؤك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص وبالغوا في الاعتذار إليك من إيذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم إلى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم لا يؤمنون جواب القسم فإن قلت هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يأبى ذلك استواء النفي والإثبات فيه وذلك قوله فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه حرجا ضيقا أي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لأن الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضوه بشيء من قولك سلم الأمر لله وأسلم له وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها إذا جعلها سالمة له خالصة وتسليما تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم وقيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير وحاطب بن أبي بلتعة وذلك أنهما اختصما إلى رسول الله في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب حاطب وقال لأن كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقك ثم أرسله إلى جارك كان قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الأنصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا إلى التوبة منه وقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله إن الله ليعلم مني الصدق ولو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها وروي أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله والذي نفسي بيده إن من أمتي رجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في شأن حاطب ونزلت في شأن هؤلاء ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم أي لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتلهم أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه إلا قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه وقرئ إلا قليلا بالنصب على أصل الاستثناء أو على إلا فعلا قليلا ما يوعظون به من اتباع رسول الله وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم وأشد تثبيتا لإيمانهم وأبعد من الاضطراب فيه وإذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم أيضا بعد التثبيت فقيل وإذا لو تثبتوا لآتيناهم لأن إذا جواب وجزاء من لدنا أجرا عظيما كقوله ويؤت من لدنه أجرا عظيما والمراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته أجرا لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته ولهديناهم وللطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات والصديقون أفاضل صحابة الأنبياء الذين تقدموا في تصديقهم كأبي بكر الصديق وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة أقرب عباد الله إلى الله وأرفعهم درجات عنده وحسن أولئك رفيقا فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز أن يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت فقال صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله الخبر والمعنى أن ما أعطي المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه بفضله عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من أطاعه أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لأنهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب أحوالهم خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالأثر والإثر يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم فانفروا إذا نفرتم إلى العدو فانفروا ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية أو انفروا جميعا أي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله إن الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها إليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله والمبطئون منهم المنافقون لأنهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى أبطأ كعتم بمعنى أعتم إذا أبطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ علي فلان وأبطأ علي وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء ويجوز أن يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أبي وهو الذي ثبط الناس يوم أحد فإن أصابتكم مصيبة من قتل أو هزيمة ولئن أصابكم فضل من الله من فتح أو غنيمة ليقولن وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من لأن قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كأن لم تتقدم له معكم مودة لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وإن كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر أنه تهكم لأنهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين وأشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة إلا على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ يكن

بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معا في التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز
ان يكون جواب التمني محذوف بمعنى فانا افوز فوزا عظيما لو فعلت بمعنى يشترون ويبيعون قال الله تعالى وشروه
وشروه بثمن بخس … فالذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا
بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يشترون
هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم
وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر
العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا على سبيل الله اي في سبيل
الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص
المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة
وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد وكانوا يدعون
الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من
لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وآله فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل
على اهل مكة عتاب بن اسيد فراوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من
القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ
اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا
يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت
السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد
بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل
للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة فان قلت لم ذكر
الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية
لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة
اهلها لجاز لا لتانيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث فان قلت هل يجوز من هذه القرية
الظالمين اهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه
واسروا النجوى الذين ظلموا رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون
في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان
وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه كفوا ايديكم اي امسكوا
عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون
ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا
عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول فان قلت ما
محل كخشية الله من الاعراب قلت محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس
مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله
واشد معطوف على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره
يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما
عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب
انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد
خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية
ذات خشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية
من خشية الله ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله يريد كخشية الله او كخشية اشد
خشية منها لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه
وقرئ ولا يظلمون بالياء وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت وشبه
بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان ويجوز ان يقال حمل
على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين
وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه
ويجوز ان يتصل بقوله ولا يظلمون فتيلا اي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب
او غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا
والبروج الحصون مشيدة مرفوعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص
وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر
قارضها السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيئات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء
نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشؤمك
كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن
معك وروي عن اليهود لعنت انها تشاءمت برسول الله فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها
وغلت اسعارها فرد الله عليهم بقوله قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا فيعلمون ان الله هو القابض الباسط وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما اصابك
يا انسان خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك
من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن نفسك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم من
مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب
حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك
للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله وما
ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد
ان يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يأمر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى
الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروي انه قال من احبني فقد
احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف
الشرك وهو نهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى

من الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك عليهم حفيظا الا نذيرا وما عليك حفظ عليهم اعمالهم ومحاسبتهم عليها ومعاقبتهم
كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشيء طاعة بالرفع اي امرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب
بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا
بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري وشاني حمد الله
ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها بيت طائفة زورت
طائفة وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم
ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت اما من
البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها
والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحي اليك
فيطلعك على اسرارهم فلا تحسبوا ان ابطانهم يغني عنهم فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل
على الله في شانهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره
وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج
تدبر الامر تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل فمعنى تدبر
القرآن تامل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت
نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه
اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند
علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء
وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه
احد سواه فان قلت اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسألنهم اجمعين
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف قلت ليس باختلاف عند المتدبرين هم ناس من
ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر من
سرايا رسول الله من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر
الى رسول الله والى اولي الامر منهم وهم كبراء الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم
لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها
وقيل كانوا يقفون من رسول الله واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار
فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم
وكانوا كان لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطونه تدبير ما كيف يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه وقيل
كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود
ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع
او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين
يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع
به قال اذاع به في الناس حتى كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به
الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله … في دماثة الرجل
والنبط الماء يخرج من البئر اول ما تحفر واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل
بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو ارسال الرسول
وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما
ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله
ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو
ناصرك لا الجنود فان شئت فقاتل وحدك كما نصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى
الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج
وما معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف
بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك في شانهم الا التحريض فحسب لا
التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وهم قريش وقد كف باسهم فقد بدا لابي سفيان
وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم والله اشد
باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر
او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم توخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في
حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له
جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل
الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وآله من دعا
لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على
المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب
وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال السموءل بن عاديا
الي الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت لانه يمسك
النفس ويحفظها باحسن منها ان تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيد وبركاته
اذا قال ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله
وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة
الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله
او ردوها او اجيبوها بمثلها ورد السلام وجوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب
التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف رحمه الله من قال لآخر اقرئ فلانا السلام
وجب عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله عنه الرد واجب وما من رجل
يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد
السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف
لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام
او غيره وذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي صلى الله عليه وآله انه تيمم
لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي

وعليك السلام ورحمة الله وبركاته

وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير واذا التقيا ابتدرا وعن ابي
حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكبير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم
ما قالوا لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي ان يهوديا سلم على رسول الله فقال وعليك فقال وعن
الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقول ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني
سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء
في ان يبدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حاجة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة
لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من
اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه (على كل شيء حسيبا) اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها
(الله لا اله الا هو) اما خبر للمبتدأ واما اعتراض والخبر (ليجمعنكم) ومعناه الله والله ليجمعنكم (الى يوم القيامة)
اي ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى
يوم يقوم الناس لرب العالمين (ومن اصدق من الله حديثا) لانه عز وجل صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب
مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه وهو وجه قبحه الذي هو كونه كذبا والاخبار عن الشيء بخلاف ما
هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه
يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما
كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت
لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني
الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح (فئتين) نصب
على الحال كقولك ما لك قائما روي ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله في الخروج الى البدو معتلين
باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال
بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى
رسول الله انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله
صلى الله عليه وآله يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا وعلى الخروج وقتلوا يسارا وقيل هم
قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم
فيهم فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم (والله اركسهم) اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا (بما كسبوا) من
ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما
علم من مرض قلوبهم (اتريدون ان تهدوا) ان تجعلوا من جملة المهتدين (من اضل الله) من جعله من جملة الضلال وحكم
عليه بذلك او خذله حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها (فتكونون) عطف على تكفرون ولو نصب على
جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع
دين الآباء (فلا تتخذوا منهم اولياء) حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا
مستقيمة ليس بعدها بدل ولا تعرب (فان تولوا) عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر
المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا
تقبلوا منهم (الا الذين يصلون) استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون
بهم وعن ابي عبيدة هو من النسب وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان انتسابهم اليهم لا يمنع من
قتلهم فقد قاتل رسول الله من بعضهم من انسابه والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله
عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه
وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا
في الصلح (او جاءوكم) لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او
قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليهم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا
يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله
لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي
استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة
الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء
دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم
اتصالهم بالكافين واختلاطهم فيهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على
اسلوب الكلام وفي قراءة ابي (بينكم وبينهم ميثاق) جاءوكم حصرت صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاءوكم
بيانا ليصلون او بدلا او استئنافا او صفة بعد صفة لقوم (حصرت صدورهم) في موضع الحال باضمار قد
والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد
صفة لموصوف محذوف على او جاءوكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاءوكم وهم بنو مدلج جاءوا
رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض (ان يقاتلوكم) عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم
فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله
الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين
فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد (فان اعتزلوكم) فان لم يتعرضوا لكم (والقوا
اليكم السلم) اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا)
فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم (ستجدون آخرين) هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا
وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم (كلما ردوا الى الفتنة) كلما
دعاهم قومهم الى قتال المسلمين (اركسوا فيها) قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا اشر فيها من كل عدو
(ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم (سلطانا مبينا) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر
واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له ولا استقام ولا
لاق له كقوله وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود (ان يقتل مؤمنا) ابتداء غير قصاص (الا خطأ) الا على
وجه الخطأ فان قلت بم انتصب خطأ قلت بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل
الا للخطأ وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطأ وان يكون صفة للمصدر
الا قتلا خطأ والمعنى ان من شأن المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ
من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد
وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر
خوفا من اهله قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها

سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فأتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في
الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهبا به
فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك
خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر
فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فأتى رسول الله فقال قتلته ولم
اشعر باسلامه فنزلت (فتحرير رقبة) فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار
كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وقولهم للئيم
عبد وفلان عبد الفعل اي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا
من الرقيق (مؤمنة) قد حكم باسلامها عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة
قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج
نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من
قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار (مسلمة الى اهله) مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا
فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء فيقضى منها الدين وتنفذ منها الوصية واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال
لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه انه
قضى به المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون
عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله ان اورث امرأة اشيم الضبابي
من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى
من الدية دين ولا تنفذ منها وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان قلت على
من يجب الرقبة والدية قلت على القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم تكن له عاقلة
ففي بيت المال فان لم يكن ففي ماله (الا ان يصدقوا) الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا ان يعفون
ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وآله كل معروف صدقة وقرأ ابي الا ان يتصدقوا فان قلت
بم تعلق ان يصدقوا وما محله قلت تعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين
يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا
من اهله بمعنى الا متصدقين (من قوم عدو لكم) من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو
بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطأ وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون
وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه
كافرا مثلهم (وان كان من قوم) كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من اهل الكتاب
فحكمه حكم مسلم من المسلمين (فمن لم يجد) رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام (شهرين متتابعين)
(توبة من الله) قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او فتقبلكم
من الرقبة الى الصوم توبة منه هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب
غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل
العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل
ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو
ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من
هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب
من قوم يقرؤون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم
لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن
قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله تعالى التوبة في قتل الخطأ لما
عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم وكفى بها حاجزا لذي
فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن
يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم
غير التائب فليأت بدليل مثله (فتبينوا) وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر
وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ (السلم) والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم
الذي هو تحية اهل الاسلام (لست مؤمنا) وقرئ مؤمنا بفتح الميم من امنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس
بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله كان عليها غالب بن فضالة
الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا
وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه
فاخبروا رسول الله فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله
استغفر لي فقال وكيف بلا اله الا الله قالها اسامة فما زال يعيدها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم
استغفر لي وقال اعتق رقبة (تبتغون عرض الحياة الدنيا) تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي
يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه (فعند الله مغانم كثيرة) يغنمكموها تغنيكم عن
قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله (كذلك كنتم من قبل) اول ما دخلتم في الاسلام
سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم
على مواطأة فلو كنتم لا تستكفون (فمن الله عليكم) بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وان صرتم اعلاما
فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا
ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق نيته فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله
(فتبينوا) تكرير للامر بالتبيين ليؤكد عليهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فلا تتهافتوا في القتل وكونوا
محترزين محتاطين في ذلك (غير اولي الضرر) قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم
او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها
وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها
ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى
يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري فقال اقرأ يا زيد فقرأت
لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي
بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون
اليها وعن مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء

قلت معناه الاذكار لما بينهما من التفاوت ليأنف القاعد ويترفع بنفسه
عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا
يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل الى
شرف العلم. فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون
فأجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف
وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون
مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه وآله لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا
قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد
وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره. فان قلت قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات
فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات
فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية. فان قلت
لم نصب درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم
تفضيلة واحدة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم
اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا
بمعنى ضربات كأنه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة
عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة. توفاهم يجوز ان يكون ماضيا
كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله
يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها. ظالمي انفسهم في حال ظلمهم
انفسهم. قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهو ان من اهل مكة
اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فان قلت كيف صح وقوله كنا مستضعفين في الارض جوابا
عن قوله فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم
لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا
به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقوله الم تكن ارض
الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون
فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل
اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر
او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وآله
من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه
محمد. اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك
المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع
المغفرة. ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم
ولا معرفة لهم بالمسالك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث هذه الآية الى مسلمي مكة فقال
جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لا اهتدي الطريق
والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم. فان قلت
كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد كأنهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء
لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا قلت الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون
كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء
من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين
من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل
الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال. فان قلت الجملة
التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما
جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله •
ولقد امر على اللئيم يسبني • فان قلت لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة
على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله
ان يعفو عني فكيف بغيره. مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم
والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو
يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي • كطود يلاذ باركانه • عزيز المراغم والمذهب •
وقرئ مرغما. وقرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كأنه
اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله • من عنزي سبني لم اضربه •
وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله • والحق بالحجاز فاستريحا • فقد وقع اجره على الله فقد وجب
ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها
والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه
الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه
رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون
وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد
او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله
وان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله. ضربتم في الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذي
يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن سير الابل ومشي الاقدام على القصد ولا اعتبار
بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة ايام
لم يقصر وعند الشافعي ادنى مدة السفر اربعة برد مسيرة يومين. فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة
ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي وروي عن النبي صلى الله عليه وآله
انه اتم في السفر وعن عائشة اعتمرت مع رسول الله من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت
يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب علي
وكان عثمان يتم ويقصر وعند ابي حنيفة رحمه الله القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر
صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين

ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت
كأنهم الفوا الاتمام فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب نفوسهم
بالقصر ويطمئنوا اليه. وقرئ تقصروا من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري
تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
واما في حال الامن فبالسنة. وفي قراءة عبد الله من الصلوة ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى
كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره. واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بظاهره
من لم ير صلوة الخوف بعد رسول الله حيث شرط كونه فيهم وقال من رأى انها تقام بعده ان الائمة نواب رسول
الله في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضرا الجماعة في حال الخوف
عليه ان يؤمهم كما ام رسول الله الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم
فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان
للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا
كلام فيه. فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة ان يصلي
الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه الطائفة بازاء العدو
وتاتي الاخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلوته ثم تقف بازاء العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم
صلوتها ثم تحرس وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها. واما عند الشافعي على ظاهر هذا وحسبه وعند مالك
يصلي بالطائفة الاولى ركعة و يقف قائما حتى تتم صلوتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية
ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلوتها ويسلم بهم. ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وقرئ ولتأت طائفة اخرى
فان قلت كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها
الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا ماخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار
والايمان جعل الايمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوؤ. فيميلون
عليكم ميلة واحدة ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من
مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو. فان قلت
كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا قلت الامر بالحذر من العدو يوهم توقع
غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبار ان الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى
قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة.
فاذا قضيتم الصلوة فاذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين
وقعودا جاثين على الركب مراميين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح. فاذا اطمأننتم حين تضع الحرب اوزارها
وامنتم فاقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا بالاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي حال كنتم خوف او امن وهذا ظاهر
على مذهب الشافعي في ايجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة اذا
حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء واما عند ابي حنيفة رحمه الله فهو معذور في تركها الى ان يطمئن وقيل
معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فاديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد
في كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه
واللجأ اليه فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة فاتموها ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء
القوم وطلب الكفار بالقتال والتعرض لهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تألمون فانهم يألمون
اي ليس ما تكابدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم
ثم انهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم
ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرأ الاعرج ان
تكونوا بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله فانهم يألمون كما تألمون
تعليل. وقرئ فانهم ييلمون كما تيلمون وروي ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا.
وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يصلحكم. روي ان طعمة
ابن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من
خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما
اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها
الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فسألوه ان يجادل عن صاحبهم
وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل وان يعاقب اليهودي
وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله
فسقط الحائط عليه فقتله. بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وعن عمر لا يقولن احدكم قضيت بما اراني
الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد رايه لان الراي من رسول الله كان مصيبا لان الله كان
يريه اياه وهو منا الظن والتكلف. ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم
اليهودي لاجل بني ظفر. واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي. عن الذين يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية كقوله
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان
الضرر راجع اليهم. فان قلت لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين
احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمة
وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه. فان قلت لم قيل خوانا اثيما على المبالغة قلت
كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك في حاله
وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول
هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عباده في اول مرة. يستخفون يستترون من
الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم
لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم
انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح. يبيتون
يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة وهو ان
يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف انه بريء منه. فان قلت كيف سمي التدبير قولا وانما هو معنى في
النفس قلت لما حدث به نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به
بعد ان بيته وتوريكه الذنب على اليهودي. ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم وهؤلاء وهما مبتدأ وخبر. جادلتم جملة

ربع

مبنية لوقوع او اخبار كما تقول لبعض الاحياء حاز يعود بانك وتوبة على نفسك ويجوز ان يكون ولا
موصوفة بمعنى الذين وجاد لهم صلته والمعنى عن الكم حامين عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يحامي عنهم
اذا اخذهم الله بعذابه وقرا عبد الله عنه اي عن طعمة **وكيلا** حافظا ومحاميا من باس الله وانتقامه
سوا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي **او يظلم نفسه** بما يختص به كالحلف الكاذب
وقيل ومن يعمل سوا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة
... مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه **فانما يكسبه على نفسه**
... ضرره الى غيره فليتوق على نفسه من كسب السوء **خطيئة** صغيرة **او اثما** كبيرة **ثم يرم به بريئا** كما رمى
طعمة زيد **فقد احتمل بهتانا واثما** لانه بكسب الاثم ويرمي البري جمع بين الامرين وقرا معاذ بن جبل
... ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب **ولولا فضل الله عليك ورحمته** اي عصمته والطافه
... من الاطلاع على سرهم **لهمت طائفة منهم** من بني ظفر **ان يضلوك** عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل
... مع علمهم ان الجاني هو صاحبهم فقد روى ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة **وما يضلون الا انفسهم**
... عليهم **وما يضرونك من شيء** لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك **وعلمك**
ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر القلوب ومن امور الدين والشرائع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر
... الضمير في منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين **من نجواهم** من تناجي الناس **الا من امر بصدقة**
... على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا
... على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل
هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن
النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله
وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه
... هو ما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي
... عبادة الله والتقرب به اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات **فان قلت** كيف قال
... فقال **ومن يفعل ذلك** **قلت** قد ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الامر به في زمرة
... الخيرين كان الفاعل فيهما ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز
... ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال وقرئ **يؤتيه** بالياء **ويتبع غير**
سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها
كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عز وعلا جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول
في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول **نوله ما تولى** نجعله واليا لما
تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره **ونصله جهنم** وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل
هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة **ان الله لا يغفر ان يشرك به** تكرير للتاكيد وقيل كرر لقصة طعمة
... وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم
اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة على الله ولا مكابرة
له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا
الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه **الا اناثا** هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي
من العرب الا ولهم صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن
بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ انثا جمع انيث او اناث ووثنا
... وثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد واسد وقلبت واوا الفا نحو اجوه في وجوه
وقرات عائشة رضي الله عنها اوثانا **وان يدعون** وان يعبدون بعبادة الاصنام **الا شيطانا** لانه هو الذي اغراهم
... فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة **لعنه الله وقال لاتخذن** صفتان يعني شيطانا مريدا جامعا بين
لعنة الله وهذا القول الشنيع **نصيبا مفروضا** مقطوعا واجبا فرضه لنفسه من قولهم فرض له في العطا
... وفرض الجند رزقه وعن الحسن من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار **ولاضلنهم ولامنينهم** الاماني الباطلة
... الاعمال وبلوغ الامال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة
ولآمرنهم فليبتكن آذان **الانعام** فليقطعنها او ليشقنها كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس
ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها **ولآمرنهم فليغيرن** خلق الله فقوء عين الحامي واعفاؤه عن الركوب وقيل
الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم واما في بني آدم فمحظور وعند ابي حنيفة يكره شراء الخصيان
واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام وقيل
... عكرمة تقول هو الخصا فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله
الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله وقيل التخنث **وعد الله حقا** مصدران
... لنفسه والثاني مؤكد لغيره **ومن اصدق من الله قيلا** توكيد ثالث بليغ **فان قلت** ما فائدة
هذه التوكيدات **قلت** معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة واماني الباطلة لقرنائه بوعد الله
الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص
اخلاف مواعيد الشيطان **ليس** ضمير وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب **بامانيكم ولا اماني اهل**
الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وكذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم
لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر
في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن
بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب
... قبله فنزلت ويحتمل ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم
... واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا وان رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن
تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين قوله
ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني اهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
... آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة واذا ابطل الله الاماني
... من كله معقود بالعمل وان من اصلح عمله فهو الفائز ومن اساء عمله فهو الهالك تبين الامر ووضح
... الاماني وحسم المطامع والافكار على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه
... **فان قلت** ما الفرق بين من الاولى والثانية **قلت** الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل بعض
... الصالحات لانه ليس كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم

من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة وتسقط عنه الصلوة في بعض الاحوال والثانية لتبيين
الابهام في من يعمل **فان قلت** كيف خص الصالحون بانهم **لا يظلمون** وغيرهم مثلهم في ذلك **قلت** فيه
وجهان احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني ان يكون
ذكره عند احد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان
ظلم المسيء ان يزاد في عقابه وارحم الراحمين معلوم بانه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى
عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل
لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان في الفضل **اسلم وجهه لله** اخلص نفسه لله
وجعلها سالمة لا تعرف لها ربا ومعبودا سواه **وهو محسن** وهو عامل للحسنات تارك للسيئات **حنيفا** حال من المتبع
او من ابراهيم كقوله بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها
الى دين الاسلام **واتخذ الله ابراهيم خليلا** مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل
المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل
او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك **فان قلت** ما موقع هذه الجملة **قلت**
هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم **والحوادث جمة** فائدتها
تاكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته
ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر
في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه
يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملاوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر
فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت واستنبه ابراهيم
فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت امرأته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه
الله خليلا **ولله ما في السموات وما في الارض** متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات
والارض فطاعته واجبة عليهم **وكان الله بكل شيء محيطا** فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم
ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها **ما يتلى** في محل الرفع اي **الله يفتيكم** والمتلو **في الكتاب** في معنى اليتامى يعني
قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم
مبتدا **وفي الكتاب** خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان
العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها
والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وانه في ام الكتاب لدينا
لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب
والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى
فان قلت بم تعلق قوله **في يتامى النساء** **قلت** في الوجه الاول هو صلة يتلى عليكم في معناهن ويجوز
ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في الوجهين الاخيرين فبدل لا غير **فان قلت** الاضافة في يتامى النساء ما
هي **قلت** اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بيائين على قلب همزة
ايامى ياء **لا تؤتونهن ما كتب لهن** اي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة
الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزويج حتى تموت
فيرثها **وترغبون ان تنكحوهن** يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن وروي ان عمر بن
الخطاب كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك
وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها **والمستضعفين** مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في
الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب **وان تقوموا** مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين
وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم
ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم **خافت من بعلها نشوزا** توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله
وامارته والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمراة وان
يؤذيها بسب وضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من
طعن في سن او دمامة او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا باس بهما في
ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر في اصطبر **صلحا** في معنى
مصدر كل واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها
كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت
لها يومها وكما روي ان امراة اراد ان يطلقها زوجها لرغبة عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني
اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاقرها او تهب له بعض
المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها بمعروف او يسرحها باحسان **والصلح خير** من
الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شيء او والصلح خير من الخيور كما
ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله **واحضرت الانفس الشح** ومعنى احضار الانفس
الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا ينفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المراة لا تكاد
تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد تسمح نفسه بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها
وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة
وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة **فان الله كان بما تعملون** من الاحسان والتقوى
خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من ادم بني آدم وامراته من اجملهم وكانت في
وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت
لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين **ولن تستطيعوا**
ومحال ان تستطيعوا **العدل بين النساء** والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن
فرفع ذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم
لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى
الله عليه وآله انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا
املك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم
انه غير مستطاع لانه يجب ان تسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة

والبوانيه وغيرها سمعها لكاد يحصى إلى من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا إذا كن محبوبات
كلهن فكيف إذا مال القلب إلى بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها
قسمها من غير رضى منها يعني أن اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه إن وقع
منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا
مطلقة قال • هل هي إلا حظة أو تطليق • أو صلف أو بين ذاك تعليق • وفي قراءة أبي فتذروها
كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل وروي أن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث إلى أزواج رسول الله بمال فقالت عائشة إلى كل أزواج رسول الله بعث
عمر مثل هذا قالوا لا بعث إلى القرشيات بمثل هذا وإلى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فإن رسول الله كان
يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فأخبره فأتم لهن جميعا وكان لمعاذ امرأتان فإذا كان عند
إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وإن تصلحوا ما مضى من ميلكم وتداركوه
بالتوبة وتتقوا فيما تستقبل غفر الله لكم وقرئ وإن يتفارقا بمعنى وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله
كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا أهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني المقتدر
من قبلكم متعلق بوصينا أو بأوتوا وإياكم عطف على الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكتاب اسم للجنس يتناول الكتب
السماوية أن اتقوا بأن اتقوا ويجوز أن تكون أن المفسرة لأن التوصية في معنى القول وقوله وإن تكفروا فإن لله
عطف على اتقوا لأن المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم إن تكفروا فإن لله والمعنى أن الله خالق
كلهم ومالكهم والمنعم عليهم بأصناف النعم كلها فحقه أن يكون مطاعا في خلقه غير معصي
يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من الأمم السالفة ووصيناكم أن اتقوا الله يعني
أنها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لأنهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة
في العاقبة وقلنا لهم ولكم إن تكفروا فإن لله في سمواته وأرضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه
وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستغنيا عنهم حميدا لكثرة نعمه وإن لم يحمده أحد منهم وتكرير
قوله لله ما في السموات وما في الأرض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لأن الخشية والتقوى أصل
الخير كله إن يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما أوجدكم وأنشأكم ويأت بآخرين ويوجد إنشاء آخرين مكانكم
أو خلقا آخرين غير الإنس وكان الله على ذلك من الإعدام والإيجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء أراده
وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله من العرب أي إن يشأ يميتكم
ويأت بناس آخرين يوالونه وروي أنها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله يده على ظهر سلمان وقال
إنهم قوم هذا يريد أبناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة
فما له يطلب أحدهما دون الآخر والذي يطلبه أخسهما لأن من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب
الآخرة ما الغنيمة إلى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له إن أراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط
قوامين بالقسط مجتهدين في إقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أمرتم بإقامتها
ولو على أنفسكم ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم فإن قلت الشهادة على الوالدين والأقربين
أن يقولوا أشهد أن لفلان على والدي كذا أو على أقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت هي الإقرار على نفسه
لأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحق لها ويجوز أن يكون المعنى وإن كانت الشهادة وبالا على أنفسكم أو على آبائكم
وأقاربكم وذلك أن يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره إن يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع
الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه أو فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله أولى بهما بالغني والفقير أي بالنظر لهما وإرادة
مصلحتهما ولولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لأنه أنظر لعباده من كل ناظر فإن قلت لم ثنى
الضمير في أولى بهما وكان حقه أن يوحد لأن قوله إن يكن غنيا أو فقيرا في معنى إن يكن أحد هذين قلت قد
رجع الضمير إلى ما دل عليه قوله إن يكن غنيا أو فقيرا لا إلى المذكور فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس الغني
وجنس الفقير كأنه قيل فالله أولى بجنسي الغني والفقير أي بالأغنياء والفقراء وفي قراءة أبي فالله أولى بهم وهي
شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله إن يكن غني أو فقير على كان التامة أن تعدلوا يحتمل العدل والعدول كأنه قيل
فلا تتبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا بين الناس وإرادة أن تعدلوا عن الحق وإن تلووا أو تعرضوا وإن تلووا السنتكم
عن شهادة الحق وحكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وإن تلوا
بمعنى وإن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها فإن الله كان بما تعملون خبيرا وبمجازاتكم عليه يا أيها
الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الإيمان وداوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي
نزل على رسوله المراد به جنس ما أنزل على أنبيائه من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه
على إرادة الجنس وقرئ نزل وأنزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل
وكفروا ببعض وروي أنه لعبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبد الله
بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين أتوا رسول الله فقالوا يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وموسى
والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله وكتابه
القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كأنه قيل يا أيها الذين
آمنوا نفاقا آمنوا إخلاصا فإن قلت كيف قيل لأهل الكتاب والكتاب الذي أنزل من قبل وكانوا مؤمنين
بالتوراة والإنجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما أنزل من الكتب فأمروا أن يؤمنوا
بالجنس كله ولأن إيمانهم ببعض الكتب لا يصح إيمانا به لأن طريق الإيمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب
دون بعض فلو كان إيمانهم بما آمنوا به لأجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم أنهم لم يعتبروا
المعجزة فلم يكن إيمانهم إيمانا وهذا الذي أراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا فإن قلت لم قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل قلت
لأن القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله وملائكته [illegible]
ذلك فقد ضل لأن الكفر ببعضه كفر بكله ألا ترى كيف قدم الأمر بالإيمان به جميعا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما
وهو الإيمان الخالص الثابت والمعنى أن الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه
يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله لأن قلوب
أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه
حيث يبدو لهم فيه كرة بعد أخرى وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل
منهم ولم يغفر لهم لأن ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب
وأنه أمر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات
والغالب أنه يموت على شر حال وأسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالعجل

ويعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر المنافقين وضع بشر مكان أخبر تهكما بهم والذين
نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم أمر محمد
فتولوا اليهود فإن العزة لله جميعا يريد لأوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين نزل عليكم وأن هي المخففة من الثقيلة والمعنى أنه إذا سمعتم أي نزل عليكم أن الشأن
كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل أو في موضع النصب بنزل
فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا
فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون
به فنهي المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل
المشركين فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن
من أحبار اليهود هم المنافقون فقيل لهم إنكم إذا مثلهم مثلهم في الكفر إن الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود
معهم فإن قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم إلى من يرجع قلت إلى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كأنه
قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها فإن قلت لم يكونون مثلهم بالمجالسة إليهم في وقت الخوض
قلت لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر فإن قلت فهلا كان المسلمون بمكة
حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لأنهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا
مع قدرتهم فكان ترك الإنكار لرضاهم الذين يتربصون بكم بدل من الذين يتخذون وإما صفة للمنافقين ونصب
على الذم منهم يتربصون بكم أي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق فإن كان لكم فتح ألم نكن معكم مظاهرين فأسهموا
لنا في الغنيمة ألم نستحوذ عليكم ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بأن
ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانوا في مظاهرتكم عليهم فهاتوا نصيبا
لنا مما أصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب بإضمار أن قال الحطيئة • ألم أك جاركم ويكون بيني • وبينكم المودة والإخاء •
فإن قلت لم سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين
لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه وأما ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دنيء ولمظة
من الدنيا يصيبونها يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر وهو خادعهم وهو
فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والأموال وأعد لهم الدرك الأسفل من النار
في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته
إذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم
ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم كسالى وقرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى
في سكرى أي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراؤون
الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله إلا قليلا ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون
قط غائبين عن عيون الناس إلا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل أيضا لأنهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس
في قلوبهم لم يتكلفوه أو ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من
المتظاهرين بالإسلام لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا
يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه ويجوز أن يراد بالقلة العدم فإن قلت ما معنى المراءاة وهي مفاعلة
من الرؤية قلت فيها وجهان أحدهما أن المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني أن يكون
من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى رأاهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه
وعيش مفانق روى أبو زيد رأت المرأة المرآة الرجل إذا أمسكتها له ليرى وجهه ويدل عليه قراءة ابن
أبي إسحاق يرؤونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم أي يبصرونهم أعمالهم ويراؤونهم كذلك مذبذبين
إما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراؤون أي يراؤونهم غير ذاكرين مذبذبين أو منصوب على
الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون
وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان
يرمى به الرجوان إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى كلما مال إلى جانب ذب عنه وقرأ ابن
عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم أو بمعنى يتذبذبون كما جاء
صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن أبي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكأن
المعنى أخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة
قريش بين ذلك إشارة إلى الكفر والإيمان لا إلى هؤلاء منسوبين إلى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا إلى هؤلاء
ولا منسوبين إلى هؤلاء فيكونوا مشركين لا تتخذوا الكافرين أولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود
وغيرهم من أعداء الإسلام أولياء سلطانا حجة بينة يعني أن موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة
بن صوحان أنه قال لابن أخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن
وإنه يحق عليك أن تخالص المؤمن في الدرك الأسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك
لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم أدراك جهنم فإن قلت
لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر قلت لأنه مثله في الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله وخداعهم
وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص
وأخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه فأولئك مع المؤمنين فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين
وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فإن قلت من المنافق قلت هو في
الشريعة من أظهر الإيمان وأبطن الكفر وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك
الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه
مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال
الذي يصف الإسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فإذا خرجنا تكلمنا بخلافه
فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن أتى على النفاق زمان وهو مقروع
فيه فأصبح وقد عمم وقلد وأعطي سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم أيتشفى به من الغيظ أم يدرك
به الثأر أم يستجلب به نفعا أم يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك
وإنما هو أمر أوجبته الحكمة أن يعاقب المسيء فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق
العذاب وكان الله شاكرا عليما مثيبا موفيا أجوركم عليما بحق شكركم وإيمانكم فإن قلت لم قدم الشكر على
الإيمان قلت لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما
فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الإيمان وكأنه
أصل الإيمان وملاكه إلا من ظلم إلا جهر من ظلم استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على

الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل
ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع
اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا بدلا من الله على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى
ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء
وان كان على وجه الانتصار بعدما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل في
الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها
على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه
قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله جعل
الذين امنوا بالله وكفروا برسله او امنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله وبرسله جميعا لما ذكرنا
من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا
تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا فانه لا واسطة
بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقا اي هم الكاملون في الكفر وحقا تأكيد لمضمون الجملة
كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم
الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا
قلت ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت احدا فتقصد العموم
الا تراك تقول الا بني فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن
كاحد من النساء سوف يؤتيهم اجورهم معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا
كونه متأخرا روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت
نبيا صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا الى فلان انك رسول
الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق
لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى
اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد في ابائهم في ايام موسى وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على
مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة عيانا بمعنى ارناه نره جهرة فاخذتهم الصاعقة بسبب
سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة كما سأل ابراهيم صلوات الله عليه
ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق واتينا موسى سلطانا
مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى تاب عليهم فاطاعوه واحتبوا بافنيتهم
والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور
مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد اخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم
على ان يتموا عليه ثم نقضوه بعد وقرئ لا تعدوا ولا تعتدوا ولا تعدوا بادغام التاء في الدال فبما نقضهم فبنقضهم
وما مزيدة للتوكيد فان قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت اما ان يتعلق بمحذوف كانه
قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا
بدل من قوله فبما نقضهم فاما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب وتحريم الطيبات لم يكن الا
بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك فان قلت فهلا زعمت ان المحذوف الذي
تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم
بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار
لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اي
في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وهو مذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها
لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت
الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تابعا لقوله وقولهم
قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فان قلت ما معنى المجيء بالكفر
معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بايات الله
وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض
كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض
الميثاق والكفر بايات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم
بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان العظيم
هو التزنية فان قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن
الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قلت قالوه على وجه
الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن
مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما
ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا روي ان رهطا
من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من
سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه
يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب
ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما
ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه
وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال
بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان قلت شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى
المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو مسند
الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى
ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه الا اتباع الظن استثناء منقطع
لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن فان قلت قد وصفوا بالشك والشك
ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين قلت
اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه

قتلا يقينا او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تأكيدا لقوله وما
قتلوه كقولك وما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما
اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم
يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره
وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى
وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين
قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي
الحجاج اية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى
فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه
وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت
انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي
وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او
من معدنها قال الكلبي فقلت ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي بن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني
بزيادة اسم علي عليه السلام لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه
رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع
قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به ويدل عليه قراءة ابي ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على
معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم
بعيسى قبل موتهم قلت فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة
وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم
وكذلك قوله ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله
وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين
يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به
حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع
الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة
ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به
على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم
وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم فبظلم من الذين هادوا فباي ظلم منهم والمعنى
ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت
عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او
كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من الطعام وغيره وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا بالباطل
بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب لكن الراسخون يريد من امن منهم كعبد الله بن سلام
واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنين
من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل
الصلاة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط
المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص
من الافتنان وغبي عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة
على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق
بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء وفي مصحف عبد الله
والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب
عن سؤالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شأنه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء
الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو
ارسلنا ونبأنا وما اشبه ذلك او بما فسره قد قصصناهم وفي قراءة ابي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل لم نقصصهم
وعن ابراهيم ويحيى بن وثاب انهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح
الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على
التكرير فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي
النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل
الله الا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد
مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة
وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من رقدة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه
له فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد
قلت لما سأل اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك
قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا
فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوي بالبينات
وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت بم يجابون لو قالوا بم يعلم ان الملائكة يشهدون
بذلك قلت يجابون بانه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملائكة
يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من
الجملة التي قبله قلت معناه انزله متلبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم واسلوب يعجز عنه
كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه
انزله بالنظم المعجز الفائت للقدر وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما
علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من
الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في اخر سورة الجن ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم والاحاطة بمعنى
العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجز هو الشهادة حقا قال اي شيء اكبر شهادة قل الله
كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي وكان بعضهم كافرا وبعضهم ظالما لانهم كانوا اصحاب كبائر
لم يكن الله ليغفر لهم في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل
الى جهنم او لا يهديهم يوم القيامة طريقا الا طريقها [illegible] اي [illegible] فامنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا

سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود

اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد **وأتممت عليكم نعمتي** بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام **ورضيت لكم الاسلام** دينا يعني اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ان الدين عند الله الاسلام فان قلت بم اتصل قوله **فمن اضطر** قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها **في مخمصة** في مجاعة **غير متجانف لاثم** غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد **فان الله غفور رحيم** لا يؤاخذه بذلك في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده **ماذا احل لهم** كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان **يسألونك** بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما احل لهم منها فقيل **احل لكم الطيبات** اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد **وما علمتم من الجوارح** عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها **فكلوا** والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب **مكلبين** على الحال من علمتم فان قلت ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم قلت فائدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب **تعلمونهن** حال ثانية او استئناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا يأخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله **مما علمكم الله** من علم التكليف لانه الهام من الله عز وجل ومكتسب بالعقل او مما عرفكم الله ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا يأكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان كثيرا والامساك على صاحبه ان لا يأكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين ما اكل وما لم يأكل وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل فان قلت الام يرجع الضمير في قوله **واذكروا اسم الله عليه** قلت اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله **وطعام الذين اوتوا الكتاب** قيل هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي عليه السلام انه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرءون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرءون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس وقال ابو ثور وان امره بذلك في الصحة فلا بأس وقد اساء **وطعامكم حل لهم** فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم **والمحصنات** الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فعند ابي حنيفة هن كالمسلمات وخالفه الشافعي وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ **محصنين** اعفاء **ولا متخذي اخدان** صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى **ومن يكفر بالايمان** بشرائع الاسلام وما احل الله وحرم **اذا قمتم الى الصلاة** كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون عليه في ان المراد ارادة الفعل فان قلت لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلاة قصدتموها لان من توجه الى الشيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه فان قلت ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون للندب وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضئون لكل صلاة وعن النبي صلى الله عليه وآله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام انه كان يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب قلت لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا اول ما فرض ثم نسخ **الى** يفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله

وقوله **الى المرافق والى الكعبين** لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وآله انه كان يدير الماء على مرفقيه **وامسحوا برؤوسكم** المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه وقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية واخذ الشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس قرأ جماعة **وارجلكم** بالنصب فدل على ان الارجل مغسولة فان قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح قلت الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل **الى الكعبين** فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه انه اشرف على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فتوضأ قوم واعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر انه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فامره ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة لان تقطعا احب الي من ان امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع بين الامرين وروي عن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين وقرئ **فاطهروا** اي فطهروا ابدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله **فأموا صعيدا** **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج** في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم **ولكن يريد ليطهركم** بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء **وليتم نعمته عليكم** وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه **لعلكم تشكرون** نعمته فيثيبكم **واذكروا نعمة الله عليكم** وهي نعمة الاسلام **وميثاقه الذي واثقكم به** اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا **سمعنا واطعنا** وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان **ولا يجرمنكم** عدي بعلى لانه في معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون قوله ان تعدلوا بمعنى على ان لا تعدلوا ونحوه قوله عليه السلام من اتبع على مليء فليتبع لانه بمعنى احيل وقرئ **شنآن** بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد او ما اشبه ذلك **اعدلوا هو اقرب للتقوى** نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالامر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب الى **التقوى** لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه **لهم مغفرة واجر عظيم** بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم وعدا فقيل اي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة واجر عظيم او يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء وعد مجرى قال لانه ضرب من القول او يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كانه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون به ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى الثواب روي ان المشركين رأوا رسول الله واصحابه قاموا الى صلاة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلاة العصر وهموا بان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل جبريل بصلاة الخوف وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فسل سيف رسول الله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا فاسقط جبريل السيف من يده … فصاح رسول الله باصحابه فاخبرهم وابى ان يعاقبه يقال **بسط** اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى **فكف ايديهم عنكم** فمنعها ان تمد اليكم لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحاء ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى ان يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها **اني معكم** اي ناصركم ومعينكم **وعزرتموهم** نصرتموهم ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه **ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل** بالايمان والتوحيد **وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا** ملكا يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في **لئن اقمتم** موطئة للقسم وفي **لاكفرن** جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا **بعد ذلك** الشرط المذكور المعلق بالوعد العظيم فان قلت من كفر قبل ذلك ايضا **فقد ضل سواء السبيل** قلت اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى **لعناهم** طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية **وجعلنا قلوبهم قاسية** خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم او املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرأ عبد الله قسية اي ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي … وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع **يحرفون الكلم** بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه **ونسوا حظا** وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا

ونسوا حظا مما ذكروا به من التوراة يعني ان تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم
وبدلت فحرفوا التوراة وتركوا اشيا منها عن حفظهم وعن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية
وتلا هذه الاية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ولا
تزال تطلع اي هذه عادتهم وعادة اسلافهم كان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك
ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك فان قلت خائنة على
خيانة وعلى فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر
للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الاصبع وقرئ على خيانة
الا قليلا منهم وهم الذين امنوا منهم فاعف عنهم بعث على مخالفتهم وقيل هو منسوخ باية السيف وقيل

[illegible]

من خلفكم وما كان من بغى فهو لأهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو
ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في أهل الإسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود
هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة ... [illegible]
والنفس ... [illegible] ... أن الله ... [illegible]
والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل أن النفس ... [illegible]
بالنفس ... [illegible]
... [illegible]
... [illegible] والمعنى فرضنا عليهم فيها أن النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها إذا قتلتها بغير
حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والأنف مجدوع بالأنف والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة بالسن والجروح
قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص ويعرف المساواة وعن ابن عباس ... [illegible]
... [illegible] فمن تصدق ... [illegible] به ... فهو كفارة له فالتصدق به
كفارة للمتصدق ... [illegible]
... [illegible]

[illegible]

الكلام اصل وتبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم فان قلت الذين يقيمون ما محله قلت الرفع على البدل
من الذين امنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين امنوا
نفاقا او واطأت قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون في العمل وهم راكعون الواو فيه للحال اي يعملون ذلك
في حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى
يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له
خاتمه كانه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته فان قلت كيف صح ان يكون لعلي
واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في
مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر
والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان لزهم امر لا يقبل التأخير وهم في الصلوة لم يؤخروه الى الفراغ منها فان حزب الله
من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل
الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد
تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث كانا قد اظهرا الاسلام ثم
نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم
اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان كان
اهل الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا وقرئ
والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة ابي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرهم
ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا يأبى موالاة اعداء الدين اتخذوها الضمير للصلوة او للمناداة قيل كان
رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت
خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل فيه
دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون لان لعبهم وهزؤهم من افعال السفهاء
والجهلة فكانه لا عقل لهم قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا
وتنكرون الا الايمان [illegible] وان اكثركم فاسقون فان قلت علام عطف قوله
وان اكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها ان يعطف على ان امنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا
وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كانه قيل وما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم
خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف اي واعتقاد ان اكثركم فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور
اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي وما تنقمون
منا الا الايمان مع ان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كانه قيل وما تنقمون
منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا
وروي انه اتى رسول الله صلى الله عليه نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما
انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة
منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم
بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع على الابتداء والخبر محذوف
اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة وكسب الاموال
لا يدعكم فتنصفوا ذلك اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك
او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله قل افانبئكم بشر من ذلكم
النار او في محل الجر على البدل من بشر وقرئ مثوبة ومثوبة ومثابة ومثوبة فان قلت المثوبة
مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله ●
تحية بينهم ضرب وجيع ● ومنه فبشرهم بعذاب اليم فان قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود
فلم شورك بينهم في العقوبة قلت كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب
فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على
صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة ابي وعبدوا الطاغوت على المعنى وعن ابن مسعود ومن عبدوا
وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم
رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال ● ابني لبينى ان امكم امة وان اباكم عبد ● وعبد
بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة
او هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع
بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك
امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله فان قلت كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد
الطاغوت قلت فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوها والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به
كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله
ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس
رضي الله عنه اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل
وجعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين من اصحاب
السبت فالشبان مسخوا قردة والمشايخ مسخوا خنازير وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود
ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا جعلت
الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي
اخت المجاز نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يظهرون له الايمان نفاقا
فاخبر الله نبيه بشأنهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بايات الله
ومواعظك وقوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله
وقد خرجوا به ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال وليعلم ان امارات النفاق كانت لائحة
عليهم فكان رسول الله صلى الله عليه متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله
قالوا امنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم والاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة
الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم والمسارعة في الشيء
الشروع فيه بسرعة لبئس ما كانوا يصنعون كانهم جعلوا اثم من يرتكب المناكير لان كل عامل لا يسمى
صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع
المعصية معه الشهوة التي تدعو اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا

فرط في الانكار فكان ابلغ لانه امر لم يقع ولعمري ان هذه الاية مما يقذ السامع وتنعى على العلماء توانيهم
[illegible] ابن عباس هي اشد اية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن اية اخوف عندي منها [illegible]
[illegible] غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه
قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط
ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لانهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك
لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارة من غير استعمال اليد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزيلا
لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله
جاد الحمى بسط اليدين بوابل ● شكرت نداه تلاعه ووهاده ● ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله ●
اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ● ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني
من الاعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل امثال هذه الاية ولم يتخلص من يد الطاعن
اذا عبثت به فان قلت قد صح ان قولهم يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه
ان يطابق ما تقدمه والا تنافر الكلام وزاغ عن سننه قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا
ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر ● بقيت وفري وانحرفت عن العلى ● ولقيت اضيافي بوجه عبوس
ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغللون في الدنيا اسارى وفي الاخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من
حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع فان قلت
كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد قلت المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم
فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء
الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم فان قلت لم ثنيت اليد في قوله بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في
يد الله مغلولة قلت ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك
ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين
وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يد بسطاء بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء
تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله تعالى كان قد
بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف
الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الاخرون
فاشركوا فيه وليزيدن اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بايات الله
والقينا بينهم العداوة فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما اوقدوا نارا
كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في
ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم
فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وقيل
كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس ويسعون
ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله من كتبهم ولو ان اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم امنوا
برسول الله وبما جاء به وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان لكفرنا
عنهم تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود
والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت
معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى
كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل اقاموا احكامها وحدودها وما فيهما
من نعت رسول الله صلى الله عليه وما انزل اليهم من ربهم من جميع كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت
اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار
المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤوس الشجر
ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة رسول الله وقيل
هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى
التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم بلغ ما انزل اليك
جميع ما انزل اليك واي شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل وان
لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذا ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد
منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا
كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء
الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنه ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتي وروي
عن رسول الله صلى الله عليه بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي
العصمة فقويت فان قلت وقوع قوله فما بلغت رسالته جوابا للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان احدهما
انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفاء بشناعته
فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شيء وان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمانها كلها كما عظم قتل
النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من
العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه السلام فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك
والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائهم فما عذرك
في مراقبتهم فان قلت اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته قلت المراد
انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم السلام
وقيل نزلت بعد يوم احد والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين ومعناه انه لا يمكنهم مما
يريدون انزاله بك من الهلاك وعن انس كان رسول الله يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا
يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس لستم على شيء اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول
هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شأنه وفي امثالهم اقل من لا شيء فلا تأس فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم
وكفرهم فان ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين غنى عنهم والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف
والنية به التأخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى
حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدا له ● والا فاعلموا انا وانتم ● بغاة ما بقينا في شقاق
اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك فان قلت هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها قلت
لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان فان قلت لم لا يصح والنية به التأخير فكانك

قلت إنّ بالمنطلق وعمرو وقلت لا إذ ارفعته رفعته عطفاً على محل إنّ واسمهما والعامل في محلهما

[illegible]

والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة

قوله إنّ الذين آمنوا إلى آخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فإن قلت ما التقديم والتأخير إلا لفائدة

فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح

فما الظن بغيرهم وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدهم غياً وما سموا صابئين إلا لأنهم صبأوا عن

الأديان كلها أي خرجوا

[illegible]

فإن قلت كيف قال الذين آمنوا ثم قال من آمن قلت فيه وجهان أن يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم

المنافقون

[illegible]

قالوا ولكنه يكره هذه الألوان فأقبل الحسن عليه وقال يا فرقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص
السمن يعيبه مسلم وعنه أنه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدي شكره قال أفيشرب الماء
البارد قالوا نعم قال إنه جاهل إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه إن الله تعالى
أدب عباده فأحسن أدبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا
وأطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم
أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن
تحريمها دخولا أوليا لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله أي من الوجوه الطيبة
التي تسمى رزقا حلالا حال مما رزقكم الله طيبا واتقوا الله تأكيد للوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله الذي
أنتم به مؤمنون لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهى عنه اللغو في اليمين الساقط الذي
لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة إنما سئل عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي
وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن وهو قول أبي حنيفة بما عقدتم الأيمان
بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي أن الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال
يا أبا سعيد دعني أجب عنك فقال • ولست بمأخوذ بلغو تقوله • إذا لم تعمد عاقدات العزائم • وقرئ
عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه
كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي
من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها من أوسط ما تطعمون من أقصده لأن منهم من يسرف في إطعام أهله ومنهم من يقتر
وهو عند أبي حنيفة نصف صاع من بر أو صاع من غيره لكل مسكين أو يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي مد لكل
مسكين وقرأ جعفر بن محمد أهاليكم بسكون الياء والأهالي اسم جمع لأهل كالليالي في جمع ليلة والأراضي
في جمع أرض وقولهم أهلون كقولهم أرضون بسكون الراء وأما تسكين الياء في حال النصب فالتخفيف كما قالوا
رأيت معدي كرب شبهوا الياء بالألف أو كسوتهم عطف على محل من أوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة في
قدوة وأسوة في أسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر
إزار وقميص ورداء أو كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان أبيضان وعن سعيد بن المسيب عمامة
يلف بها رأسه وعباءة يلتحف بها وقرئ أو كأسوتهم بمعنى أو مثل ما تطعمون أهليكم إسرافا كان أو تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن
تواسون بينهم وبينهم فإن قلت ما محل الكاف قلت الرفع تقديره أو إطعامهم كأسوتهم بمعنى
كمثل إطعامهم أهليكم إذا أطعموهم بالوسط أو تحرير رقبة شرط الشافعي الإيمان قياسا على كفارة القتل
وأما أبو حنيفة وأصحابه فيجوزون تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى كفارة القتل فإن قلت ما معنى أو
قلت التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث على الإطلاق بأيتها أخذ المكفر فقد أصاب فمن لم يجد
إحداها فصيام ثلاثة أيام متتابعات عند أبي حنيفة تمسكا بقراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما
فصيام ثلاثة أيام متتابعات وعند الشافعي هو مخير في كل صوم متتابع إلا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين ذلك
المذكور كفارة أيمانكم ولو قيل تلك كفارة أيمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الأشياء أو لتأنيث الكفارة
والمعنى إذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف
لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال إذا لم يعص
الحانث واحفظوا أيمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا أراد الأيمان التي الحنث فيها معصية لأن الأيمان اسم جنس
يجوز إطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بأن تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها
ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته أعلام شريعته وأحكامه لعلكم
تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه أكد تحريم الخمر والميسر وجوها من
التأكيد منها تصدير الجملة بإنما ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام ومنه قوله عليه السلام شارب
الخمر كعابد الوثن ومنها أنه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الأوثان ومنها أنه جعلهما
من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت ومنها أنه أمر بالاجتناب ومنها أنه جعل الاجتناب
من الفلاح وإذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها أنه ذكر ما ينتج
منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان إليه من
الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وقوله فهل أنتم منتهون من أبلغ ما ينهى به كأنه
قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون
أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله
فاجتنبوه قلت إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما
أشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فإن قلت لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب
والأزلام أولا ثم أفردهما آخرا قلت لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عما كانوا
يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر
وإظهار أن ذلك جميعا من أعمال أهل الجاهلية وأهل الشرك فوجب اجتنابه بأسره وكأنه لا
مباينة بين من عبد صنما وأشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا أو قامر ثم أفردهما بالذكر
ليرى أن المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن الصلاة اختصاص للصلاة من بين الذكر كأنه
قيل وعن الصلاة خصوصا واحذروا وكونوا حاذرين خاشعين لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء
كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز أن يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر أو في ترك طاعة الله
والرسول فإن توليتم فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأن الرسول ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات
وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء طعموه من
مستلذات المطاعم ومشتهياتها إذا ما اتقوا ما حرم عليهم فيها وآمنوا وثبتوا على الإيمان والعمل
الصالح وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى والإيمان ثم اتقوا وأحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي
وأحسنوا أعمالهم أو أحسنوا إلى الناس واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر
قالت الصحابة يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت
يعني أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات إذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم
اتقوا وأحسنوا على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لأحوالهم في الإيمان والتقوى
والإحسان ومثاله أن يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح فتقول وقد علمت أن ذلك أمر مباح ليس على أحد
جناح في المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد أن زيدا تقي مؤمن محسن وأنه غير مؤاخذ بما فعل
ليبلونكم الله بشيء من الصيد نزلت في عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في
رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله

وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه
فمن اعتدى بعد ذلك فالوعيد لاحق به فإن قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم أنه
ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها أقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال وإنما هو شبيه
بما ابتلي به أهل أيلة من صيد السمك وأنهم إذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو أشد منه وقرأ إبراهيم
تناله بالتاء حرم جمع حرام كردح في جمع رداح والتعمد أن يقتله وهو ذاكر لإحرامه أو عالم أن ما
يقتله مما يحرم عليه قتله فإن قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فإذا هو صيد أو قصد
برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب صيدا فهو مخطئ فإن قلت فمحظورات الإحرام يستوي فيها العمد
والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الآية قلت لأن مورد الآية فيمن تعمد فقد روي أنه عن لهم في عمرة
الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له إنك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت
ولأن الأصل فعل التعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال أمره ومن عاد فينتقم الله
منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا أرى في الخطأ شيئا أخذا
باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء مماثل
لما قتل من الصيد وهو عند أبي حنيفة قيمة الصيد يقوم حيث صيد فإن بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين أن يهدي
من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من
غيره وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فإن فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما أو تصدق به وعند
محمد والشافعي مثله نظيره من النعم فإن لم يوجد له نظير من النعم عدل إلى قول أبي حنيفة فإن قلت فما
يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة قلت قد
خير من أوجب القيمة بين أن يشتري بها هديا أو طعاما أو يصوم كما خير الله في الآية فكان قوله من النعم
بيانا للهدي المشترى بالقيمة في أحد وجوه التخيير لأن من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فأهداه
فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على أن التخيير الذي في الآية بين أن يجزي بالهدي أو يكفر بالإطعام أو بالصوم
إنما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف إذا قوم ونظر بعد التقويم أي الثلاثة يختار فأما إذا عمد
إلى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فإذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يتخير بين الإطعام والصوم
ففيه نبو عما في الآية ألا ترى إلى قوله أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما كيف خير بين الأشياء
الثلاثة ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الإضافة
وأصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه أن يجزي مثل ما قتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضرب
زيدا ثم من ضرب زيد وقرأ السلمي على الأصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز
جزاء مثل ما قتل وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه يحكم به
بمثل ما قتل ذوا عدل حكمان عدلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على أن المثل القيمة لأن التقويم
مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المشاهدة وعن قبيصة أنه أصاب ظبيا وهو محرم فسأل
عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم أمره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم أمير المؤمنين حتى
سأل غيره فأقبل عليه ضربا بالدرة وقال أتغمص الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم قال الله تعالى يحكم
به ذوا عدل منكم فأنا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم أراد يحكم به من
يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل أراد الإمام هديا حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لأن الصفة خصصته
فقربته من المعرفة أو بدل عن مثل فيمن نصبه أو عن محله فيمن جره ويجوز أن ينتصب حالا عن الضمير في به
ووصف هديا ببالغ الكعبة لأن إضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم فأما التصدق
به فحيث شئت عند أبي حنيفة وعند الشافعي في الحرم فإن قلت بم يرفع كفارة من نصب جزاء قلت
يجعلها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل أو الواجب عليه كفارة أو يقدر فعليه أن يجزي جزاء أو كفارة فيعطفها
على أن يجزي وقرئ أو كفارة طعام مساكين على الإضافة وهذه الإضافة مبينة كأنه قيل أو كفارة من طعام
مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الأعرج أو كفارة طعام مسكين وإنما وحده لأنه
واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ أو عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما أن
عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والإطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل
لأن كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول
به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل وذلك إشارة إلى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله
رجلا والخيار في ذلك إلى قاتل الصيد عند أبي حنيفة وأبي يوسف وعند محمد إلى الحكمين ليذوق متعلق
بقوله فجزاء أي فعليه أن يجازى أو يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام والوبال المكروه والضرر
الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فأخذناه أخذا وبيلا أي ثقيلا والطعام
الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الإحرام قبل أن تراجعوا
رسول الله وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم
وكان الصيد فيها محرما ومن عاد إلى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه فينتقم الله منه ينتقم
خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف
يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير
والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح أنه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وأنه لم يذكر
الكفارة صيد البحر مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى
أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصطاد في البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده عند
أبي حنيفة وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد منه على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه
متاعا لكم مفعول له أي أحل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له إسحاق
ويعقوب نافلة في باب الحال لأن قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة حال مختصة بيعقوب
يعني أحل لكم طعامه تمتيعا لتنايكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود
موسى عليه السلام الحوت في مسيره إلى الخضر وقرئ وطعمه وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه
وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كطير الماء عند أبي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم
كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير أنهم
أجازوا للمحرم أكل ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل إحرامه
وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وعند مالك والشافعي وأحمد لا يباح له ما صيد لأجله فإن قلت ما
يصنع أبو حنيفة بعموم قوله صيد البر قلت قد أخذ أبو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله وحرم

عليكم صيد البر ما دمتم حرما لم يظاهر الله صيد البحر مطلقا دون صيد البر [illegible] كأنه
قيل وحرم عليكم ما صيد في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقرا ابن عباس وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل
وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام جعل الله الكعبة البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح
لا على جهة التوضيح كما تجي الصفة كذلك قياما للناس انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم
ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطا بن
ابي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام الشهر الذي يؤدي فيه الحج وهو ذو الحجة
لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا قد عرفه الله وقيل عنى به جنس الاشهر الحرم والهدي
والقلايد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر ذلك اشارة
الى جعل الكعبة قياما للناس والى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا ان الله يعلم
كل شي وهو عالم بما يصلحكم وما ينفعكم مما امركم به وكلفكم شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور
رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب
عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط الخبيث والطيب
بعيد عند الله وان كان نفيسا عندكم فلا يعجبوا بكثرة الخبيث حتى يؤثروه لكثرته على الطيب القليل فانما
تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال
وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله وآثروا الطيب
وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الاية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة
كما قيل وكاثر بسعد ان سعدا كثيرة ● ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا ● لا تسألوا عن اشياء ● وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين ارادوا [illegible] المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين
والجملة الشرطية والمعطوفة عليها اعني قوله ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم
صفة لاشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله حتى تسألوا عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم
اياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي ان سراقة ابن مالك او عكاشة بن
محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه حتى اعاد مسألته ثلاث مرات
فقال صلى الله عليه ويحك ما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم
ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على
انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه وان تسألوا عنها حين ينزل
القرآن وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه
تبد لكم تلك التكاليف الصعبة التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها
عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط
منكم بعقوبته فان قلت كيف قال لا تسألوا عن اشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سال عنها قلت الضمير
في سألها ليس براجع الى اشيا حتى يجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني
قد سأل هذه المسألة قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها اي بمرجوعها او بسببها كافرين وذلك ان بني
اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشيا فاذا امروا بها تركوها فهلكوا كان اهل الجاهلية اذا
نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا
لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان الرجل يقول اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي
سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل
بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم واذا انتجت من صلب الفحل
عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا
امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب واكثرهم
لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم او لو في قوله او لو
كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتدا انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة كان المؤمنون
تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم
وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل
لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتاسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا
يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الاية بينهم وبينه
وعن ابن مسعود انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان ياتي زمان
تامرون بالمعروف فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يامر وينهى فلا يقبل منه
وبسط لعذره وعنه ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فاذا ردت عليكم فعليكم انفسكم وعن ابي
ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سالت عنها خبيرا سالت رسول الله صلى الله عليه عنها فقال ائتمروا
بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي
راي برايه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر
للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك
ولاموه فنزلت عليكم انفسكم من اسما الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم ولذلك جزم
جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة
ابي حيوة لا يضيركم وان يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الرا اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها
من الرا المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره
يضيره ويضوره ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدأ الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة
اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان وقرا الشعبي شهادة بينكم بالتنوين
وقرا الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان اذا حضر ظرف للشهادة حين الوصية بدل
منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها
المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل منكم من اقاربكم ومن غيركم
من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا
اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم

من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في
اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا ذوي عدل منكم
وروي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن اوس
وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به
صاحبيه وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فاخذا اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال
منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوهم الى رسول الله فنزلت تحبسونهما
تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلاة من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر
او الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله
عليه صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم
وعدي وقيل هي صلاة اهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى
ان ارتبتم في شانهما فاتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد
الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي عليه السلام انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير في به
للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال
ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله
كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين شهادة الله اي الشهادة التي امر
الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف
الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة
الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام
نون من فيها كقوله عاد لولى فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استئناف كلام كانه قيل
بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلاة
بصلاة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما
لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلاة الفجر ويجوز ان تكون اللام للجنس وان
تقصد بالتحليف على اثر الصلاة ان تكون الصلاة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان
يقال انهما لمن الاثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان اي من الذين
استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت
خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتهما والاوليان
الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان
وقيل هما بدل من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق اي من الذين استحق عليهم انتداب
الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور
او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ
الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرا الحسن الاولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي
وابو حنيفة واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما اختانا
فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشرا فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم
الشرا فان قلت فما وجه قراءة من قرا استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهو علي وابي وابن
عباس رضي الله عنهم قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان
يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان الحكم ادنى ان
ياتوا الشهدا على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان ان تكرر ايمان شهود آخرين
بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واسمعوا سمع اجابة وقبول يوم
يجمع الله الرسل بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه
او منصوب بقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او نصب على اذكر او يوم
يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجابة
اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال
الموؤدة توبيخا للوائد فان قلت كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما اجيبوا قلت يعلمون
ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من
سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجا الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم
واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم السلام ومثاله ان
ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على
كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما
فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه واتكالا عليه
واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب
ثم يجيبون بعدما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك
ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم
فكانه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف
يخفى عليهم امرهم وقد راوهم سود الوجوه زرقا العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب
على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب
علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او هو صفة لاسم ان اذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى
انه يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام
فكذبوهم وسموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم الهة كما قال بعضهم
فيما اظهره على يد عيسى من البينات والمعجزات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين ايدتك
قويتك وقرئ آيدتك على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين واضافه الى القدس
لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس في المهد في موضع الحال لان
المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد فيه دليل على حد من الطفولة وقيل روح القدس جبريل صلى
الله عليه ايد به لتثبيت الحجة فان قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم
في هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل

وبلوغ الاشد والحد الذي يستنبأ فيه الانبيا والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة
لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب هيئة
الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها
عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا نفخه في شي وكذلك الضمير في
فتكون تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامراة وجارية واذ
كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس
الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اين
ما امسى بات واذ اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة الرسل مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله عيسى في محل
النصب على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما
كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله • احار بن عمرو كاني خمر • ويعدو على المرء ما ياتمر •
لان الترخيم لا يكون الا في المضموم فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم
قلت ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن
ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مومن
معظم لربه وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره
واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان
كنتم مومنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سوال ربك
والمعنى هل تساله ذلك من غير صارف يصرفك عن سواله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي
من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه وتطمئن قلوبنا ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين
لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع
الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص وانما سال عيسى واجيب
ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم
وتكون بالتاء والضمير للقلوب اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا
نداء ثان تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد
السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرا عبد الله تكن على جواب
الامر ونظيرهما يرثني ويرث لاولنا واخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل
ديننا ولمن ياتي بعدنا وقيل ياكل منها اخر الناس كما ياكل اولهم ويجوز للمقدمين منا والاتباع وفي قراءة زيد
لاولانا واخرانا والتانيث بمعنى الامة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر
ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء وروي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال
اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت
بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة
وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها وياكل منها فقال شمعون راس
الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى وتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين
فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من
الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن
وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة
فقال ليس منهما ولكنه شي اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم ويزدكم
من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله
فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة
وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل
وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيامة لقوله واخرنا والصحيح انها نزلت
سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله تعلم ما في نفسي
ولا اعلم ما في نفسك والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو
من فصيح الكلام وبينه فقيل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لان
ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ان في قوله ان اعبدوا الله
ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه
له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا
ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته
باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة
بالفعل لم تخل من ان تكون بدلا مما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي
يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان
العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء في قوله به لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام
الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته فان
قلت فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني به
ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان تكون ان موصولة
عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك
ويتدينوا به فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم
من البينات وارسلت اليهم من الرسل ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين
لانبيائك وان تغفر لهم فانك انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب
الا عن حكمة وصواب فان قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم قلت ما قال
انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت
لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول
بل متى كان المجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب
اما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدا والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع
يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لانه مضاف الى متمكن وقرا الاعمش يوم ينفع
بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي فان قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم ان اريد

صدقهم في الآخرة فليس للآخرة الا زعما وان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه
في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة قلت معناه الصدق المستمر
بالصادقين في دنياهم واخراهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة اما ابليس فقال ان الله
وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه واما عيسى فكان
صادقا في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه فان قلت في السموات والارض العقلاء وغيرهم
فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن قلت ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا ترى انك تقول
اذا رايت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غير عاقل فكان اولى بارادة العموم وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له
عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشا كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور
والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين
الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شي من شي وتصيير شي
شيا او نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام
المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم ازواجا اجعل الآلهة الها واحدا فان قلت لم افرد
النور قلت للقصد الى الجنس كقوله والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من
اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار فان قلت
علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق
بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله
خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شي منه فان
قلت فما معنى ثم قلت استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم انتم تمترون
استبعاد لان يمتروا فيه بعدما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده
اجل القيامة وقيل الاجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل
الاول النوم والثاني الموت فان قلت المبتدا النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تاخيره فلم جاز تقديمه
في قوله واجل مسمى عنده قلت لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مومن خير من مشرك
فان قلت الكلام السائر ان يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم قلت
اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما لشان الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم في السموات
متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او وهو المعروف
بالالهية فيها او هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون الله في السموات خبرا بعد خبر
او هو على معنى انه الله وانه في السموات والارض بمعنى انه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شي كان ذاته فيهما فان قلت
كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه
السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدا بمعنى هو يعلم
سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب من في من آية للاستغراق ومن
للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا
عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به راسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا
مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية
واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف ياتيهم
انباء الشي الذي كانوا به يستهزئون وهو القرآن اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون باي شي استهزؤوا وسيظهر
لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام
وعلو كلمته مكن له في الارض جعل له مكانا فيها ونحوه ارض له ومنه قوله انا مكنا له في الارض اولم
نمكن لهم واما مكنته في الارض فاثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب
المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود
وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها
الى السحاب او السحاب او المطر والمدرار المغزار فان قلت اي فائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم
قلت الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم آخرين
يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم على
الرؤية لئلا يقولوا سكرت ابصارنا ولا تبقى لهم علة فقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره لقضي
الامر لقضي امر اهلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله
في صورته وهي آية لا شي ابين منها وايقن ثم لا يومنون كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم
كما اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملائكة فيجب
اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم
بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة اشد من
نفس الشدة ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة
يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم
وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا راوا الملك في صورة انسان
هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه
كما كذبوا محمدا واذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد ولبسنا
عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة وقرا ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة
وقرا الزهري وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد ولقد استهزئ تسلية لرسول الله عما كان يلقى من قومه فحاق
فاحاط بهم الشي الذي كانوا به يستهزئون وهو الحق حيث اهلكوا من اجل استهزائهم به فان قلت اي فرق بين قوله
فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر
ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة
وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح لمن ما في
السموات والارض سوال تبكيت وقل لله تقرير لهم اي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان

نضيفوا شيئا منه الى مربه كتب على نفسه الرحمة اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على
توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على
خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة فيجازيكم على اشراككم وقوله الذين خسروا انفسهم نصب على الذم او رفع
اي اريد الذين خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا انفسهم فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم
والامر على العكس قلت معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله عطف
على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم
وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان اغير الله
همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان
اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون آلله اذن لكم وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله
وبالرفع على المدح وقرأ الزهري فطر وعن ابن عباس ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان
في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما اريد منهم
من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا
يطعم بفتح الياء وروى ابن المأمون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل
والضمير لغير الله وقرأ الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم
وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم
تارة اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر اول من اسلم لان
النبي سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت
اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن من المشركين وقيل لي لا تكونن ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك
من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك ان اطعمتني رغيفا من جوع فقد
احسنت الي تريد فقد اتممت الاحسان الي او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب
وقرئ من يصرف الله عنه وفي ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يصرف الله عنه ويحفظه وقد علم من
المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان
ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه
وتنصره قراءة ابي من يصرف الله عنه وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من بلاياه فلا
كاشف له الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على ادامته او ازالته
وهو القاهر فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون الشيء اعم العام لوقوعه
على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان
يقال في الله عز وجل شيء لا كالاشياء كانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام واراد
اي شهيد اكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل ان يكون تمام الجواب
عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله
شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة
شهيد له ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اي لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن من
العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما راى
محمدا صلى الله عليه أئنكم لتشهدون تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم الذين آتيناهم الكتاب
يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة
كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة
بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين ومن اهل الكتاب
الجاحدين فهم لا يؤمنون به جمعوا بين امرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت
بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله امرنا بها وقالوا
الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا
القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم
نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو داخل في التخويف اين شركاؤكم اي الهتكم
التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم
ثم يقول بالياء وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حين لا ينفعونهم
ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكانهم غيب عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ
ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم ثم لم تكن فتنتهم كفرهم والمعنى
ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ
منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب
وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما انث ان قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقوله من كانت امك وقرئ بالياء
ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا بالنصب على النداء وضل عنهم ما
كانوا يفترون اي يفترون الهيته وشفاعته فان قلت كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على
حقائق الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما
لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم واما قول
من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا انا على خطا في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا
على انفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي واقحام لان المعنى
الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك
تفسيره بقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون
بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع حين تتلو
القرآن روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله
فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه
ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت الاكنة
على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل
الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا
ينطقون به من قوله وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرأ طلحة وقرا بكسر الواو حتى اذا جاؤوك يجادلونك هي

حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤوك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون
الجارة ويكون اذا جاؤوك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه
بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين
فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية في التكذيب وهم ينهون الناس عن القرآن
وعن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون الا
انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى
قريشا عن التعرض لرسول الله وينأى عنه فلا يؤمن به روي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله سوءا فقال
والله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى اوسد في التراب دفينا • فاصدع بامرك ما عليك غضاضة • وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي • ولقد صدقت وكنت ثم امينا • وعرضت دينا لا محالة انه • من خير اديان البرية دينا •
لولا الملامة او حذاري سبة • لوجدتني سمحا بذاك مبينا • فنزلت ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت
امرا شنيعا وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او دخلوها فعرفوا مقدار عذابها
من قولك وقفته على كذا اذا عرفته وفهمته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا يا ليتنا نرد
تم تمنيهم ثم ابتدأوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على
وجه الاثبات شبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني
ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل
تحت حكم التمني فان قلت يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت هذا تمن
تضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافئك على صنيعك
فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب كانه قال ان رزقني الله مالا
كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم
نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة
جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين
وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة
نبوة رسول الله ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون
فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا
كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون
في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ
والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال
مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال أليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله تعالى لهم على
التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل بما كنتم تكفرون
بكفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في مواضع اخر حتى
غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة فان قلت
اما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا في احوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة
وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت
لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم
الساعة بغتة فرطنا فيها الضمير للحياة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى
قصرنا في شأنها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله
فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون
وزرهم كقوله ساء مثلا القوم جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال
الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون دليل على ان ما عدا اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر
ولدار الآخرة وقرئ تعقلون بالتاء والياء قد نعلم بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته
كقوله • ولكنه قد يهلك المال نائله • والهاء في انه ضمير الشأن ليحزنك قرئ بضم الياء وفتحها
الذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب فانهم لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله
كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله
المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته فانته عن حزنك
لنفسك وانهم كذبوك وانت صادق ليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك بجحود آيات
الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما
اهانوني ومن هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك
بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق
ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس كان رسول الله يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب
في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا لمصدق وانما نكذب ما
جئتنا به وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب
فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء
والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من اقامة الظاهر
مقام المضمر للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت تسلية لرسول الله وهذا دليل على ان قوله
فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني على ما
كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبأ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من
مصابرة المشركين كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزلت لعلك
باخع نفسك وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا منفذا
تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها او سلما في السماء فتأتيهم منها بآية
يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع ان يأتيهم
بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود ان يجابوا اليها
لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك
لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض او السلم في السماء هو
الآية بآية كانه قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي في السماء لعل ذلك يكون لك
آية يؤمنون عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره ولو شاء الله لجمعهم على الهدى

بانه ملجئه ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه
انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب
من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي
يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ثم اليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر ان يحييهم بالايمان
وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون
واما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء لولا نزل عليه آية نزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل
بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك
مع تكاثر ما انزل من الآيات على رسول الله لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات
عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها
جاءهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها
امثالكم مكتوبة ارزاقها وآجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم وآجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا
وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما
يختص به ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي
انه يأخذ للجماء من القرناء فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله
وما من دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم
على المعنى فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير
بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع
وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان
قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره
تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها
لا يشغله شأن عن شأن وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان
وقرأ ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف
فان قلت كيف اتصل قوله والذين كذبوا بآياتنا قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد
لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه وبكم لا ينطقون بالحق خابطون
في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشأ الله يضلله
اي يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف
يجدي عليه ارأيتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت
للكاف محلا لكنت كأنك تقول أرأيت نفسك زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ويتعلق الاستخبار
بمحذوف تقديره ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون
بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل
تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم
يكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم او لا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم في ذلك الوقت
مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله
تدعون كانه قيل ارأيتكم اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان قلت ان علقت الاستخبار بقوله اغير الله تدعون فما تصنع
بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت
قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه
آخر من الحكمة ارجح منه بالبأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس
والاموال والمعنى ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم
ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا
ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم
التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم
يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة لنزاوج عليهم بين نوبتي الضراء
والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا
من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا
هم مبلسون واجمون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا آخرهم لم يترك منهم احد قد استؤصل
شأفتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم
فقطع بالتشديد ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنه
فهمكم وعقلكم يأتيكم به اي بذلك اجرى الضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه يصدفون
يعرضون عن الآيات بعد ظهورها لما كانت بغتة ان تقع الامر من غير ان تشعر به وتظهر ما رأته قبل بغتة او
جهرة وعن الحسن ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا القوم
الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء الا مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاءوا به واطاعهم ومن لم يطعهم
وعصاهم ولم نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة وليس
ما يحتج عليه اصلاحه مما كان فعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قوله
منه الامرين [illegible] حيث جمعوا اجمع العقلاء وقوله اذا اتاهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وارزاقه وعلم
الغيب وان من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلقه الله وافضله واقربه منزلة منه منزلة الملائكة
حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة هل يستوي
الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى
المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية او الملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه
العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه فان قلت
اعلم الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه
قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون ان
يحشروا اما قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي الله
ليس لهم لعلهم يتقون اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما
ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى

ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامره ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع
الحال من يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف
انما هو الحشر على هذه الحال ذكر غير المتقين من المسلمين وامره بانذارهم ليتقوا ثم اردفه ذكر المتقين
منهم وامره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء
ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلاة الصبح
والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي
ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب
وخباب وسلمان واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال
عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال نعم طمعا
في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون ثم الحوا وقالوا اكتب لنا
بذلك كتابا فاتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر عن مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت
فكان رسول الله يقعد معنا ويدنو منا حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني
ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم من شيء كقوله ان حسابهم
الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص
وبارادة وجه الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام
بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم
كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم اليه وما من
حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله
ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه
وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ ولا تحاسب بما هم عليه حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد
المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب
لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس
اي ابتليناهم بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين اهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا اي انعم
الله عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء
انكارا لان يكونوا امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان
خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول
لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون اليس الله باعلم بالشاكرين اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر
فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ
سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على
نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم وقرئ انه
على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال من الرحمة بجهالة في
موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر
في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر
على انها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه
والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر [illegible]
الكفرة [illegible] لم يعلم انها مفسدة وقرئ ولتستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لان السبيل تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب
الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل
البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن ترى فيه امارة
القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح
سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل نهيت صرفت وزجرت بما ركب في من ادلة
العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما
كانوا فيه على غير بصيرة لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى
دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة
الباطل قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من المهتدين في شيء يعني انكم كذلك ولما نفى ان
يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي ومعنى قوله اني على بينة من ربي وكذبتم
به اي اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به
غيره فقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذ كان اتباعه بالدليل تعرفه بما دل على عظم
تكذيبهم لله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال ما عندي ما تستعجلون
به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم الا لله في تأخير عذابكم
الحق اي يقضي الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في اقسامه وهو خير الفاصلين اي القاضين وقرئ يقص
الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره قل لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون
به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانتقاما من تكذيبكم به ولتخلصت
منكم سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي
القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان او البرهان فان قلت بم انتصب الحق قلت
بانه صفة لمصدر يقضي اي يقضي القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي
يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فان قلت لم اسقطت الياء في الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها
في اللفظ لالتقاء الساكنين جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن
المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات
وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن
والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ولا حبة ولا رطب
ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله
الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب علم الله
او اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء
وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة الا في الدار وهو الذي يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة اي ينيمكم بالليل

كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن أجله كقولك فيم دعوتني فيقول في أمر كذا ليقضى أجل مسمى وهو الأجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم ثم إليه مرجعكم وهو المرجع إلى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم حفظة ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن أبي حاتم السجستاني أنه كان يكتب عن الأصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه • أنت شبه الحفظة • تكتب لفظ اللفظة • فقال الأصمعي وهذا أيضا مما يكتب فإن قلت الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها قلت فيها لطف للعباد لأنهم إذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد عن السوء توفته رسلنا أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه وعن مجاهد جعلت الأرض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من أهل بيت إلا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز أن يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه وهم لا يفرطون بالتواني والتأخير وقرئ يفرطون بالتخفيف والإفراط مجاوزة الحد أي لا ينقصون مما أمروا به ولا يزيدون فيه ثم ردوا إلى الله أي إلى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم الحق العدل الذي لا يحكم إلا بالحق ألا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو أسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب أي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز أن يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فإذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتها تضرعا وخفية على إرادة القول أي تقولون لئن أنجيتنا من هذه من هذه الظلمة وقرئ خفية بالكسر وأنجانا قل هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا من فوقكم كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة وأرسل على قوم نوح الطوفان أو من تحت أرجلكم كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل أكابركم وسلاطينكم ومن تحت أرجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات أو يلبسكم شيعا أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لإمام ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله • وكتيبة لبستها بكتيبة • حتى إذا التبست نفضت لها يدي • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله أن لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل أن فناء أمتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزلت من فوقكم قال رسول الله أعوذ بوجهك فلما نزلت ومن تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا قال هاتان أهون ومعنى الآية الوعيد بأحد الأصناف الثلاثة والضمير في قوله وكذب به راجع إلى العذاب وهو الحق أي لا بد أن ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل إلى أمركم إنما أنا منذر لكل نبأ لكل شيء ينبأ به يعني أنباءه بأنهم يعذبون وإيعاده مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في أنديتهم يفعلون ذلك فأعرض عنهم ولا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا بأس أن تجالسهم حينئذ وإما ينسينك الشيطان وإن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد بعد الذكرى معهم بعد أن تذكر النهي وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز أن يراد وإن كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لأنها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد أن ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم أن يذكروهم ذكرى إذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم وإظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم ويجوز أن يكون الضمير للذين يتقون أي يذكرونهم إرادة أن يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف فرخص لهم فإن قلت ما محل ذكرى قلت يجوز أن يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى أي تذكيرا ورفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز أن يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من أحد ولكن زيد لأن قوله من حسابهم يأبى ذلك اتخذوا دينهم لعبا ولهوا أي دينهم الذي كان يجب أن يتخذوه دينا لعبا ولهوا وذلك أن عبادة الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الأصنام وغيرها دينا لهم أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا به وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا غير المسلمين فإنهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر به أي بالقرآن أن تبسل نفس مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الإبسال المنع لأن المسلم إليه يمنع المسلم قال • وإبسالي بني بغير جرم • ومنه هذا عليك بسل أي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه أو لأنه شديد البسور يقال بسر الرجل إذا اشتد عبوسه فإذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وإن تعدل كل عدل وإن تفد كل فداء والعدل الفدية لأن الفادي يعدل المفدى بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل لا يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لأن العدل ها هنا مصدر فلا يسند إليه الأخذ وأما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح إسناده إليه أولئك إشارة إلى المتخذين دينهم لعبا ولهوا وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن إلى عبادة الأوثان قل أندعو أنعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على أعقابنا راجعين إلى الشرك بعد إذ هدانا الله للإسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الشياطين والغيلان في الأرض في المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له أي لهذا المستهوي أصحاب رفقة يدعونه إلى الهدى إلى أن يهدوه إلى الطريق المستوي وسمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده أن الجن تستهوي الإنسان والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه إليه فلا يلتفت إليهم قل إن هدى الله هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الإسلام دينا فماذا بعد الحق إلا الضلال فإن قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على أعقابنا أي أننكص مشبهين من استهوته الشياطين فإن قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى في الأرض إذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه وحرصت عليه فإن قلت ما محل وأمرنا قلت النصب عطفا على محل قوله إن هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا فإن قلت ما معنى اللام في لنسلم قلت هي تعليل للأمر بمعنى أمرنا وقيل لنا أسلموا لأجل أن نسلم

هذا وردا في ثاني [illegible] وكيف قيل للرسول قل أندعوا قلت للإعداد الذي كان من رسول الله والمؤمنين [illegible] سببه ومن التصديق برسول الله صلى الله عليه فإن قلت علام عطف قوله وأن أقيموا قلت على موضع قوله لنسلم كأنه قيل وأمرنا أن نسلم ويجوز أن يكون التقدير وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا أي للإسلام ولإقامة الصلاة ويوم يقول قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى أنه خلق السموات والأرض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الأشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة أي لا يكون شيء من السموات والأرض وسائر المكونات إلا عن حكمة وصواب وله الملك يوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز أن يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق أي لقضائه كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كأنه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب وارتفاعه على المدح آزر اسم أبي إبراهيم وفي كتب التواريخ أن اسمه بالسريانية تارخ والأقرب أن يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما أشبهها من أسمائهم وهو عطف بيان لأبيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز أن ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين هو محمد بن عبد الملك الخازن من شيعة الصاحب الكافي • أدعى بأسماء نبزا في قبائلها • كأن أسماء أضحت بعض أسمائي • أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقرئ أأزرا تتخذ أصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد أزرا على الإنكار ثم قال تتخذ أصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الإنكار لأنه كالبيان له فلما جن عليه الليل عطف على قال إبراهيم لأبيه وقوله وكذلك نري إبراهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف إبراهيم ونبصره ملكوت السموات والأرض يعني الربوبية والإلهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيئا منها لا يصح أن يكون إلها لقيام دليل الحدوث فيها وأن وراءها محدثا أحدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة لا أحب الآفلين لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال المتنقلين من مكان إلى آخر المحتجبين بستر فإن ذلك من صفات الأجرام بازغا مبتدئا في الطلوع لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر إلها وهو نظير الكوكب في الأفول فهو ضال وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه هذا أكبر من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه إني بريء مما تشركون من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض أي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدئها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والأول أظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم إني بريء مما تشركون فإن قلت لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال إلى حال قلت الاحتجاج بالأفول أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب فإن قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والإشارة للشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت أمك ولم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث ألا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وإن كان العلامة أبلغ احترازا من علامة التأنيث وقرئ ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هدان يعني إلى التوحيد ولا أخاف ما تشركون به وقد خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء إلا أن يشاء ربي شيئا إلا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا أخاف معبوداتكم في وقت قط لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها إن أصبت ذنبا أستوجب به إنزال المكروه مثل أن يرجمني بكوكب أو بشقة من الشمس أو القمر أو يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء علما أي ليس بعجب ولا مستبعد أن يكون في علمه إنزال المخوف من جهتها أفلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف أخاف لتخويفكم شيئا مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وأنتم لا تخافون ما يتعلق به كل مخوف وهو إشراككم بالله ما لم ينزل بإشراكه سلطانا أي حجة لأن الإشراك لا يصح أن يكون عليه حجة كأنه قال وما لكم تنكرون علي الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف ولم يقل فأينا أحق بالأمن أنا أو أنتم احترازا من تزكيته نفسه فعدل عنه إلى قوله فأي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل إلى قوله وهم مهتدون ومعنى آتيناها أرشدناه إليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعني في العلم والحكمة وقرئ بالتنوين ومن ذريته الضمير لنوح أو لإبراهيم وداود عطف على نوحا أي وهدينا داود ومن آبائهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم ولو أشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم كما قال تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك آتيناهم الكتاب يريد الجنس فإن يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة أو بآياتنا هؤلاء يعني أهل مكة فقد وكلنا بها قوما هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل وصلها بما قبلها وبقوله فإن يكفر بها هؤلاء وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة [illegible] ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تأكيد النفي فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد إلا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فإذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين أو ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله فألزموا ما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وأن نعى عليهم سوء حملهم لكتابهم وتحريفهم وإبداء بعض وإخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والإخفاء وروي أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين

فإن الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت إلى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك قال إنه أغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقيل القائلون قريش وقد ألزموا إنزال التوراة لأنهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم الخطاب لليهود أي علمتم على لسان محمد مما أوحي إليه ما لم تعلموا أنتم وأنتم حملة التوراة ولم يعلمه آباؤكم الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم قل الله أي أنزله الله فإنهم لا يقدرون أن يناكروك ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد إلزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه إنما أنت لاعب يلعبون حال من ذرهم أو من خوضهم ويجوز أن يكون في خوضهم حالا من يلعبون وأن يكون صلة لذرهم أو ليلعبون مبارك كثير المنافع والفوائد ومصدق معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار وقرئ ولينذر بالتاء والياء وسميت مكة أم القرى لأنها مكان أول بيت وضع للناس ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجهم ولأنها أعظم القرى شأنا وبعض المجاورين ثم يكون في بعض القرى [illegible] فأم القرى ملقى حاج [illegible] والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك أن أصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلاة لأنها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على أخواتها افترى على الله كذبا فزعم أن الله بعثه نبيا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب وكذاب صنعاء الأسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي وأهماني فأوحى الله إلي أن انفخهما فنفختهما فطارا عني فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الأسود العنسي ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا أملى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما وإذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال فتبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه ولئن كان كاذبا فلقد قلت كما قال فارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث والمستهزئون ولو ترى جوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما إذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله وغمرات الموت شدائده وسكراته وأصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملائكة باسطوا أيديهم يبسطون إليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والإلحاح والتشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلط يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له أخرج إلي ما لي عليك الساعة ولا أريم مكاني حتى أنزعه من أحداقك وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب أخرجوا أنفسكم خلصوها من أيدينا أي لا تقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز أن يريدوا وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة النزع وأن يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة والهون الهوان الشديد وإضافة العذاب إليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها فرادى منفردين عن أموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن أوثانكم التي زعمتم أنها شركاء الله كما خلقناكم أول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لأنفسكم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء في استعبادكم وقرئ فرادا بالتنوين وفرادى مثل ثلاث وفردى نحو سكرى فإن قلت كما خلقناكم في أي محل هو قلت في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أي مجيئا مثل ما خلقناكم لقد تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين يريد أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل ومن رفع فقد أسند الفعل إلى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وأمامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد أراد الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت أي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ومخرج هذه الأشياء الميتة من الحيوان والنامي فإن قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس إخراج الحي من الميت لأن النامي في حكم الحيوان ألا ترى إلى قوله يحيي الأرض بعد موتها ذلكم الله المحيي والمميت هو الله الذي تحق له الربوبية فأنى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه إلى غيره الإصباح مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وأنشد قوله

أفني رباح وبني رباح • تناسخ الإمساء والإصباح •

بالكسر والفتح مصدرين وجمع مساء وصبح فإن قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال • تفري ليل عن بياض نهار • قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد فالق ظلمة الإصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني أن يراد فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائي • وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه • وأول الغيث رش ثم ينسكب • وقرئ فالق الإصباح بالنصب على المدح وقرأ النخعي فلق الإصباح وجاعل الليل سكنا ما يسكن إليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا إليه من زوج أو حبيب ومنه قيل للنار سكن لأنه يستأنس بها ألا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن إليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز أن يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على إضمار فعل دل عليه جاعل الليل أي وجعل الشمس والقمر حسبانا أو يعطفان على محل الليل فإن قلت كيف يكون لليل محل والإضافة حقيقية لأن اسم الفاعل المضاف إليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا أمس قلت ما هو في معنى المضي وإنما هو دال على جعل مستمر في الأزمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الإصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا أو محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران ذلك إشارة إلى جعلهما حسبانا أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر وأضافها إليهما لملابستها لهما أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات من فتح قاف فمستقر كان المستودع اسم مكان مثله أو مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحتها أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع فإن قلت

الانعام

تلعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر إنشاء بني آدم فإن قلت لم قيل يعلمون ويفقهون قلت كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له فأخرجنا به نبات كل صنف من أصناف النامي يعني أن السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مختلفة كما قال يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل فأخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الأعذاق جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على أنه اسم جمع كركب لأن فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولأن النخلة وإن كانت صغيرة ينالها القاعد فإنها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لأن النعمة فيها أظهر ودلّ بذكر القريبة على ذكر البعيدة لقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من أعناب فيه وجهان أحدهما أن يراد وثم جنات من أعناب أي مع النخل والثاني أن يعطف على قنوان على معنى وحاصلة أو ومخرجة من النخل قنوان وجنات من أعناب أي من نبات أعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء أي وأخرجنا به جنات من أعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والأحسن أن ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله • رماني بأمر كنت منه ووالدي بريا • والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الإهمال انظروا إلى ثمره إذا أثمر إذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا إلى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال إلى حال وقرئ وينعه بالضم وقرئ ويانعه وجعلوا لله شركاء الجن إن جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وإن جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الأول فإن قلت فما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا أو جنيا أو إنسيا أو غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الإضافة التي للتبيين والمعنى أشركوهم في عبادته لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا أن الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا أن الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم أي اختلاقهم الإفك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم إلى الله في قولهم والله أمرنا بها وخرقوا له وخلقوا له أي افتعلوا له بنين وبنات وهو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة ويقال خلق الإفك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل إذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز أن يكون من خرق الثوب إذا شقه أي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس وحرفوا بمعنى وزوروا له أولادا لأن المزور محرف مغير للحق إلى الباطل بغير علم من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ أو صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية بديع السماوات من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر أي بديع شعره أو هو بديع في السماوات والأرض كقولك فلان ثبت الغدر أي ثابت فيه والمعنى أنه عديم النظير والمثل فيها وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أو على الابتداء وخبره أنى يكون له ولد وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله وعلى نحوه وبالنصب على المدح وفيه إبطال الولد من ثلاثة أوجه أحدها أن مبدع السماوات والأرض وهي أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة لأن الولادة من صفة الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث أنه ما من شيء إلا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد إنما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وإنما جاز للفصل كقوله • لقد ولد الأخيطل أم سوء • ذلكم إشارة إلى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء أي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على أن من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه وهو على كل شيء وكيل يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال رقيب على الأعمال لا تدركه الأبصار البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه لأنه متعال أن يكون مبصرا في ذاته لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا كالأجسام والهيئات وهو يدرك الأبصار وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن أن تدركه الأبصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الأبصار لا تلطف عن إدراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما أنا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما أن البصر نور العين الذي به تبصر أي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن أبصر الحق وآمن فلنفسه أبصر وإياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي وإياها ضر بالعمى وما أنا عليكم بحفيظ أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها إنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست أي دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا أساطير الأولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست أي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا وجاز الإضمار لأن الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز أن يكون الفعل للآيات وهو لأهلها أي دارس أهل الآيات وحملتها محمدا وهم أهل الكتاب ودرس أي درس محمد ودارسات على هي دارسات أي قديمات أو ذات دروس كعيشة راضية فإن قلت أي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما أن الأولى مجاز والثانية حقيقة وذلك أن الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لأنه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله ولنبينه قلت إلى الآيات لأنها في معنى القرآن كأنه قيل وكذلك نصرف القرآن أو إلى القرآن وإن لم يجر له ذكر لكونه معلوما أو إلى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز أن يراد فيمن قرأ درست ودارست درست الكتاب ودارست الكتاب لقوم يعلمون اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو اعتراض أكد به إيجاب اتباع الوحي لا محل له من الإعراب ويجوز أن يكون حالا

ثمن

من ربك وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله

[illegible]

الطاعة لاجل المعصية

[illegible]

ساه عنه يخفى عليه مقاديره وأحواله وما يستحق عليه من أجره وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة
يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة إن يشأ يذهبكم أيها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق
المطيع كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام
والمكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة
ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم
أو اعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يا فلان أي اثبت
على ما أنت عليه لا تنحرف عنه إني عامل على مكانتي التي أنا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم فإني ثابت على
الإسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار المحمودة وطريقة هذا الأمر طريقة قوله اعملوا ما
شئتم وهي التخلية والتسجيل على المأمور به بأنه لا يأتي منه إلا الشر فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له أن
يتفصى عنه ويعمل بخلافه فإن قلت ما موضع من قلت الرفع إذا كان بمعنى أي وعلق عنه فعل العلم
أو النصب إذا كان بمعنى الذي وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله عليها هذه الدار وهذا طريق من الإنذار
لطيف المسلك فيه إنصاف في المقال وأدب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بأن المنذر محق وأن المنذر
مبطل كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منها لآلهتهم فإذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا
رجعوا فجعلوه لآلهتهم وإذا زكا ما جعلوه للأصنام تركوه لها واعتلوا بأن الله غني وإنما ذاك لحبهم آلهتهم
وإيثارهم لها وقوله مما ذرأ فيه أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي لأنه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد إلى ما لا يقدر
على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقرئ بالضم أي قد زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة
التي هي من الشرك لأنهم أشركوا بين الله وبين أصنامهم في القربة فلا يصل إلى الله أي لا يصل إلى الوجوه التي
كانوا يصرفونه إليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل إلى شركائهم من إنفاق عليها بذبح النسائك
عندها والإجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون في إيثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك
ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله والآلهة أو ومثل ذلك التزيين البليغ الذي
علم من الشياطين والمعنى أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم بالوأد أو
بنحرهم للآلهة وكان الرجل في الجاهلية يحلف لئن ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ
زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل أولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع
شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين كأنه قيل لما قيل زين لهم قتل أولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم وأما
قراءة ابن عامر قتل أولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما
بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد
زج القلوص أبي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته
والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركايهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد
شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالإغواء وليلبسوا
عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام حتى زلوا عنه إلى الشرك
وقيل دينهم الذي وجب أن يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس فإن قلت ما معنى اللام قلت
إن كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وإن كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله
مشيئة قسر ما فعلوه لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل أو لما فعل الشياطين أو السدنة التزيين أو الإرداء واللبس
أو جميع ذلك إن جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الإشارة وما يفترون من الإفك أو وافتراءهم حجر
فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لأن حكمه حكم
الأسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وعن ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا إذا عينوا أشياء
من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها إلا من نشاء يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء وأنعام حرمت ظهورها
هي البحائر والسوائب والحوامي وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام وقيل لا
يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى أنهم قسموا أنعامهم فقالوا هذه أنعام حجر وهذه أنعام محرمة الظهور
وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها أجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس إلى الله افتراء عليه أي فعلوا ذلك
كله على جهة الافتراء وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أو مصدر مؤكد لأن قولهم ذلك في معنى الافتراء كانوا
يقولون في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا يأكل منه الإناث وما ولد ميتا اشترك فيه
الذكور والإناث وأنث خالصة للحمل على المعنى لأن ما في معنى الأجنة وذكر ومحرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم
من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك ويجوز أن تكون التاء للمبالغة مثلها في رواية الشعر وأن تكون مصدرا وقع
موقع الخالص كالعافية أي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على أن قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة
مصدر مؤكد ولا يجوز أن يكون حالا متقدمة لأن المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصه على الإضافة وفي مصحف
عبد الله خالص وإن يكن ميتة وإن يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وإن تكن ميتة بالتأنيث على وإن تكن الأجنة ميتة وقرأ أهل مكة
وإن تكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لأن الميتة لكل ميت ذكر أو أنثى
فكأنه قيل وإن يكن ميت فهم فيه سواء سيجزيهم وصفهم أي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله وتصف
ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر
سفها بغير علم لخفة أحلامهم وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم لا هم وقرئ قتلوا بالتشديد ما رزقهم الله من البحائر
والسوائب وغيرها أنشأ جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الأرض
لم تعرش وقيل المعروشات ما في الأرياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما أنبته
الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم إذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان
والنخل والزرع مختلفا أكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ أكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي
يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لأنه لم يكن وقت
كذلك كقوله فادخلوها خالدين وقرئ ثمره بضمتين فإن قلت ما فائدة قوله إذا أثمر وقد علم أنه إذا لم
يثمر لم يؤكل منه قلت لما أبيح لهم الأكل من ثمره قيل إذا أثمر ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر
لئلا يتوهم أنه لا يباح إلا إذا أدرك وأينع وآتوا حقه يوم حصاده لأن الآية مكية والزكاة إنما فرضت في المدينة وقيل
الحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل
مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على إيتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا
يؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها
كله ولم يدخل منه شيئا إلى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا حمولة وفرشا عطف على جنات أي
وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار
التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لأنها دانية من الأرض للطافة أجرامها مثل الفرش المفروش

عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية ثمانية أزواج بدل من حمولة
وفرشا اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس
والعنز والواحد إذا كان وحده فهو فرد وإذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما
زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والأنثى والدليل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن
المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط أن يكون معه آخر من جنسه تسميتهم
الزجاجة كأسا بشرط أن يكون فيها خمر والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئ ومن المعز بفتح العين وقرأ أبي
ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء الهمزة في آلذكرين للإنكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر
من المعز وبالأنثيين الأنثى من الضأن والأنثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى إنكار أن يحرم الله من جنسي
الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها وإناثها ولا مما تحمل إناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الإبل
والبقر والأنثيان منهما وما تحمل إناثهما وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكورة الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها
كيف ما كانت ذكورا وإناثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فأنكر عليهم ذلك نبئوني بعلم
أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم إن كنتم صادقين في أن الله حرمه أم كنتم شهداء بل أكنتم شهداء
ومعنى الهمزة الإنكار يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لأنهم كانوا
لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرفتم التوصية
به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسل فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب إليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس وهو
عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب فإن قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال
بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير أجنبي من المعدود وذلك أن الله عز وجل منّ على عباده بإنشاء الأنعام
لمنافعهم وبإباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تأكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات
في الكلام لا تساق إلا للتوكيد في ما أوحي إلي تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الأنفس محرما طعاما
من المطاعم التي حرمتموها إلا أن يكون ميتة إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة أو دما مسفوحا أي مصبوبا سائلا كالدم
في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح أو فسقا عطف على المنصوب قبله
سمي ما أهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه
لفسق أهل صفة له منصوبة المحل ويجوز أن يكون مفعولا له من أهل أي أهل لغير الله به فإن قلت
فعلام تعطف أهل وأين الضمير في به على هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير في به إلى ما يرجع
إليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله
تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فإن ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والظفر ما له أصابع من
دابة أو طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل
قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك
من زيد أخذت ماله تريد بالإضافة زيادة الربط والمعنى أنه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك
البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما إلا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله إلا ما حملت ظهورهما
يعني إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة أو الحوايا أو ما اشتمل على الأمعاء أو ما اختلط بعظم وهو شحم
الألية وقيل الحوايا عطف على شحومهما وأو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم
الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وإنا لصادقون فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه أهل
الطاعة فلما عصوا وبغوا ألحقنا بهم الوعيد وأحللنا بهم العقاب فإن كذبوك في ذلك وزعموا أن الله واسع الرحمة
وأنه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لأهل طاعته ولا يرد بأسه
مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين أشركوا إخبار بما سوف يقولونه
ولما قالوه قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم
ما أحل الله بمشيئة الله وإرادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم
أي جاءوا بالتكذيب المطلق لأن الله عز وعلا ركب في العقول وأنزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة
القبائح وإرادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذب
التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا بأسنا
حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا
وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قوله محال أن يكون له حجة إن تتبعون إلا الظن في قولكم هذا وإن أنتم إلا تخرصون
تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة
يعني فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم
أجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فإن تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته
فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لأن المشيئة تجمع ما أنتم عليه وما هم عليه هلم يستوي فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم
فإن قلت كيف أمرهم باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم هذا ما زعموه محرما ثم أمره بأن لا يشهد معهم قلت
أمرهم باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم انقطاع الشهداء أنهم ليسوا على
شيء لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني
فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع
أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو
متبع للهوى لا غير لأنه لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحدا لله تعالى فإن قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون
أن الله حرم هذا عليكم وأي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون
قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل
الباطل فأضيف الشهداء لذلك وجيء بالذين للدلالة على أنهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم
والدليل عليه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أناسا يشهدون بتحريم ذلك
فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم تعال من الخاص الذي
صار عاما وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم أتل ما حرم منصوب بفعل
التلاوة بمعنى أقرأ الذي حرمه ربكم أو بحرم بمعنى أقرأ أي شيء حرم ربكم لأن التلاوة من القول وأن في ألا تشركوا
مفسرة ولا للنهي فإن قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت ألا تشركوا بدلا مما حرم قلت وجب أن يكون
لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الأوامر عليها وهي قوله وبالوالدين إحسانا لأن التقدير
وأحسنوا بالوالدين إحسانا وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا فإن قلت فما تصنع بقوله وأن هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وإنما يستقيم عطفه على أن لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة حتى يكون المعنى

ان اعلمكم بنفي الشرك والتوحيد وانا اعلمكم ان هذا صراطي مستقيما قلت اجل قوله وان هذا صراطي مستقيما
علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا بمعنى ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
والدليل عليه القراءة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي انه مستقيم فان قلت اذا جعلت ان مفسرة لفعل التلاوة
وهو معلق بما حرم ربكم وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف
النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن
في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل
في القول ونكث عهد الله من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر
الاثم وباطنه الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل
بمال اليتيم وهو حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه بالقسط بالسوية والعدل
لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد
من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه واذا قلتم فاعدلوا
ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل كقوله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وقرئ وان هذا صراطي بتخفيف ان واصله وانه هذا صراطي على ان الهاء
ضمير الشان والحديث وقرأ الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف ابي وهذا صراط
ربكم ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات
فتفرق بكم فتفرقكم ايادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام وقرئ فتفرق بادغام التاء
وروى ابو وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله
خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن
ابن عباس رضي الله عنه هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن
دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول
شيء في التوراة فان قلت علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب قلت على وصاكم به فان قلت كيف
صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل امة على
لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما
وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر
السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب تماما على الذي احسن تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من كان
محسنا صالحا يريد جنس المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا او اراد به موسى عليه السلام اي تتمة للكرامة
على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به او تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرائع من
احسن الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذي احسن بالرفع اي على الذي
هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما تكون عليه الكتب اي على احسنه
ان تقولوا كراهة ان تقولوا على طائفتين يريد اهل التوراة واهل الانجيل وان كنا هي ان المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشان عن دراستهم
عن قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب
ووقائعها وخطبها واشعارها واحاديثها على انا اميون وقرئ ان يقولوا او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة
من ربكم تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما
كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذف فمن اظلم ممن كذب
بآيات الله بعد ما عرف صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزي
الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الملائكة
ملائكة الموت او العذاب او يأتي ربك او يأتي كل آيات ربك بدليل قوله او يأتي بعض آيات ربك يريد آيات
القيامة والهلاك الكلي وبعض آيات ربك اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب
كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم
حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال
وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله
نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب اوان
التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الآيات او مقدمة ايمانها غير كاسبة
خيرا في ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي آمنت في
وقتها ولم تكسب خيرا ليعلم ان قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي ان تنفك احداهما عن
الاخرى حتى يفوز صاحبها ويسعد والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقرئ ان تأتيهم الملائكة بالياء
والتاء وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض
اصابعه فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا
واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض
وقرئ فارقوا دينهم اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم
وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة بآية السيف عشر امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام
الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف
وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل وهم
لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا
بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما
والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به ملة ابراهيم عطف بيان حنيفا حال من ابراهيم ونسكي وصلاتي
وعبادتي وتقربي كله وقيل ونسكي وذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي
من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما آتيه في حياتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه
وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته اغير الله ابغي ربا جواب
عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء فكل من دونه مربوب
ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال افغير الله تأمروني اعبد ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم او
جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف

ثمن

والرزق ليبلوكم فيما آتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد
والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان
ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل
بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما
وليلة

سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات وهي من قوله واسألهم عن القرية الى قوله واذ نتقنا الجبل وهي مائتان وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

المص كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب انزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج منه
اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر
منفسحه اي لا شك في انه منزل من الله او حرج منه بتبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم
عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الاذى ولا ينبسط له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت
بم تعلق قوله لتنذر قلت بانزل اي انزل اليك لانذارك به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك
اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فان
قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلاث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا
لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر
اي للانذار وللذكرى فان قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا أرينك
ههنا اتبعوا ما انزل اليكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اي ولا تتولوا من دونه من شياطين
الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه
وعن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت آية الا وهو يحب ان تعلم فيما انزلت وما
معناها وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن قرأ من دونه اولياء جعل الضمير في من دونه لما
انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون
بالياء والتاء وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة وكم من قرية اهلكناها فجاءها
بأسنا بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله او هم قائلون حال
معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم بأسنا بائتين او قائلين فان قلت هل يقدر حذف المضاف الذي هو الاهل قبل
قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها
وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم قائلون فان قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله
هم قائلون قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس
او جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد الى الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت
الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس
كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث فان قلت ما معنى اهلكناها فجاءها بأسنا قلت معناه اردنا اهلاكها
كقوله اذا قمتم الى الصلاة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط
اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من
مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم
الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاؤهم الا اعترافهم
لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم
نصب خبر كان وان قالوا رفع اسمه ويجوز العكس فلنسألن الذين ارسل اليهم ارسل مسند الى الجار والمجرور
وهو اليهم ومعناه فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول
ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم
وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت
معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم والوزن يومئذ الحق يعني وزن الاعمال
والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته اي والوزن يوم يسأل الله الامم ورسلهم
الوزن الحق اي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان
ينظر اليه الخلائق تأكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم
وتشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم
فيقرؤونها في موقف الحساب وقيل هو عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون
اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق
لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف بما كانوا بآياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما
كقوله فظلموا بها مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها
وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها وما يتوصل به الى ذلك والوجه
تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحائف ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم آدم طينا غير
مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم الا تسجد لا في الا تسجد
صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم فان قلت
ما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب
وما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا وحتمه عليك
حتما لا بد لك منه فان قلت لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولاظهار
معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه باصل آدم وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه
لما رأى ان سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك
وانما الجواب ان يقول منعني كذا قلت قد استأنف قصة واخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه
وهو ان اصله من نار واصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهو انكار الامر واستبعاد ان يكون
مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به فاهبط منها من
السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من
الثقلين فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله
وعلى اوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار
البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا
طوره وهصه الله الى الارض فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت

جزء ٤ [illegible]

لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده **فبما اغويتني** فبسبب اغوائك اياي وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم تثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن آدم انفسا ومناصب وعن الاصم امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي **لاقعدن لهم** لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت بم تعلقت الباء فان تعليقها بلاقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك اقسم ويجوز ان تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من احسن فعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم يبلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه ان يلفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوي الفصيل اذا بشم والبشم فساد **لاقعدن لهم صراطك المستقيم** لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله • كما عسل الطريق الثعلب • وتشبيه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل **ثم لآتينهم من بين ايديهم** من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك فان قلت كيف قيل **من بين ايديهم ومن خلفهم** بحرف الابتداء **وعن ايمانهم وعن شمائلهم** بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا على يمينه معنى انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون **ولا تجد اكثرهم شاكرين** قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله تعالى لهم **مذءوما** من ذأمه اذا ذمه وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤل واللام في **لمن تبعك** موطئة للقسم و**لاملأن** جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط **منكم** منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم منكم اجمعين على ان لاملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره **ويا آدم** وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة وهو الاصل لانه تصغيره ذيا والهاء بدل من الياء **فوسوس** اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كقولك ولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي يلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه **ليبدي** جعل ذلك غرضا ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول فان قلت ما للواو المضمومة في **ووري** لم تقلب همزة كما في اويصل قلت لان الثانية مدة كالف وارى وقد جاء في قراءة عبد الله اوري بالقلب **الا ان تكونا ملكين** الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملكية بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلالة وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى **من الخالدين** من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ سوءتهما بالتوحيد وسوّاتهما بالواو المشددة **وقاسمهما** واقسم لهما **اني لكما لمن الناصحين** فان قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه قال لهما اقسم لكما اني لكما لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم **فدلاهما** فنزلهما الى الاكل من الشجرة **بغرور** بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له **فلما ذاقا الشجرة** وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم **بدت لهما سوءاتهما** تهافت عنهما اللباس وظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرأ ابو السمال **وطفقا** بالفتح **يخصفان** ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرأ الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اي يخصفان انفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد **من ورق الجنة** قيل كان ورق التين **الم انهكما** عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطا حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروي انه قال لآدم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا **لنكونن من الخاسرين** على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات

اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وابليس **بعضكم لبعض عدو** في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه **مستقر** استقرار او موضع استقرار **ومتاع** وانتفاع بعيش **الى حين** الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده **انزلنا عليكم** جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه قضي ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج **يواري سوآتكم** والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب **ولباس التقوى** ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي **ذلك خير** كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدأ كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان تكون اشارة الى اللباس المواري للسوأة لان مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف اي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وابي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا **ذلك من آيات الله** الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس **لعلهم يذكرون** فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليهما اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى **لا يفتننكم الشيطان** لا يمحننكم بان لا تدخلوا الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها **ينزع عنهما لباسهما** حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما **انه يراكم هو وقبيله** تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله **وقبيله** وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة **انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون** اي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول فان قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشأن والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان يعطفه على اسم ان وان تكون الواو بمعنى مع واذا عطف على اسم ان وهو ضمير الشأن كان راجعا الى ابليس **الفاحشة** ما تبالغ في قبحه من الذنوب اي اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله تعالى واذا فعلوا فاحشة **قل ان الله لا يامر بالفحشاء** لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يامر بفعله **اتقولون على الله ما لا تعلمون** انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى امرهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة **بالقسط** بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد **واقيموا وجوهكم** وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها **عند كل مسجد** في كل وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلاة **وادعوه** واعبدوه **مخلصين له الدين** اي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا **كما بداكم تعودون** كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة **فريقا هدى** وهم الذين اسلموا اي وفقهم للايمان **وفريقا حق عليهم الضلالة** اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل مضمر يفسره ما بعده كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة **انهم** ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة **اتخذوا الشياطين اولياء** اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله **خذوا زينتكم** اي ريشكم ولباس زينتكم **عند كل مسجد** كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وكان بنو عامر في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا **زينة الله** من الثياب وكل ما يتجمل به **والطيبات من الرزق** المستلذات من الماكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم هذه الاشياء قيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها **هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا** غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها **خالصة يوم القيامة** لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر **الفواحش** ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج **والاثم** عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر **والبغي** الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي **ما لم ينزل به سلطانا** فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره **وان تقولوا على الله** وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره **ولكل امة اجل** وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ **فاذا جاء آجالهم** **ساعة** لانها اقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه **فاما ياتينكم** هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة

فان قلت بما اتصل هذا الشرط قلت بما قبله وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى

... حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام هاهنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا ... رسلنا يعني ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة والمعنى اين الالهة الذين تدعون ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يجازوا في العاقبة قال ادخلوا اي يقول الله تعالى يوم القيامة ...

[illegible]

يوم ربها من اهل الخير والشر فيدع المسيء في اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان ... كل احد حتى افضيا الناس جملا وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ... وقرأ الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البنا للمفعول ... عكرمة دخلوا الجنة فان قلت كيف لاءم هاتين القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قلت تاويله ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استئناف كأن سائلا سأل عن حال اصحاب الاعراف فقيل له لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم ان دخولهم الجنة استأخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال ...

[illegible]

ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة معنى التوقع
الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح عليه السلام وهو ابن خمسين سنة
وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ غيره
بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما

ويجوز أن يكون بمعنى وصدر عتوهم عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن
هذه ما في قوله وما فعلته عن أمري «بما تعدنا» أراد من العذاب وإنما جاز الإطلاق لأنه كان معلوما
واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقه بما هو تكذيب وهو كونه من المرسلين «الرجفة» الصيحة
التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها «في دارهم» في بلادهم أو في مساكنهم «جاثمين» هامدين لا يتحركون موتى
يقال للناس جثم أي قعود لا حراك بهم ولا يحسون نبسة

[illegible]

واستخلفهم بعدهم في ارض مصر لننظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من الاعمال حسنه وقبيحه وشكر النعمة
وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ورضوانه انه دخل على المنصور
قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمر فلم توجد فقرأ عمر ... ثم لما دخل عليه بعد
ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون بالسنين سني الجدب والسنة من الاسماء الغالبة
كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اجدبوا وقال ابن عباس اما السنون
فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل
النخلة الا تمرة لعلهم يذكرون فينتبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر ...

من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطا ونبههم على الحق
فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاراد ان يسمعوا النص من عند الله تبارك وتعالى
باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر
اليك فان قلت فهلا قال ارهم ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه السلام
وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه
فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى عليه السلام ارني انظر اليك ولانه اذا زجر
عما طلب وانكر عليه في نبوته عليه السلام واختصاصه وزلفته عند الله وقيل لن يكون ذلك كان غيره اولى
بالانكار ولان الرسول امام امته فكان ما يخاطب به او يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من
معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل
ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو بن
عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فان قلت ما معنى لن قلت تاكيد النفي الذي
تعطيه لا وذلك ان لا تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي
حالي كقوله تعالى لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تاكيد
وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان قلت كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل
بما قبله قلت اتصل به على معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى
الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم
ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه في
قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني
تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا
كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى الجبل
الى [illegible] ثم نفى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله
فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله
دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ
دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء
متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء اي مدها مستوية وقرأ يحيى
بن وثاب دكا اي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل
يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على رأسه ومعناه خر
مغشيا عليه غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم
ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك مما
لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك
بشيء من الحواس فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من اجراء تلك
المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية
في هذه الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك
مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال انا اول
المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا
يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم
لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفة قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة
وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله ارني انظر اليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة في
جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كاني انظر اليك
كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء
كابصاركم القمر اذا امتلأ واستوى قال لن تراني لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك
الآية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه
ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا
وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المؤمنين بعظمتك
وجلالك وان شيئا لا يقوم لبطشك وبأسك اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك وآثرتك عليهم
برسالاتي وهي اسفار التوراة وبكلامي وتكليمي اياك فخذ ما آتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة
وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التوراة يوم النحر
فان قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هارون مصطفى مثله نبيا قلت اجل ولكنه كان تابعا
له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة ذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها
وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجدة
خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن
الحسن رضي الله عنه كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وان طولها كان عشرة اذرع وقوله من
كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل
محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه
في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني
انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا
تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك
والضمير في خذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتوراة ومعنى بقوة بجد وعزيمة
فعل اولي العزم من الرسل يأخذوا باحسنها اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر
فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم
وقيل يأخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد يأخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على
قولك الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف اقفرت منهم
ودمروا لفسقهم [illegible] وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن رضي الله عنه سأوريكم بمعنى
وهي لغة فاشية بالحجاز يقال اوريني كذا واوريته ووجهه ان يكون من اوريت الزند كان المعنى بينه
لي وانره لاستبينه وقرئ سأورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون

ساصرف عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا
فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي
الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم
عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بان جمع لها السحرة فابى الله الا علو الحق وانتكاس
الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين
من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا امثالهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق
فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر
اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرأ
مالك بن دينار رضي الله عنه وان يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام
وما اسفه من ركب المفازة فانه اي طريق سلكه اعرض عنه وتركه وان رأى طريق المعتسف مرديا اخذ فيه وسلكه
ففاعل نحو ذلك في دينه اسفه ذلك في محل النصب والرفع على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم
الله ذلك الصرف وبسببه ولقاء الآخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم
احوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة من بعده من بعد فراقه اياهم الى الطور
فان قلت لم قال واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب
الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل
والفاعل واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكأنهم اجتمعوا عليه والثاني ان يراد واتخذوه الها
وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي
ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فان قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم
انما كانت عواري في ايديهم قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة
على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله عز وجل فاخرجناهم من
جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد
والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في
في العجل فكان عجلا له خوار وقرأ علي عليه السلام له جؤار بالجيم والهمزة من جأر اذا صاح وانتصب جسدا على
البدل من عجلا ألم يروا حين اتخذوه الها انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان
البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق وما ركز في
العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر
وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط
في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما
فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرأ ابو السميفع سقط
في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم
كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى
بالعين ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم وقرئ لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر
لنا وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا اسفا
شديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل حزينا بئسما خلفتموني من بعدي قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا
الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هارون عليه السلام والمؤمنون
معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم
تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما يقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل
مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
فان قلت اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رأيتم مني
من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد
واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان
يسيروا سيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه [illegible]
بالصفات الحميدة يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى
سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين
لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي
فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا
الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين
ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل
غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هارون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى
بني اسرائيل من موسى وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها
وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ برأس اخيه اي بشعر رأسه
يجره اليه بذوائبه وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه
فرط في الكف ابن ام قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء وابن ام
بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن
واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي
التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها ان القوم استضعفوني يعني انه لم يأل جهدا في كفهم
بالوعظ والانذار وما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان
يقتلوه فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا تشمت
بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين
ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا اي ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي
منهم ومن ظلمهم لما اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء قال رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه
ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان
عسى فرط في حين الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة غضب من ربهم
هو ما امروا به من قتل انفسهم وذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم
وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية وكذلك نجزي المفترين ولا فرية
اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سيناله

عضب في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا بقوله وضربت عليهما الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله والذين
عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا من بعدها ثم رجعوا الى الله واعتذروا اليه وامنوا
واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها من بعد تلك العظايم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم
منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذوا العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا ثم اردفها بعظم
رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة
وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة ولا يلتفت اليها حازم ولما سكت عن
موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح
وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم تستحسن هذه الكلمة ولم تستفصحها
كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معوية بن
قرة رضي الله عنه ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك
الروعة وقرئ ولما سكت واسكت اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى
ولما طفئ غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة
بمعنى مفعول كالخطبة هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون [illegible]

[illegible]

الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له
ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان
هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره
وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهو القرآن او اراد
جنس ما كلم به ومن مجاهد رضي الله عنه اراد عيسى ابن مريم عليهما السلام وقيل هي الكلمة التي تكون
عنها عيسى عليه السلام وجميع خلقه وهي قوله كن فانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم
يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة مني لعلكم تهتدون ارادة ان تهتدوا فان قلت
هلا قيل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجري
عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به
واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة
وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة هم المؤمنون التائبون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم
في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمة من عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين
يهدون الناس بكلمة الحق يدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون [illegible]

[illegible]

وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أي مخترمهم ومطهر الأرض منهم أو معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة إلى ربكم أي موعظتنا إبلاغ عذر إلى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في أن يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب أي وعظناهم معذرة إلى ربكم أو اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعني أهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا الراكبين للمنكر فإن قلت الأمة الذين قالوا لم تعظون من أي الفريقين هم أمن فريق الناجين أم المعذبين قلت من فريق الناجين لأنهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم وإذا علم الناهي حال المنهي وأن النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن إلا سببا للتلهي بك وأما الآخرون فإنما لم يعرضوا عنهم إما لأن يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الأولين ولم يخبروهم كما خبروهم أو لفرط حرصهم وجدهم في أمرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الأمة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون أن الله مهلكهم أو معذبهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان وروي أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم إبليس لعنه الله فقال لهم إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان إليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الأحد وأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا إلى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له إني أرى الله سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين ألفا فصار أهل القرية أثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر ألفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم أصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون إنا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسباءها من الإنس والإنس لا يعرفون أنسباءهم من القرود فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول ألم ننهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها خزيا في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة أدهى وأمر بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وإدغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وبائس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا وأبوا أن يتركوا ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم كقوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والمعنى أن الله عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ وإذ تأذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام لأن العازم على الأمر يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى وإذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد وقطعناهم في الأرض وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فإن قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم بمعنى وما منا أحد إلا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فينيبون فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الأدنى أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الأدنى تخسيس وتحقير والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما أخذنا والفعل مسند إلى الجار والمجرور وهو لنا ويجوز أن يكون مسندا إلى الأخذ الذي هو مصدر يأخذون وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة والمصر لا غفران له ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان إن قصروا عما أمروا به قالوا سيغفر لنا لأنا لم نشرك بالله شيئا كل أمرهم إلى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الأمة أشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون أفلا تعقلون بالتاء والياء وقرئ ودارسوا وادارسوا بمعنى تدارسوا فإن قلت ما موقع قوله أن لا يقولوا على الله إلا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز أن تكون أن مفسرة ولا تقولوا نهيا كأنه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على الله إلا الحق فإن قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره إنا لا نضيع أجر المصلحين والمعنى إنا لا نضيع أجرهم لأن المصلحين في معنى الذين يمسكون

حزب

بالكتاب كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا والثاني أن يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون ويكون قوله إنا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد ويعضده قراءة أبي والذين مسكوا بالكتاب فإن قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها إقامة الصلاة فكيف أفردت قلت إظهارا لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والإيمان وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب وإذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء إذا نفضه ليقتلع الزبدة منه كأنه ظلة كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وقرئ بالطاء من أطل عليه إذا أشرف وظنوا أنه واقع بهم وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الألواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا حجر ولا شجر إلا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ التوراة إلا اهتز وأنغض لها رأسه خذوا ما آتيناكم على إرادة القول أي وقلنا خذوا ما آتيناكم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الأوامر والنواهي ولا تنسوه أو واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم في العمل به ويجوز أن يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة إن كنتم تطيقونه كقوله إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والإنذار لعلكم تتقون ما أنتم عليه وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلا وإشهادهم على أنفسهم وقوله ألست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله إذ قالت الأنساع للبطن الحق قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم أنه لا قول ثم وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى أن تقولوا مفعول له أي فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه أو كراهة أن يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه والإقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم فإن قلت بنو آدم وذرياتهم من هم قلت عنى ببني آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على أنها في المشركين وأولادهم قوله أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل والدليل على أنها في اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها وهي على نمطها وأسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية وإذ قالت أمة منهم وإذ تأذن ربك وإذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا أفتهلكنا بما فعل المبطلون أي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك نفصل الآيات ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل لهم الآيات ولعلهم يرجعون وإرادة أن يرجعوا عن شركهم نفصلها واتل عليهم على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني إسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره فأتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له أو فأتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى وقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا ورغب فيها وقيل مال إلى السفالة فإن قلت كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هو تابع لها ومسبب عنها كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى إلى قوله ولكنه أخلد إلى الأرض فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه أي شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا هيج منه وحرك وإلا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام أن يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه الكلب منقطع الفؤاد يلهث إن حمل عليه أو لم يحمل عليه وقيل معناه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال كالكلب إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث فإن قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعد ما قرؤوا نعت رسول الله في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص القصص الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا إيقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم أي مثل القوم أو ساء أصحاب مثل القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وأنفسهم كانوا يظلمون إما أن يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم وإما أن يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها إلى غيرها فهو المهتدي حمل على اللفظ فأولئك هم الخاسرون حمل على المعنى كثيرا من الجن والإنس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم وجعلهم في [illegible] لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان

وجعلهم لإعراضهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وأنه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد بلغني أن أهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر وإني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الأمور ما خلق فلان إلا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله مع علمهم أنه النبي الموعود وأنهم من جملة الكفار الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار أولئك كالأنعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم أضل من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار ولله الأسماء الحسنى التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا سخي وأن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ويجوز أن يراد ولله الأوصاف الحسنى وهو الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل إلحادهم في أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا أخبر أن من الخلق أمة يعملون عمل أهل النار أتبعه قوله وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قرأها هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه عليه السلام إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة إلى الدين سنستدرجهم استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة قال الأعشى

فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم أني عنكم غير ملجم

ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في أثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب وإنما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه وأملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين إن كيدي متين سماه كيدا لأنه شبيه بالكيد من حيث أنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان ما بصاحبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت إلى الصباح أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والأرض فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وأن عسى أن مخففة من الثقيلة والأصل أنه عسى على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الأجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد باقتراب الأجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن فإن قلت بم يتعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا وقرئ ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم يسألونك قيل إن قوما من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا فإنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم أن الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق أيان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من أي فعلان منه لأن معناه أي وقت وأي فعل من أويت إليه لأن البعض آو إلى الكل متساند إليه قاله ابن جني وأبى أن يكون من أين لأنه زمان وأين مكان وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة مرساها إرساؤها أو وقت إرسائها أي إثباتها وإقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة والمرسى المكان الذي ترسو فيه والمعنى متى يرسيها الله إنما علمها أي علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها إلا هو أي لا تزال خفية لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده إذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره إلى وقت وقوعها ثقلت في السموات والأرض أي كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة ويتمنى أن يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لأن أهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها وأهوالها أو لأن كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها لا تأتيكم إلا بغتة إلا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كأنك حفي عنها كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لأن من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه إحفاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله وأحفى في المسألة إذا ألحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كأنك حفي بها أي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك أي يسألونك عنها كأنك حفي أي عالم بها وقيل إن قريشا قالوا له إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لأجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو أخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في إخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما أوحي إليك وقيل كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه من قولك حفي بالشيء إذا فرح أي تكره السؤال عنها لأنها من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته أحدا من خلقه فإن قلت لم كرر يسألونك وإنما علمها عند الله قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة

فائدة زائدة ومنهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه العالم بها وأن العلم بها مختص به قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا هو إظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد إلا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت أعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير إن أنا إلا نذير وبشير أي ما أنا إلا عبد أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني أني أعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعا لأن النذارة والبشارة إنما ينفعان فيهم أو يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا أي إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون من نفس واحدة وهي نفس آدم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ليسكن إليها ليطمئن إليها ويميل ولا ينفر لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس وإذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة أبلغ كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعدما أنث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها فكان التذكير أحسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والإتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان أخفه على كبدي حين حملته فمرت به فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت به من المرية كقوله أفتمارونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما أثقلت حان وقت ثقل حملها كقوله أقربت وقرئ أثقلت على البناء للمفعول دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ إليه فقالا لئن آتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لأن الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما صالحا أعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء أي جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك فيما آتاهما أي آتى أولادهما وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما أشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم آل قصي ألا ترى إلى قوله في قصة أم معبد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يجارى وسؤدد

ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه وقرئ شركا أي ذوي شرك وهم الشركاء أو أحدثا لله إشراكا في الولد أيشركون ما لا يخلق شيئا يعني الأصنام أجريت مجرى أولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة والمعنى أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لأن الله خالقهم أو لا يقدر على اختلاق شيء لأنه جماد وهم يخلقون لأن عبدتهم يختلقونهم فهم أعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم نصرا لعبدتهم ولا أنفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وإن تدعوهم وإن تدعوا هذه الأصنام إلى الهدى أي إلى ما هو هدى ورشاد وإلى أن يهدوكم والمعنى وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم فإن قلت هلا قيل أم صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم كقوله وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه وكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل إن دعوتموهم لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم إن الذين تدعون من دون الله أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد أمثالكم وقوله عباد أمثالكم استهزاء بهم أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فإن ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال ألهم أرجل يمشون بها وقيل عباد أمثالكم مملوكون أمثالكم وقرأ سعيد بن جبير إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم بتخفيف إن ونصب عبادا أمثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا أنتم وشركاؤكم فلا تنظرون فإني لا أبالي بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إن وليي الله أي ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي أوحى إلي كتابه وأعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته أن ينصر الصالحين من عباده وأنبيائه ولا يخذلهم تراهم ينظرون إليك يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي خذ العفو ضد الجهد أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا قال

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول الزكاة فلما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعا أو كرها وأمر بالعرف المعروف والجميل من الأفعال وأعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد إن ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها وإما ينزغنك من الشيطان نزغ وإما ينخسنك منه نخس بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وإن حملك الغضب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل وإما ينزغنك ويجوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبي بكر رضي الله عنه إن لي شيطانا يعتريني طائف من الشيطان لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال أنى ألم بك الخيال يطيف وهو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين أو من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الأمرين أيضا وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب

بالاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه انفسهم واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها فان الخبر جار على غير من هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فان قلت لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت لولا اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جباه اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي ولست بمفتعل للايات او لست بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى وهو بمنزلة بصائر القلوب واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معناه فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويخصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

سورة الانفال مدنية ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرأ ابن محيصن يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود يسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين في الله واصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما الكاملو الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه وسلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم

الى غيرهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله أمؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجهم للحرب والثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون من بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين والحق الذي جادلوا فيه رسول الله تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير بعدما تبين بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان واذ منصوب باضمار اذكر وانها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير غير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم في ابدانكم واحوالكم والله عز وعلا يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها وقرئ بكلمته على التوحيد فان قلت بم يتعلق قوله ليحق الحق قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه فان قلت اليس هذا تكريرا قلت لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع فان قلت بم يتعلق

إذ تستغيثون ربكم هو بدل من إذ يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك **أني ممدكم** أصله بأني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن أبي عمرو أنه قرأ إني ممدكم بالكسر على إرادة القول أو على إجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة من القول فإن قلت هل قاتلت **الملائكة** يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن أبي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الأحزاب ويوم حنين وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروي أن رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في أثر رجل من المشركين إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن أبي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم فإن جبريل أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ **مردفين** بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه إذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم وأردفته إياه إذا أتبعته ويقال أردفته كقولك أتبعته إذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى متبعين أو متبعين فإن كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا أو متبعين بعضهم لبعض أو بمعنى متبعين إياهم المؤمنين أي يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم أو متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين أيديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم أو بمعنى متبعين أنفسهم ملائكة أخرين أو متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال وأصله مرتدفين أي مترادفين أو متبعين بعضهم بعضا فأدغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل أو على إتباع الدال وبالضم على إتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فإن قلت فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بإرداف الملائكة ملائكة أخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم قلت بأن المراد بالألف من قاتل منهم أو الوجوه منهم الذين من سواهم أتباع لهم فإن قلت إلام يرجع الضمير في **وما جعله الله** قلت إلى قوله أني ممدكم لأن المعنى فاستجاب لكم بإمدادكم فإن قلت ففيم قراءة الكسر قلت إلى قوله أني ممدكم لأنه مفعول للقول المضمر فهو في معنى القول ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذي يدل عليه ممدكم **إلا بشرى** إلا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني إسرائيل يعني أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم **وما النصر إلا من عند الله** يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فإن الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله والمنصور من نصره الله **إذ يغشاكم** بدل ثان من إذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بما في من عند الله من معنى الفعل أو بما جعله الله أو بإضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب **النعاس** والضمير لله عز وجل ويغشاكم النعاس **أمنة** مفعول له فإن قلت أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب أمنة على أن النعاس والأمنة لهم والمعنى إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أي لأمنكم و**منه** صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله فإن قلت فعلى غير هذه القراءة قلت يجوز أن تكون الأمنة بمعنى الإيمان أي ينعسكم إيمانا منه أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمنا فإن قلت هل يجوز أن ينتصب على أن الأمنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم أي يغشاكم النعاس لأمنه على أن إسناد الأمن إلى النعاس إسناد مجازي وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم وإنما غشيكم أمنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد ألم به من قال:

يهاب النوم أن يغشى عيونا ● تهابك فهو نفار شرود ●

وقرئ أمنة بسكون الميم ونظير أمن أمنة حيي حياة ونحو أمن أمنة رحم رحمة والمعنى أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان **وينزل** قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الشعبي **ما ليطهركم به** قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال ما للطهور و**رجز الشيطان** وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش وقيل الجنابة لأنها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك أن إبليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء ونزل المؤمنون في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وأنتم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في **به** للماء ويجوز أن يكون للربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجرأة ثبتت القدم في مواطن القتال **إذ يوحي** يجوز أن يكون بدلا ثانيا من إذ يعدكم وأن ينتصب بيثبت **أني معكم** مفعول يوحي وقرئ إني بالكسر على إرادة القول أو على إجراء يوحي مجرى يقول كقوله أني معكم والمعنى أني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله **سألقي فاضربوا** يجوز أن يكون تفسيرا لقوله أني معكم فثبتوا ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز أن يكون غير تفسير وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه

فيأتي فيقول إني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول أبشروا فإن الله ناصركم لأنكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل **فوق الأعناق** أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح لأنها مفاصل فكان إيقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤوس وقيل أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق يعني ضرب الهام قال: ● وأضرب هامة البطل المشيح ● غشيته وهو في جأواء باسلة ● عضبا أصاب سواء الرأس فانفلقا ● والبنان الأصابع يريد الأطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لأن الضرب إما واقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم أن يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز أن يكون قوله سألقي إلى قوله **كل بنان** عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قال قولوا لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب أو كأنهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سألقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون **ذلك** إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء و**بأنهم** خبره أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لأن كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لأن هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لأن هذا في خصم أي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول أو لخطاب كل أحد منكر وفي **ذلكم** للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم **فذوقوه** ويجوز أن يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه **وأن للكافرين** عطف على ذلكم في وجهيه أو نصب على أن الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وإن للكافرين بالكسر **زحفا** حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيبا من زحف الصبي إذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفروا فضلا أن تدانوهم في العدد أو تساووهم أو حال من الفريقين أي إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله **ومن يولهم يومئذ** أمارة عليه **إلا متحرفا لقتال** هو الكر بعد الفر يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها **أو متحيزا** أو منحازا **إلى فئة** إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين فررت من الزحف فقال عمر أنا فئتك وعن ابن عباس أن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر فإن قلت بم انتصب إلا متحرفا قلت على الحال وإلا لغو أو على الاستثناء من المولين أي ومن يولهم إلا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لأنه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما طلعت قريش من العقنقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم **فلم تقتلوهم** والفاء جواب شرط محذوف تقديره إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم **ولكن الله قتلهم** لأنه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع **وما رميت** أنت يا محمد **إذ رميت ولكن الله رمى** يعني أن الرمية التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله لأن صورتها وجدت منه ونفاها عنه لأن أثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكأن الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول أصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده **وليبلي المؤمنين** وليعطيهم **بلاء حسنا** عطاء جميلا قال زهير: ● فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو ● والمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله إلا لذلك **إن الله سميع** لدعائهم **عليم** بأحوالهم **ذلكم** إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الغرض ذلكم **وأن الله موهن** معطوف على ذلكم يعني أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الإضافة وعلى الأصل الذي هو التنوين والإعمال **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا للعاني إن كان محمد على حق فانصره وإن كنا على حق فانصرنا وروي أنهم قالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وروي أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم أي فأهلكه وقيل إن تستفتحوا خطاب للمؤمنين **وإن تنتهوا** للكافرين يعني وإن تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم **فهو خير لكم** وأسلم **وإن تعودوا** لمحاربته **نعد** لنصرته عليكم **وأن الله** قرئ بالفتح على ولأن الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه أوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله **مع المؤمنين** وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل **ولا تولوا** قرئ بطرح إحدى التاءين وإدغامها والضمير في **عنه** لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن المعنى وأطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقولك الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان ويجوز أن يرجع إلى الأمر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الأمر وامتثاله **وأنتم تسمعونه** أو ولا تولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا** أي ادعوا السماع **وهم لا يسمعون** لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال **إن شر الدواب** أي إن شر من يدب على وجه الأرض أو إن شر البهائم الذين هم صم عن الحق **لا يعقلونه**

جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها وهو لا الصم البكم ولو علم الله فيهم خيرا اي انتفاعا باللطف
لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع
فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم
يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا
يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء
وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله
لان استجابة رسول الله كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد والمراد بالاستجابة
الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب
ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر
فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما
اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي
فله ان يقطع صلوته لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت ولبعضهم
لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم
وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوة وقيل للشهادة لقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة
ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله
واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد
يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر
نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله عز وجل فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من
افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان اذا اكفره وبينه وبين الكفر اذا امنه تعالى
عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شيء من
ضمائره فكانه بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها
على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم
وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد
امر او صفة لفتنة فاذا كانت جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا
كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل
واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة
وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله
حتى اذا جن الظلام واختلط ٭ جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط ٭ اي بمذق مقول فيه هذا القول لانه
سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب وتعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب
القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير
نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر
فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يسامر النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذ اقبل علي عليه السلام
فضحك اليه الزبير فقال رسول الله كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي
او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب
الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا
تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على
الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم منكم اقبح من سائر
الناس اذ انتم نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين
في الارض ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس
كانوا جميعا لهم اعداء منافين مضادين فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد
الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم
وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون
ولا ياكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا ومعنى الخون
النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت
الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب
لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه
ورسوله بان لا تستنوا به واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل
وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون
قبح القبيح وحسن الحسن وروي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين
ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام
فابى رسول الله الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن عبد المنذر
وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار
الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت
فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب
الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا
والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار
قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة
نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده
فان قلت وتخونوا جزم هو ام نصب قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان
يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرا مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد جعل الاموال
والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم والعذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون
فيهم على حدوده وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يؤدي اليه هممكم وتزهدوا
في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله المال والبنون
الاية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده فرقانا نصرا لانه يفرق

بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا
وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم واثاركم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان
اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان
وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة لما فتح الله عليه ذكر مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر
نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر
اذ يمكر بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في
دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت
مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي
ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به
ريب المنون فقال ابليس بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو
رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الراي يفسد
قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما
فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا
العقل عقلناه واسترحنا فقال اللعين صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راي ابي جهل مجمعين
على قتله فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله له في الهجرة فامر عليا رضي الله عنه
فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا
ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل الله مكرهم ليثبتوك
ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح
وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرا النخعي ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك
وهو دليل لمن فسر بالايثاق ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم
بغتة والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا او لانه لا ينزل الا ما هو حق
وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم
لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاءوا غلبة
من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يتهافتوا بالتقحم المعلقة دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان
يغلبوا في باب البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشية ومع ما علم وظهر ظهور الشمس
من حرصهم على ان يقهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهالكهم على ان يغمروه وقيل قائله النضر بن
الحرث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من
بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من جملة تلك الاساطير
وهو القائل ان كان هذا هو الحق وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القران هو الحق
فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب اخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا
لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال
في قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين
هذا هو الحق وقرا الاعمش هو الحق بالرفع على ان هو مبتدا غير فصل وهي في القراءة الاولى فصل
ويقال امطرت السماء كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى
العذاب فان قلت ما فائدة قوله من السماء والامطار لا يكون الا منها قلت كانه قيل اريد
ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول
صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب اليم اي بنوع اخر من جنس العذاب الاليم يعني ان امطار
السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع اخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبا
ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا للرسول حين دعاهم الى الحق
ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له اللام لتاكيد النفي
والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب
قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم
والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم الا يعذبهم الله وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كانه قال وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع
الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل
معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله من
المستضعفين وما لهم الا يعذبهم الله واي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لاحظ لهم في ذلك وهم
معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله
عام الحديبية واخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد
من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره
واربابه ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره انما يستاهل
ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من
كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم المكاء فعال
بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه سمي بذلك لكثرة مكائه واصله
الصفة نحو الوضاء والفراق وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكاء والبكا والتصدية التصفيق
تفعلة من الصدى او من صد يصد اذا قومك منه يصدون وقرا الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على
تقديم خبر كان على اسمها فان قلت ما وجه هذا الكلام قلت هو من قوله
وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه ٭ اداهم سودا او محدرجة سمرا ٭ والمعنى انه وضع القيود
والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلوة وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت
عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو
ذلك اذا قرا رسول الله صلى الله عليه في صلوته يخلطون عليه فذوقوا عذاب القتل والاسر يوم بدر
بسبب كفركم واعمالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم
كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال
على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر ليوم

احدا القبص من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان
واربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله
وان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة اي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير
ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فرجعون
طلقاء كتب الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا والكافرون منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم
وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث من الطيب الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين ويجعل
الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون
عليه لبدا لفرط ازدحامهم اولئك اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه
المشركون في عداوة رسول الله من المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه
فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة
بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على
التخفيف قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو
كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين
آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة
رسول الله وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله
فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على
انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر
واسلموا غفر لهم ما سلف منهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه
قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه
قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء
العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان
الضمير لله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله
ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما
يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من
الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء
وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته انما غنمتم ما
موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدأ محذوف الخبر تقديره فحق او
فواجب ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر ويقويه قراءة النخعي فلله خمسه
والمشهورة آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه
من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك
كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون فان قلت كيف قسمة الخمس
قلت عند ابي حنيفة انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم
سهم لرسول الله وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه
حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله هؤلاء اخوتك بنو
هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما
نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب
شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله
فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى
اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي فيقسم على خمسة اسهم
سهم لرسول الله يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح
ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي
للفرق الثلاث وعند مالك بن انس لا مرفق فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هؤلاء
وان راى اعطاه بعضهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم فان قلت ما معنى
ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول
الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه
من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم
خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال فعلى الاحتمال الاول
مذهب الامامين وعلى الثاني ابي العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم الله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة
وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة
وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن
ابن عباس رضي الله عنه انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو
بكر الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس
وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو
بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس
لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي عليه السلام انه قيل له
ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله انه لولي
الامر من بعده وعن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر
بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة فان قلت بم تعلق قوله ان كنتم
آمنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة
يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه
العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما انزلنا معطوف
على بالله اي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت يوم الفرقان
يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الآيات والملائكة والفتح
يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم
اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدوية

على قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى [illegible]
والقصوى تأنيث الادنى والاقصى فان قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء
والاخرى بالواو قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد
جاء القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت
والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا
يقودون العير اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل
لانه خبر المبتدا فان قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كان اسفل منهم
قلت الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب
الغلبة له وضعف شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله
على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان
فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب
ومشقة وكان العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونه تضاعف حميتهم وتشحذ
في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم
والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه
فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم
ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي الله امرا كان مفعولا
من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا
العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مخوفين مما لقيهم من تعرض رسول الله لاموالهم حتى نفروا
ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير
يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم
على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم
ما في قلوبهم من تهيب رسول الله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق
بمحذوف اي ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل
منه واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة
شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول
فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه
مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي بالاظهار والادغام ان الله لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم
ويسوي مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه اذ يريكهم الله نصب باضمار
اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك
في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراه اياهم في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا
على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها
وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته
لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر في الراي وتفرقت فيما تصنعون ولترجحت بين
الثبات والفرار ولكن الله سلم اي عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم
بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم الضميران
مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول
الله وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى
قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال الفا ويقللكم في
اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور فان قلت الغرض في تقليل الكفار في اعين
المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم قلت قد قللهم في اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم
فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون
ما لم يكن في حسابهم وذلك قوله تعالى يرونهم مثليهم راي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم
الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم آخرا فان قلت باي طريق
يبصرون الكثير قليلا قلت بان يستر الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به
الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان
بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من
الكفار وترك وصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم
ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم
اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان
على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان
كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب امير المؤمنين في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج
من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر
الله شاغل وان تفاقم الامر ولا تنازعوا فتفشلوا قرئ بنصب الفاء منصوب باضمار ان والجزم ورد قوله
في حكم النهي وتدل عليه قراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم
بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت
له الدولة ونفذ امره ومنه قوله انتظران قليلا ريث غفلتهم او تغدوان فان الريح للعادي وقيل
لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والمراد بالنهي عن
التنازع والاختلاف الذي يخوضونه وقع بينهم ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا
هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم
فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا
من العرب فذلك بطرهم ورئاء الناس بطاعتهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت
عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا امثالهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل
التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم لله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
التي عملوها في معاداة رسول الله ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات
الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم

حتى عوذ الله وعن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجمعت قريش على المسير ذكرت الذي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم وجند معه شياطين معه وقال لا غالب لكم اليوم واني جار لكم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث الى اين تخذلنا في هذه الحال فقال **اني ارى ما لا ترون** ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما روي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما روي يوم بدر فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم **اذ يقول المنافقون** بالمدينة **والذين في قلوبهم مرض** يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف لم يثبتوا ثبات الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون **غر هؤلاء دينهم** يعنون ان المسلمين اغترّوا بدينهم وانهم يتقوّون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم **ومن يتوكل على الله فان الله عزيز** غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي **ولو ترى** ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال **واذ** نصب على الظرف وقرى **يتوفى** بالياء والتاء و**الملائكة** رفعها بالفعل و**يضربون** حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر ...

[illegible]

... **ترهبون به** عدو الله وعدوكم ... **من قوة** من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون **والرباط** اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرا الحسن

رباط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فتربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى **ترهبون به** والضمير في به راجع الى ما استطعتم وقرى ترهبون بالتخفيف والتشديد وقرا ابن عباس ومجاهد تخزون **به عدو الله وعدوكم** هم اهل مكة **وآخرين من دونهم** هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن **وان جنحوا للسلم** ...

[illegible]

هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرئ بعضهم والله يريد
الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا
ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب أولياءه على أعدائه
ويتمكنون منهم قتلا وأسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى أن تكثروا وتعزوا
وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو أنه لا يعاقب أحدا
بخطأ وكان هذا خطأ في الاجتهاد لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وأن
فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم أن قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم وأفل
لشوكتهم وقيل كتابه أنه سيحل لهم الفدية التي أخذوها وقيل أن أهل بدر مغفور لهم وقيل أنه
لا يعذب قوما الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم روي أنهم
امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم
واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فإن قلت ما معنى الفاء قلت التسبب
والسبب محذوف معناه قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب على الحال من المغنوم أو صفة
للمصدر أي أكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة
الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم قل لمن في أيديكم كأن في أيديكم قبضتكم عليهم
وقرئ من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء إما أن
يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الأعمش يثبكم خيرا وعن العباس أنه قال كنت مسلما
لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان
علينا وكان أحد الذين ضمنوا اطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
للعباس افد ابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني أتكفف قريشا ما بقيت فقال
له فأين الذهب الذي دفعته الى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا
فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي
قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد الا الله
ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فأما اذ أخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس
فأبدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم ما أحب أن لي
بها جميع أموال أهل مكة وأنا انتظر المغفرة من ربي وروي أنه قدم على رسول الله مال البحرين ثمانون
ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير
مما أخذ مني وأرجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما أخذ منكم على البناء للفاعل وإن يريدوا خيانتك
نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم ونقض ما
أخذ على كل عاقل من ميثاقه فأمكن منهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم ان أعادوا الخيانة وقيل المراد
بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء ان الذين آمنوا وهاجروا أي فارقوا أوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون
والذين آووا ونصروا هم الذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الأنصار بعضهم أولياء بعض أي يتولى بعضهم بعضا
في الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله وأولو
الأرحام بعضهم أولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر أي من توليهم في الميراث ووجه الكسر أن تولي
بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمرا ويباشر عملا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر أي فواجب
عليكم أن تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنهم لا
يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم
كقوله في المسلمين ولكن بعضهم أولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب
مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه أي
الا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام
على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في
الأرض ومفسدة عظيمة لأن المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا
وقرئ كثير أولئك هم المؤمنون حقا لأنهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن
ومفارقة الأهل والانسلاخ من المال لأجل الدين وليس بتكرار لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة
مع الموعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله
والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ألحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا
منه وترغيبا وأولو الأرحام أولو القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب
الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة
على توريث ذوي الأرحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة
وشاهد له أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له
أيام حياته في الدنيا

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية

لها عدة أسماء براءة، التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة،
الحافرة، المنكلة، المدمدمة، سورة العذاب لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق
أي تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم
وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت
أحدا الا نالت منه فإن قلت هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور قلت سأل ابن عباس
عثمان رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه السورة أو الآية
قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا
أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن أبي بن كعب
انما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله
سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا
قيل فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب الى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء
يدعوهم ولم ينبذ اليهم ألا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فأجاب ودعي الى الجزية فأداها
فقد اتبع الهدى وأما النبذ فانما هو البراءة واللعنة وأهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا
تخف وهو سلام الا أن هذا أمان كله وقيل سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال
تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لأنهما معا مائتان

وست فهما بمنزلة احدى الطول وقد اختلف أصحاب رسول الله فقال بعضهم الأنفال وبراءة سورة واحدة
وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال
هما سورة واحدة براءة خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس
بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول
كتاب من فلان الى فلان ويجوز أن تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل
من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرأ أهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح
مع لام التعريف لكثرته والمعنى أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ
اليهم فإن قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد أذن الله في
معاهدة المشركين أولا فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله
النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به
المشركين روي أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو
ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أين
شاءوا لا يتعرض لهم وهي الأشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الأشهر الحرم وذلك لصيانة الأشهر الحرم من
القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن
أسيد فأمر رسول الله أبا بكر على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها
على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع أبو بكر
الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروي أن أبا
بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فأرسل عليا فرجع أبو بكر
الى رسول الله فقال يا رسول الله أشيء نزل من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما
كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها
الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال
أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس
مؤمنة وأن يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء
ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما أمر أن لا يبلغ عنه الا رجل منه
لأن العرب عادتها في نقض عهودها أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه أبو بكر لجاز أن يقولوا
هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فأزيحت علتهم بتولية ذلك عليا عليه السلام فإن قلت
الأشهر الأربعة ما هي قلت عن الزهري أن براءة نزلت في شوال فهي أربعة أشهر شوال وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر
وكانت حرما لأنهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لأن ذا الحجة والمحرم منها وقيل عشر
من ذي القعدة الى عشر من ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم
ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة فإن قلت ما وجه اطباق أكثر العلماء على جواز مقاتلة
المشركين في الأشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وأبيح قتال
المشركين فيها غير معجزي الله لا تفوتونه وإن أمهلكم وهو مخزيكم أي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي
الآخرة بالعذاب وأذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه
لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والأذان
بمعنى الايذان وهو الاعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء فإن قلت أي فرق بين
الجملة الأولى والثانية قلت تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت
فإن قلت لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس قلت لأن البراءة
مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث
من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الأكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله
من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه أن رجلا أخذ بلجام دابته فقال ما الحج الأكبر
قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر
عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى
الحج الأصغر أو جعل الوقوف بعرفة هو الحج الأكبر لأنه معظم واجباته لأنه اذا فات فات الحج وكذلك
ان أريد به يوم النحر لأن ما يفعل فيه معظم أفعال الحج فهو الحج الأكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الأكبر لاجتماع
المسلمين والمشركين فيه وموافقته لأعياد أهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم
في قلب كل مؤمن وكافر أن الله بريء حذفت الباء التي هي صلة الأذان تخفيفا وقرئ إن الله بالكسر لأن الأذان في معنى
القول ورسوله عطف على المنوي في بريء أو على محل إن المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم
أن أو لأن الواو بمعنى مع أي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى أن أعرابيا
سمع رجلا يقرؤها فقال إن كان الله بريئا من رسوله فأنا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الأعرابي
قراءته فعندها أمر عمر بتعلم العربية فإن تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وإن توليتم عن التوبة
أو ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا أنكم غير معجزي الله غير سابقين الله تعالى ولا فائتين أخذه
وعقابه فإن قلت مم استثنى قوله الا الذين عاهدتم قلت وجهه أن يكون مستثنى من قوله
فسيحوا في الأرض لأن الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك
كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فأتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم
ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني أن قضية التقوى أن لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله
في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم عدوا
كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم
الخزاعي على رسول الله فأنشد: لاهم اني ناشد محمدا • حلف أبينا وأبيه الأتلدا • ان قريشا أخلفوك الموعدا •
ونقضوا ذمامك المؤكدا • هم بيتونا بالحطيم هجدا • وقتلونا ركعا وسجدا • فقال عليه السلام لا نصرت
ان لم أنصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة أي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فأتموا اليهم فأدوه اليهم
تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتم اليهم عهدهم انسلخ الشهر
الحرم التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني
الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم وأسروهم والأخيذ الأسير

واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد
الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله
خل السبيل لمن يبني المنار به • وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم
يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر احد مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك
احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين
بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن ويتبين
ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه بعد ذلك داره التي
يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي
محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي عليه السلام فقال ان اراد الرجل منا ان
ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين
استجارك الاية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر يعني
الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم لا يعلمون جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه
فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد
لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا
تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي
ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم و
لا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص
من اعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال •
وخبرتماني انما الموت بالقرى • فكيف وهاتا هضبة وقليب • يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم
انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم
يبقوا عليكم لا يرقبوا فيكم الا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان • لعمرك ان الك من قريش
كال السقب من رال النعام • وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبر وجبرئيل من
ذلك وقيل منه اشتق الال لان معنى القرابة كما اشتق الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال
بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله ايل
اي انين يرفع به صوته ودعت الالهة اذا اولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة
لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدا في وصف حالهم من مخالفة الظاهر
الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وتابى قلوبهم مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه
على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم
كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر
احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بآيات الله بالقرآن والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء
والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان
واطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد
فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم ونفصل الآيات ونبينها
وهذا اعتراض كانه قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم تحريضا وتحضيضا على تامل ما فصل من احكام المشركين
المعاهدين وعلى المحافظة عليها وان نكثوا ايمانهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم
فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات
الكرام الاوفياء من العرب ثم امنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا
فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفا بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله
ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم
وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن
فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا
اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم
الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان
لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا تكون يمينا
وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون
متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من
العظائم ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على
المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت همزة بعدها همزة بين بين اي
بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين واما التصريح
بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون
تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة
وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه
وهم بدءوكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله جاءهم اولا بالكتاب
المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادئ اظلم
فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم
عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول
والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم
تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني
ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا
الله لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح
نياتهم انه يعذبهم بايديكم قتلا ويخزهم اسرا ويوليكم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة
من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من
اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم
لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله

ومعجزة لنبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا
فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخوله في جملة ما اجيب به
الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى
يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون
رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبيين ذلك واقع متوقع كائن
وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل
في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون
الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله
مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله
يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد
الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة
منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا
المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو اكد لان طريقه طريقة الكناية كما لو قلت فلان
لا يقرا كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك شاهدين حال من الواو في يعمروا و
المعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته
ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة
ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك
لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم
بالشرك وطفق علي بن ابي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله وقطيعة الرحم واغلظ له
في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل
منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت اعمالهم
التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة
اذا تعقبتها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم
قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم انما يعمر مساجد الله
وقرئ بالتوحيد انما يستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها
وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله
واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه
وسلم ياتي في اخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا
تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة
الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها
فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه من الف المسجد
الفه الله وعنه صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس
رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه
فان قلت هلا ذكر الايمان برسول الله قلت لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان
بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء
واحد غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر
اقامة الصلوة وايتاء الزكوة فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا
يتمالك ان لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضا الله رضا غيره
لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والاخر حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه
وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين
تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا
بها واملوا عاقبتها بان الذين امنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى
اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون انهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى
وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله السقاية والعمارة
مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة
الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم
المثبتة وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود
نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل
ان عليا عليه السلام قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله فقال الست في افضل من الهجرة
اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال
عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة
عندكم واولئك هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم يبشرهم وقرئ بالتخفيف
والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين
خاصة كان قبل فتح مكة من امن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع
موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت
تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه
او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت
في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم
طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه
وقرئ وعشيراتكم وعشائركم فتربصوا حتى ياتي الله بامره وعيد وعن الحسن عقوبة عاجلة او اجلة وعن ابن عباس
رضي الله عنه هو فتح مكة وهذه اية شديدة لا ترى اشد منها كانها
تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم
من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الاباء والابناء

والاخوان والعشاير والاموال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله امر زوي الله عنه
احق شي بها لمصلحة فلا يدري في طريقه اطول ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدنيا لا يبالي
كانها وقع على الفه ذنبا ت فطر **مواطن** الحرب مقاما تها ومواقفها قال [illegible] الحكم
وكم موطن لولاي طحت كما هوى [illegible] من قلة النيق منهوي ● واستعماله من الصرف لانه
جمع وعلى صيغة [illegible] عليها واحد **في مواطن كثيرة** وقعات بدر وقريظة والنظير والحديبية وخيبر
وفتح مكة فان قيل [illegible] كيف عطف زمانا على مكان وهو **يوم حنين** على المواطن قلت
معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين
على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله **اذ اعجبتكم**
[illegible] جميع لكل المواطن [illegible]
والطايف [illegible] وحنين واد بين مكة
والطايف [illegible] وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة [illegible]
[illegible] وهم اربعة الاف [illegible] العرب [illegible]
[illegible] قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساء رسول الله [illegible]
وقيل ابو بكر وذلك قوله **اعجبتكم كثرتكم** فاقتتلوا قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب
بالكثرة [illegible] ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله وحده
وهو ثابت [illegible] ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحارث ابن عمه
وناهيك بهذا [illegible] شهادة [illegible] وربطه جاشه [illegible]
وقال [illegible] وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار [illegible] يا اصحاب الشجرة
[illegible] يا اصحاب سورة البقرة فكروا [illegible] وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض
على خيول بلق فنظر رسول الله الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب
فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكاني انظر الى رسول الله يركض خلفهم
على بغلته **بما رحبت** ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها
والمعنى [illegible] في موضع الحال [illegible]
[illegible]
ثم وليتم مدبرين [illegible] **سكينته** رحمته التي سكنوا بها وامنوا
وعلى المؤمنين الذين [illegible] مع رسول الله [illegible]
وانزل جنودا لم تروها يعني الملائكة [illegible] **وعذب الذين كفروا** بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري
وذلك جزاء الكافرين [illegible]
وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا [illegible]
[illegible]
[illegible] فقال رسول الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **نجس** مصدر [illegible] ومعناه ذوو نجس [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
كما كانوا يفعلون في الجاهلية **بعد عامهم هذا** [illegible] **فلا يقربوا المسجد الحرام**
ابو بكر رضي الله عنه على الموسم [illegible] وبعث عليا [illegible]
[illegible] الا لا يحج بعد العام مشرك [illegible] المسجد الحرام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **وان خفتم عيلة** فقرا [illegible]
فسوف يغنيكم الله من فضله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **ان شاء** [illegible]
[illegible] **ان الله عليم** باحوالكم **حكيم** [illegible]
[illegible] **من الذين اوتوا الكتاب** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **الجزية** [illegible]
[illegible] **عن يد** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **وهم صاغرون** [illegible]
[illegible]

[illegible] وان تقاتل [illegible] وبوجد [illegible] الجزية [illegible]
عند ابي حنيفة ولا يسقط به خراج الارض [illegible] فعند ابي حنيفة [illegible]
من ذمي [illegible] على مشركي العرب [illegible] رسول الله صلى الله عليه
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **عزير ابن الله** مبتدأ وخبر كقوله **المسيح ابن الله**
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **قولهم بافواههم** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **يضاهون** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **قاتلهم الله** [illegible]
[illegible]
[illegible] **اربابا** [illegible]
[illegible] **انى يؤفكون** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **وما امروا** [illegible]
الا ليعبدوا الها واحدا [illegible]
[illegible] **سبحانه** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **يطفئوا** [illegible] **نور الله** [illegible]
[illegible]
[illegible] **ويأبى الله** [illegible]
[illegible]
[illegible] **ولو كره الكافرون** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **بالباطل** [illegible]
[illegible]
[illegible] **والذين يكنزون** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الركوع [illegible] صلى الله عليه وسلم ما ادى زكاته فليس بكنز وان كان ظاهرا [illegible]
فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا سأله عن ارض له باعها فقال احرز مالك
الذي اخذت [illegible] تحت فراش امراتك قال اليس بكنز قال ما ادي زكاته فليس بكنز [illegible]
ادي زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكاته فهو الذي ذكر الله [illegible]
على ظهر الارض فان قيل [illegible] لما نزلت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة فقالوا [illegible] اي مال نتخذ [illegible] لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة
[illegible] وبقوله عليه السلام من ترك صفرا او بيضا كوي بها [illegible]
[illegible] رسول الله [illegible] دينارا [illegible]
[illegible] ما بعد فرض الزكوة [illegible] عبد الرحمن بن عوف وطلحة وعبيد الله
[illegible] ولقد كان كثير من الصحابة [illegible]
[illegible] الاموال [illegible] اختيار الافضل [illegible] رضي الله عنه
في الورع والزهد في الدنيا [illegible] **ولا ينفقونها**
اربعة الاف [illegible] قيل [illegible]

وقد ذكر شيئان قلت ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية
وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز
وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله واني وقيار بها لغريب
وقيار كذلك فان قلت لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال قلت لانهما قانون التمول
واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر
اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا
قيل تحمى من قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت معناه ان النار تحمى
عليها اي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل لم يحمى لم يعط هذا المعنى فان قلت
فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لانه مسند الى الجار والمجرور واصله يوم تحمى النار
عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير
فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرئ تحمى بالتاء وقرئ فيكوى بالياء
فان قلت لم خصت هذه الاعضاء قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا
الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل
ويحيون بالاكرام ويبجلون ومن اكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس
ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من
اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم
كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم
وقيل يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله
لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها
وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون
وقرئ تكنزون بضم النون اي وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين في كتاب الله
فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح اربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام في خطبة حجة الوداع الا ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى
ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع
ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين
المستقيم دين ابراهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر
الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل
الاسنة حتى احدثت النسيء فغيرت فلا تظلموا فيهن انفسكم اي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن
عطاء بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني
احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم
اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال وان كان ذلك محرما في سائر الشهور
كافة حال من الفاعل والمفعول مع المتقين ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصرة لاهلها النسيء
تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم
محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم
بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله
اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما
زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وجل
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء
اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل وروي انه حدث ذلك في كنانة
لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على
جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول
ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية
ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا
وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على ان الفعل لله
عز وجل وقرأ الزهري ليواطوا بالتشديد والنسيء مصدر نسأه اذا اخره يقال نسأه نسأ ونساء
ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي
والنسي بوزن النهي وهما تخفيفا النسيء والنسء فان قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله
قلت معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك
الاختصاص للاشهر بعينها زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي
اي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل اثاقلتم
وبه قرأ الاعمش اي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى
الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة
بارضكم ودياركم وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ فان قلت فما العامل
في اذا وحرف الاستفهام مانعه ان يعمل فيه قلت ما دل عليه او ما في ما لكم من معنى الفعل
كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله في الحال اذا قلت ما لك قائما وكانت غزوة تبوك
في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة
العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس
تمام العدة من الآخرة بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الآخرة في جنب الآخرة الا تنفروا
سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب لا يرتبط بشيء بالدارين وانه يهلكهم
ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا
وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه لان الله وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن
لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص
فان قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط قلت فيه وجهان احدهما الا تنصروه

فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على
انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك
الوقت فلن يخذل من بعده واسند الاخراج الى الكفار كما اسند اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك
لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين احد اثنين كقوله ثالث
ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضي الله عنه روي ان جبريل صلوات الله
عليه لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون
اذ هما بدل من اذ اخرجه والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا
فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال ان تصب اليوم
ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين
فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول
الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله
وليس ذلك لسائر الصحابة سكينته ما القى الله في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم
لا يصلون اليه والجنود الملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر
وكلمة الله دعوته الى الاسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع اوجه
وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون سائر الكلم هي فصل او مبتدأ
خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها
او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا
ومراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله أعلي ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج
وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على
حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر
الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن
الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر
الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم
ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال
الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا
قاصدا وسطا مقاربا والشقة المسافة الشاطة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة
بكسر العين والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد الا ما تواري الصفائح
بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني
المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
او سيحلفون بالله ويقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما
سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة
استطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها
لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا
بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف
ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها
من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله
لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم
على الحكاية عفا الله عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطأت وبئس ما فعلت
ولم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك
واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه
وقيل شيئان فعلهما رسول الله ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله
لا يستأذنك ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار
يقولون لا نستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا
في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين
وعدة لهم باجزل الثواب انما يستأذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا يترددون
عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر وقرئ عده
بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر
من حذف التاء وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة وعدة باضافته فان
قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا
معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن
تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي فثبطهم فكسلهم
وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج
امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قول بعضهم لبعض وقيل هو اذن رسول
الله لهم في القعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو
وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم
ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت فلم
خطأ رسول الله في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله لهم لم يكن للنظر
في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استأذنوه واعتذروا اليه
فكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون
في تركه الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة
وذلك انه اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله قامت عليهم الحجة ولم
تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حين هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم
بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين
قلت هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود

والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف وبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف
الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى
من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور
واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض اعم العام
كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب
والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا
ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرا ابن الزبير ولاوفضوا من وفضت
الناقة اذا اسرعت واوفضتها انا وقرئ ولا اوفضوا فان قلت كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الف قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل
الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا
صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه اولاذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم
بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون
حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة اي العنت
ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد
حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا
ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد
ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر
امر الله وغلب دينه وعلا شرعه ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا
تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي
وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم
ولكني اعينك بمالي فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا
فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى لمحيطة بالكافرين
يعني انها تحيط بهم يوم القيامة او هي محيطة بهم الآن لان اسبابها محيطة معهم فكانهم في وسطها
ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها
نحو ما جرى يوم احد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا اي امرنا الذي نحن متسمون به
من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع
له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا اعرضوا عن رسول الله وقرا ابن مسعود هل يصيبنا وقرئ
طلحة هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب
السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوب رايه الا ان يكون
من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله • اسهمي الصائبات والصيب • واللام في قوله الا ما
كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من
النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين امنوا
وان الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو
حقهم الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما
النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأتين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده
وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا
من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلابد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه انفقوا يعني
في سبيل الله ووجوه البر طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين او مكرهين فان قلت كيف
امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم
وقوله • اسيئي بنا او احسني لا ملومة • لدينا ولا مقلية ان تقلت • اي لن يغفر الله لهم استغفرت
لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اسات الينا او احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت
اذا دل الكلام عليه كما دل عليه في قولك رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك
قلت لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول للمخاطب امتحني لطف محلك عندي وقوله لك وعاملني بالاساءة والاحسان وانظر هل يتفاوت حالك معي مسيئا كنت او محسنا وفي معناه
قول القائل • اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا • لتضربه لم يستغشك في الود • وكذلك
المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار
وتركه فان قلت ما الغرض في نفي التقبل اهو ترك رسول الله تقبله منهم ورده عليهم ما
يبذلونه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له قلت يحتمل الامرين جميعا وقوله
طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمى الالزام اكراها لانهم
منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم
لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من
جهتهم وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله هذا مالي
اعينك به فاتركني انكم تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو كنتم قوما فاسقين
وهم ان تقبل مفعوله وقرئ ان يقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم على
الجمع والتوحيد وقرا السلمي ان يقبل منهم نفقتهم على ان الفعل لله عز وجل كسالى بالضم
والفتح جمع كسلان نحو سكارى وحيارى في سكران وحيران وكذلك هم لا يرجون بصلاتهم
ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرات في بعض
الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية
وان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المؤمن الى نفسه فان قلت الكراهية
خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون
قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله او من رؤسائهم وما طوعهم
ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار فلا تعجبك الشيء ... من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بها او بالدنيا كقوله ولا تمدن عينيك

ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الانفاق منه في
ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم وهم اذاقهم انواع الكلف والمحاجيم في جمعه واكتسابه
وفي تربية اولادهم فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون
قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد الله ان يديم عليهم
نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر في العاقبة لمنكم لمن جملة المسلمين
يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية ملجأ مكانا يلجؤن اليه متحصنين
به من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غيرانا وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل
الغور وقيل هو تعدية غار الشيء وغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون
من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومفار او مدخلا او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو
مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرأ ابي بن
كعب متدخلا وقرئ لوالوا اليه لالتجؤا اليه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء
من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرأ انس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون
ويشتدون واحد ومنهم من يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم
وقيل هو ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال
اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين فقال
الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله
لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه السلام احذروا
هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التثقيل والبناء على
المفاعلة مبالغة في اللمز ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان
رسول الله استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا
للمفاجاة اي وان لم يعطوا منها فاجؤا السخط جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان
خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل
نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا الله غنيمة اخرى
فيؤتينا رسول الله اكثر مما اتانا اليوم انا الى الله لراغبون في ان يغنمنا ويخولنا فضله
انما الصدقات للفقراء قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى
غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون
لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة وعن حذيفة
وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك وعن سعيد
بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي لابد
من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية وعن الزهري رضي الله عنه
انه كتب لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية والعاملين عليها
السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله يستالفهم على ان يسلموا
فرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة وفي الرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى
وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب
وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع
بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى
المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة
بالرفع على تلك فريضة فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة قلت للايذان
بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان
توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق
او الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في
الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله
وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت فكيف وقعت
هذه الاية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دل بكون هذه الاصناف مصارف
الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان
وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها الاذن
الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته
اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن قل اذن خير
هو كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز
ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويدل عليه قراءة حمزة
ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه
يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن
امن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف
اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة في الابقاء
عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسره بما هو
مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة
القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاستغلبت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما
هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذا جئنا فاتيناه فيعتذر اليه فيسمع عذرنا فنرضى
فقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك
اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا
يكافئكم على سوء دخلتكم وقرا نافع بتخفيف الذال فان قلت [illegible] الاستماع من المؤمنين وان
يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدى باللام الا ترى الى قوله وما انت بمؤمن
لنا ولو كنا صادقين ما اباه عن الباء ونحوه فما امن لموسى الا ذرية من قومه انؤمن لك واتبعك
الارذلون امنتم به قبل ان اذن لكم فان قلت ما وجه قراءة ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب قلت
هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم ياذن لكم فحذف لان قوله اذن خير لكم يدل عليه

لكم ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد
ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم
ان كانوا مؤمنين كما يزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد
الضمير لانه لا تفاوت بين رضى الله ورضى رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد
واجماله نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك الم يعلموا انه من يحادد مفاعلة
من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان
تكرير لان في قوله انه توكيدا ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف
تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء كانوا
يستهزئون بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله
لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في
عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين ويجوز ذلك لان المعنى يقود اليه ويجوز
ان تكون الضماير للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في
قلوبهم كانها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة
منتشرة وكانها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اي ليحذر المنافقون فان قلت الحذر
واقع على انزال السورة في قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون
قلت معناه محصل مبرز انزال السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه اي تحذرون اظهاره
من نفاقكم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون
بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع
الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله
لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر
بعضنا على بعض السفر ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين
فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود فيهم حتى وبخوا باخطائهم موقع
الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته
لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم
قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان يعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة
واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه
او ان يعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل
طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله مستهزئين وقرئ مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء
للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت
بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك وهو غريب والجيد
قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث وقرئ ان يعف عن طائفة
يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل بعضهم من بعض اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين
وتكذيبهم في قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على
مضادة حالهم لحال المؤمنين يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان
والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا الله اغفلوا ذكره
فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد
في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش
الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله للمسلم ان يقول كسلت
لان المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق خالدين فيها مقدرين الخلود
هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه
وعذابه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين
كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب
سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز ان يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجلة
لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما
يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم الكاف محلها الرفع على انتم
مثل الذين من قبلكم او النصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما
استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا باضمار لم ار وقوله كانوا اشد
منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم بخلاقهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اي
قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت وخضتم ودخلتم في الباطل
واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه فان قلت اي فائدة
في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله
كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا قلت فائدته ان يذم الاولين
بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة
وطلب الفلاح في الآخرة وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال
المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل
بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما
قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة
نقيض قوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم
شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب
احوالهن عن الخير الى الشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح
وان يعاقبهم بغير جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث كفروا به فاستحقوا عقابه بعضهم اولياء بعض
في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة
فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك يوما تعني انك لا تفوتني وان تباطأ
ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك سوف يؤتيهم اجورهم عزيز غالب
على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب

الاستحقاق ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد وعدن علم
بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان
من الله اكبر وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم
ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه
راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعم وانما تتهنأ له برضاه كما اذا علم بسخطه تنغصت
عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول
لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني
وان احشر في زمرة المهديين المرضيين عنده ذلك اشارة الى ما وعد او الى الرضوان اي هو
الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وروى ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم
فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك
قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في
العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود
ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة
والبغضاء والتبري منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا
اسبابها اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب
المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان
ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن
قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول
الله فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده وقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق
وتكذيب الكاذب فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي
التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا
كفرهم بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله وذلك عند مرجعه
من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل
واخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة
بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله
فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي
وان لم يرض رسول الله وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا
حين قدم رسول الله المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا
بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا هي الآية التي
تاب عندها الجلاس في الدنيا والآخرة بالقتل والنار روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول
الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه
وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما
فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا فانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه
رسول الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله مصدقين لاخذ
الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله
الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما
رجعا قال لهما رسول الله قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله
منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول
الله فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان وقرئ لنصدقن
ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس يريد الحج فاعقبهم عن الحسن
وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه
الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ
يكذبون بالتشديد الم يعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم ما اسروه من
النفاق والعزم على الاخلاف وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية
الصدقة جزية وتدبير منعها الذين يلمزون محله النصب او الرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل
الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين
روي ان رسول الله حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة
الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله
بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر امراته عن ربع
الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع
من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله
ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان
كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات
فنزلت الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح والضم سخر الله منهم كقوله الله يستهزئ بهم
في انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم سأل عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلام ان الله قد
رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا
الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وان فيه معنى الشرط وذكرنا
النكتة في المجيء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن ابي طالب
عليه السلام لاصبحن العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدي النواصي فان قلت
كيف خفي على رسول الله وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من هذا
العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد

رخص لي ربي فانا ابد على السبعين ... لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا

لغاية رحمته ورأفته على من بعث عليه كقول ابراهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي

الرأفة والرحمة لطف لامته ودعاهم الى ترحم بعضهم على بعض المخلفون الذين استأذنوا رسول

الله من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم

والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى

بعدهم ظعنوا او لم يظعن معهم [illegible]

[illegible]

ان يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على
النفاق على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقوله. انا ابن جلا. وعلى الوجه الاول
لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدا او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره
مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري
حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اي يخفون
عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشككك في امرهم
ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في
سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في
ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين
قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا
في هاتين المرتين فقال قام رسول الله خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج
يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن
الحسن اخذ الزكوة من اموالهم ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم اي عذاب النار واخرون اعترفوا بذنوبهم
اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما
فعلوا متذممين نادمين وكانوا عشرة فسبعة منهم ... ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة
ووديعة بن حزام وقيل كانوا ثلاثة ... وثقوا انفسهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين
فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل
المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسال عنهم فذكر له انهم
اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم
حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك
فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم عملا صالحا
خروجا الى الجهاد واخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم فان قلت قد
جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان
المعنى خلط كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه
وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته
بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء
ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم فان قلت كيف قيل
عسى الله ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة
فقد ذكرت توبتهم تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم
بالجزم جوابا للامر ولم يقرا به وتزكيهم بها التاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة المؤنث
والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم
واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن
الشافعي رحمه الله احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة اجرك الله فيما اعطيت وجعله
طهورا وبارك لك فيما ابقيت وقرئ ان صلاتك على التوحيد سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن
قلوبهم بان الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في
ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم الم يعلموا قرئ بالياء والتاء وفيه وجهان احدهما ان يراد
المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة عن عباده
اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص وان الله
من شانه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو ان ذلك ليس الى رسول الله انما
الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه وقل لهؤلاء التائبين اعملوا
فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله وعباده كما رايتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير
التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين
تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت فان قلت ما
معنى قوله وياخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع
في يد الله قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى الله عملكم وعيد
لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة وقرئ مرجون ومرجاون من ارجيته
وارجاته اذا اخرته ومنه المرجئة يعني واخرون من المتخلفين موقوفون الى ان يظهر امرهم اما يعذبهم
ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة
بن الربيع امر رسول الله اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة
واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم
فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي
قراءة عبد الله غفور رحيم وادما للعباد اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة وقطع
اهل الشام والمدينة الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف
قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم روي ان بني عمرو بن عوف
لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم
بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب
اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله
الفاسق وقال لرسول الله يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل
يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان
استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا
واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا
مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو
لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل
من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي
وعامر بن السكن ووحشي وقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله

فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام
بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا
بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم
وارصادا واعدادا لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على
رسول الله وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير
طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلوة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني
فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار
او رياء وسمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله الامصار على عمر
رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما
صاحبه فان قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص
كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدا خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين
اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا
اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف ان اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة
الحسنى او الا الارادة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة للمصلين لمسجد اسس على
التقوى قيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء
وهي يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين
مسجدي قباء اوقع وقيل هو مسجد رسول الله بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سالت رسول
الله عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم
هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا
قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء
فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم
لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم
قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار
ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله
نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان
يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا
ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل
يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن اخرهم فان قلت ما معنى المحبتين
قلت محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهي له على ايثاره
ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه وقرئ اسس بنيانه
واسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه
بالفتح والكسر جمع اس واساس بنيانه على فعال جمع اس ايضا واس بنيانه والمعنى افمن
اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير
ام من اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق
الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى
لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى فان قلت فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم قلت
لما جعل الجرف الهار مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار
جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس
بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف
والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر
وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف
ونظيره شاك وصات في شائك وصائت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور
وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره وقرئ جرف
بسكون الراء فان قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله
بالتنوين قلت قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي مصحف
ابي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرئي الدخان يخرج منه وروي ان
مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قباء عمر بن
الخطاب في خلافته ان ياذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد
الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا
فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقران وكانوا شيوخا لا يقرؤون من القران
شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلوة بقومه ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين
وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله
ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم
لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتتفرق اجزاء فحينئذ يسلون
عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع
تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور
او في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم
على الخطاب للرسول اي الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقرا الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله
ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه
الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم مثل الله اثابتهم الجنة على بذلهم
انفسهم واموالهم في سبيله بالشراء وروي تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه
جعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وروي ان الانصار حين
بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان
تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك

فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله اعرابي وهو يقرأها فقال كلام من
قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد **يقاتلون** فيه معنى
الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقرئ **فيقتلون ويقتلون** على بناء الاول
للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس **وعدا** مصدر مؤكد واخبر بان هذا الوعد الذي وعده
للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته **في التوراة والانجيل** كما اثبته في القرآن ثم قال **ومن اوفى**
بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف
بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ **التائبون** رفع على المدح
اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين
بالياء الى **والحافظين** نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج ان يكون
مبتدا خبره محذوف اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد
الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدا وخبره العابدون
وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون هذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا
من الشرك وتبرؤوا من النفاق **والعابدون** الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة
وحرصوا عليها **والسائحون** الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم
وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه قيل قال لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم
عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت
وقيل لما افتتح مكة سال اي ابويه احدث به عهدا فقيل امك امنة فزار قبرها بالابواء ثم قام
مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي وسالته في الاستغفار لها فلم ياذن لي
فنزلت وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا اخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر
لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا وذوي قراباتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه
وهذا محمد يستغفر لعمه **ما كان للنبي** ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته **من بعد ما تبين لهم**
انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك **وما استغفر ابراهيم لابيه** وعنه وما
يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية **الا عن موعدة وعدها اياه** اي وعدها ابراهيم اباه وهو قوله
لاستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها اباه فان **قلت** كيف خفي على ابراهيم
ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده **قلت** يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان
جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر
الله للكافر الا ترى الى قوله عليه السلام لاستغفرن لك ما لم انه وعن الحسن قيل لرسول الله
ان فلانا يستغفر لابائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي عليه السلام رايت رجلا يستغفر
لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد استغفر ابراهيم فان **قلت** فما معنى قوله
فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه **قلت** معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت
كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم **ان ابراهيم لاواه**
فعال من اوه كلال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التاوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه
كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك يعني ما امر الله بالاتقاء
واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهي عنه وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام
ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب
واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل
التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الاية
شدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم
الاضلال والمراد بما **يتقون** ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة
فغير موقوف على التوقيف **لقد تاب الله على النبي** كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار
حتى النبي والمهاجرون والانصار فانه لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين
الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه
للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك **في ساعة العسرة** في وقتها والساعة مستعملة في
معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم • غداة طفت علماء بكر بن وائل •
عشية قارعنا جذام وحميرا • اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى • والعسرة حالهم في غزوة تبوك
كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود
والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها
الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان
من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة **كاد يزيغ قلوب فريق منهم** عن الثبات
على الايمان وعن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه
بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم
يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله **ثم تاب عليهم** تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون
الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم **وعلى الثلاثة** كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية
ومعنى **خلفوا** خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا
اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقراءة جعفر الصادق رضي الله عنه
خالفوا وقراءة الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين **بما رحبت** برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في
امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه **وضاقت عليهم انفسهم** اي قلوبهم
لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم **وظنوا** وعلموا **ان لا ملجا من** سخط
الله الا الى استغفاره **ثم تاب عليهم ليتوبوا** ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى
ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم **ان الله**
تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله منهم
من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن رضي الله عنه انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة
الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لاخر الا
اهله فقال يا اهلاه ما بطا بي ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق

رسول الله فركب ولحق به ولم يكن لاخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة
لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله فتابط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله
المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع
اثر رسول الله ماشيا فقال رسول الله لما راى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر
يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت
له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع
وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه
ومر كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة
فكانه ففرح به رسول الله واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل
رسول الله سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما
خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا
ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا
ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن
مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم
وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله فاذا هو جالس في المسجد وحوله
المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن
انساها لطلحة وقال رسول الله وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك
امك ثم تلا علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب
الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه **مع الصادقين** وقرئ من
الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وعملا وقولا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم
الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثة اي كونوا مثل
هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن امن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين
والانصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة
تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه
ثم لا ينجز اقرؤوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة **ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه**
امروا بان يصحبوه على الباساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا
انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع
كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له
ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان يربؤوا
بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح
لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية **ذلك** اشارة الى ما دل عليه قوله
ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب متابعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب **انهم لا يصيبهم**
شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر
خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم
ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤونهم شيئا بقتل واسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك **الا كتب**
لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز
ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام اخر وطاة
وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ
الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل
ويقال نال منه اذا رزاه ونقصه وهو عام في كل ما يسوؤهم ويكبتهم ويلحق بهم ضررا
وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير
ذلك وكذلك الشر وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمه الله ان المدد القادم
بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد
اسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق
رضي الله عنه المهاجر بن ابي امية وزياد بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس
فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي لا يشارك المدد الغازين وقرا عبيد بن
عمير ظما بالمد يقال ظمئ ظما وظماء **ولا ينفقون نفقة صغيرة** ولو تمرة ولو علاقة
سوط **ولا كبيرة** مثل ما انفق عثمن بن عفان في جيش العسرة **ولا يقطعون واديا** اي ارضا في
ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منعرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل
فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل
في وادي غيرك **الا كتب لهم** ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع
الضمير فيه الى عمل صالح وقوله **ليجزيهم** متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء
اللام لتاكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن
وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم
فريضة على كل مسلم ومسلمة **فلولا نفر** فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر
من كل فرقة منهم طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير **ليتفقهوا في الدين**
ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها **ولينذروا قومهم** وليجعلوا
غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من
الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد
والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم
وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لاخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على
ان يكون موطا العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في
الارض ولا فسادا **لعلهم يحذرون** ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه
اخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في
المتخلفين من الايات الشداد استبق المؤمنون عن اخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي

[illegible]

وفي من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله في قوله رؤف رحيم **فان تولوا** فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ **العظيم** بالرفع وعن ابن عباس العرش لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب اخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم وعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس عليه السلام مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تعديد للحروف على طريق التحدي **وتلك** اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات **والكتاب** السورة **والحكيم** ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى • وغريبة تأتي الملوك حكيمة • قد قلتها ليقال من ذا قالها • الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه **وان اوحينا** اسم كان **وعجبا** خبره وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله • يكون مزاجها عسل وماء • والاجود ان يكون كان تامة وان اوحينا بدلا من عجب فان قلت فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم

[illegible]

أن لا يمهلهم الحجة بعد الرسل **كذلك** مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك **نجزي** كل مجرم وهو وعيد
لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله وقرئ يجزي بالياء **ثم جعلناكم** الخطاب للذين بعث إليهم
محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم **في الأرض** بعد القرون التي أهلكناها **لننظر** [illegible] تعملون
خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب عملكم **وكيف** في محل النصب **تعملون** لا بلننظر لأن معنى الاستفهام
فيه يحجب أن يتقدم عليه عامله فإن قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت هو
مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه غاظهم ما
في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد للمشركين فقالوا **ائت بقرآن** آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك
نتبعك **أو بدله** بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها
فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه داخل تحت قدرة الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما
أنزل وأن يسقط ذكر الآلهة وأما الإتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للإنسان **ما يكون لي** ما ينبغي
لي وما يحل كقوله ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق **أن أبدله من تلقاء نفسي** من قبل نفسي وقرئ بفتح
الياء من غير أن يأمرني بذلك ربي **إن أتبع إلا ما يوحى إلي** لا آتي ولا أذر شيئا من نحو ذلك إلا متبعا لوحي الله تعالى
وأوامره إن نسخت آية تبعت النسخ وإن بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس لي أن أبدل ولا أنسخ
إني أخاف إن عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي **عذاب يوم عظيم** فإن قلت أما ظهر
وتبين لهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون
بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه إلى الرسول ويزعمونه
قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بأن العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها إذا عجزت عنه كان الواحد منهم
أعجز فإن قلت لعلهم أرادوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي كما أتيت بالقرآن من جهته
وأراد بقوله ما يكون لي أن أبدله ما يتسهل لي وما يمكنني أن أبدله قلت يرده قوله إني أخاف إن عصيت ربي
[illegible] الكبير والنكرا [illegible]
فإن القرآن [illegible] من عندك وإنك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر وأما اقتراح التبديل والتغيير
فللطمع ولاختبار الحال وأنه إن وجد منه تبديل فإما أن يهلكه الله تعالى فينجوا منه أو لا يهلكه
فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله **لو شاء الله ما تلوته عليكم** يعني أن
تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإحداثه أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم
يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام
فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الأصول والفروع وأخبار مما كان وما يكون
ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها إلا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله ولا يخفى
عليكم شيء من أسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه وألصقهم به
ولا أدراكم به ولا أعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا أدرأتكم به على لغة من يقول أعطأته وأرضأته
في معنى أعطيته وأرضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا أنذرتكم به ورواه الفراء ولا أدرأتكم به بالهمز
وفيه وجهان أحدهما أن تقلب الألف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وحلأت السويق وذلك
لأن الألف والهمزة من واد واحد ألا ترى أن الألف إذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني أن يكون
من درأته إذا دفعته ودرأته إذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء
تدرؤونني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولأدراكم به بلام الابتداء لإثبات الإدراء ومعناه لو
شاء الله ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري ولكنه من علي من بين عباده فخصني
بهذه الكرامة ورآني لها أهلا دون سائر الناس **فقد لبثت فيكم عمرا** وقرئ عمرا بالسكون
يعني فقد أقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت
متواصفا بعلم وبيان فتتهمونني باختراعه **أفلا تعقلون** فتعلموا أنه ليس إلا من الله لا من
مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من إضافة الافتراء إليه **فمن أظلم ممن افترى
على الله كذبا** يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في قولهم إنه ذو شريك وذو ولد وأن يكون
تفاديا مما أضافوه إليه من الافتراء **ما لا يضرهم ولا ينفعهم** الأوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع
ولا ضر وقيل إن عبدوها لم تنفعهم وإن تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون
مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى
ومناة وهبل وإسافا ونائلة وكانوا **يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** وعن النضر بن الحارث إذا
كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى **أتنبئون الله بما لا يعلم** أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو
إنباء بما ليس بمعلوم لله وإذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لأن
الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه فإن قلت كيف أنبأوا الله بذلك قلت
هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي أنبأوا به باطل غير
منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ أتنبئون
الله بالتخفيف وقوله **في السموات ولا في الأرض** تأكيد لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم
يشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولة أو مصدرية أي عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم
وما كان الناس إلا أمة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك في عهد
آدم إلى أن قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا **ولولا كلمة سبقت
من ربك** وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة **لقضي بينهم** عاجلا فيما اختلفوا فيه ولميز المحق
من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب
وعقاب **وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه** أرادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا
لا يعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن
وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها
كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم
وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي **فقل إنما الغيب لله** أي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم
لي ولا لأحد به يعني أن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو **فانتظروا** نزول
ما اقترحتموه **إني معكم من المنتظرين** لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات سلط الله
القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون
في آيات الله ويعادون رسول الله ويكيدونه **وإذا** الأولى للشرط والثانية جوابها وهي للمفاجأة
والمكر إخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى **مستهم** خالطتهم حتى

أحسوا بسوء أثرها فيهم فإن قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله **أسرع مكرا** قلت
بل دلت على ذلك كلمة المفاجأة كأنه قال وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤوا وقوع المكر منهم وسارعوا
إليه قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله تعالى دبر
عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام **إن رسلنا يكتبون** إعلام
بأن ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ **ما يمكرون** بالياء والتاء وقيل مكرهم
قولهم سقينا بنوء كذا وعن أبي هريرة إن الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم
كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وقرأ زيد بن ثابت **ينشركم** ومثله قوله فانتشروا في الأرض من قرأ
ينشركم ينشرون فإن قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر إنما هو
بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون **في الفلك** غاية للتسيير في البحر ولكن مضمون الجملة
الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت
من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء فإن قلت ما جواب إذا
قلت جاءتها وأما **دعوا** فبدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فإن
قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قلت المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم
منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح فإن قلت ما وجه قراءة أم الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب
قيل هما زائدتان كما في الخارجي والأحمري ويجوز أن يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري
الفلك إلا فيه والضمير في **جرين** للفلك لأنه جمع فلك كالأسد في فعل أخي فعل وفي قراءة أم الدرداء
للفلكي أيضا لأن الفلكي يدل عليه **جاءتها** جاءت الريح الطيبة أي تلقتها وقيل الضمير للفلك **من كل
مكان** من جميع أمكنة الموج **أحيط بهم** أي أهلكوا جعل إحاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك
مخلصين له الدين من غير إشراك لأنهم لا يدعون حينئذ معه غيره **لئن أنجيتنا** على إرادة القول
أو لأن دعوا من جملة القول **يبغون في الأرض** يفسدون فيها ويعبثون مترقين في ذلك ممعنين فيه
من قولك بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد فإن قلت ما معنى قوله **بغير الحق** والبغي لا يكون بحق
قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقلع أشجارهم
كما فعل رسول الله ببني قريظة قرئ **متاع الحياة الدنيا** بالنصب فإن قلت ما الفرق بين القراءتين
قلت إذا رفعت كان المتاع خبرا للمبتدأ الذي هو بغيكم وعلى أنفسكم صلة كقوله فبغى عليهم
ومعناه إنما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا
لا بقاء لها وإذا نصبت فعلى أنفسكم خبر غير صلة معناه إنما بغيكم وبال على أنفسكم ومتاع الحياة الدنيا
في موضع المصدر المؤكد كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ويجوز أن يكون الرفع على هو متاع الحياة
الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا
ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا
البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو
بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه
يا صاحب البغي إن البغي مصرعة ... فارْبَع فخير فعال المرء أعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل ... لاندك منه أعاليه وأسفله
وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم
هذا من التشبيه المركب شبهت حال **الدنيا** في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال **نبات
الأرض** في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه **فاختلط به**
فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا **أخذت الأرض زخرفها وازينت** كلام فصيح جعلت الأرض
آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان
الزين وأصل ازينت تزينت فأدغم وبالأصل قرأ عبد الله وقرئ وأزينت على أفعلت من غير إعلال
كأغيلت أي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت **قادرون عليها** متمكنون
من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها **أتاها أمرنا** وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد
أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم **فجعلناها** فجعلنا زرعها **حصيدا** شبيها بما يحصد من الزرع
في قطعه واستئصاله **كأن لم تغن** كأن لم يغن زرعها أي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع
لا بد منه وإلا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كأن لم يغن بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع
وعن مروان أنه قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالأمس من قول الأعشى ... طويلا تغنى
بالأمس مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا **دار السلام** الجنة أضافها إلى اسمه
تعظيما لها وقيل السلام السلامة لأن أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم
الملائكة عليهم إلا قيلا سلاما سلاما **ويهدي** ويوفق **من يشاء** وهم الذين علم تعالى أن اللطف يجدي
عليهم لأن مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون
الحسنى المثوبة الحسنى **وزيادة** وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله
وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الحسنة والزيادة عشر أمثالها
وعن الحسن عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة
الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيئا إلا أمطرتهم
وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرقوع إذا
دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم
شيئا هو أحب إليهم منه **ولا يرهق وجوههم** لا يغشاها **قتر** غبرة فيها سواد **ولا ذلة** ولا
أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار إذكارا بما ينتظرهم ورحمة لهم
ألا ترى إلى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة فإن قلت ما وجه قوله **والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها** وكيف يتلاءم قلت لا يخلو إما أن يكون والذين كسبوا السيئات [illegible]
مثلها على معنى جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا أوجه من الأول
عطفا على عاملين وإن كان الأخفش يجيزه وفي هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لأنه
دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ **يرهقهم ذلة**
بالياء **من الله من عاصم** أي لا يعصمهم أحد من سخط الله تعالى وعقابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن
عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين **مظلما** حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون جعل
قوله من الليل صفة له ويعضده قراءة أبي بن كعب كأنما يغشى وجوههم قطع
من الليل مظلم فإن قلت إذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو إما

ان يكون اضيفت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة
واما ان يكون معنى الفعل في من الليل مكانكم اي الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم
اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم
على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا
اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ
شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا وقرئ
فزايلنا بينهم كقولك صاعرته وصعرته وكالمته وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم
تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم ان كنا هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل
وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها
اطماعهم هنالك في ذلك المقام او في ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان
للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع
ام ضار امقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه لتكتسبه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى
السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف
حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل
الخابر كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية
بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلو اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة
او الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته
لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم
احدا وقرئ الحق بالنصب على تاكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على
المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون
انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة من السماء والارض
اي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته
امن يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة
او من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء
بكلاءته وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون
افلا تتقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال ذلكم اشارة الى
من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثبوتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد
الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال
فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء كذلك
مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم
مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا
الى الحد الاقصى فيه انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم
الله تعالى منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله ان الهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او
اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون فان قلت كيف
قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها
موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على
انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه صلوات الله عليه
قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انهم لا يدعهم لجاجهم
ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين
ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله تعالى امن لا يهدي
وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء
وكسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان يهدى من هداه وهداه
للمبالغة ومنه قوله يهدي ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من
العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم
واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد من اشرفهم كالملائكة
والمسيح وعزير عليهم السلام يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى الحق هذه
الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله
وقيل معناه امن لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي
ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف
تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد لله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا
قولا غير مستند الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله تعالى لا يغني من الحق وهو العلم
شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة وانها تشفع عند الله الا الظن والمراد
بالاكثر الجميع ان الله عليم بما يفعلون وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون
بالتاء وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه
وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد بصحتها كقوله هو الحق
مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق
وتفصيل ومعنى وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو
امره واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله
كتاب الله عليكم فان قلت بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو داخل
في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين
ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من
رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم
ام يقولون افتراه بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار
لقولهم واستبعاد والمعنى ان كان الامر كما تزعمون فأتوا انتم على وجه

الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة
وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من
استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان
لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين
انه افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجأوه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه
ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما
خالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس
بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان
الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير
فكر في صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت
ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم تأويله قلت معناه انهم كذبوا على البديهة قبل التدبر
ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب
قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدي
وذاقوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك
مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل
تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو الذين كذبوا وهم شاكون
ويجوز ان يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته
حتى يتبين لهم انه كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن
جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد
الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به من يصدق به في
نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من لا يؤمن به من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال
اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان
كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله
تعالى فان عصوك فقل اني بريء وقيل هي منسوخة باية السيف ومنهم من يستمعون اليك معناه
ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون
وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال
اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما
تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد
تم الامر او تحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى
الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني انهم في
اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا تقدر على اسماعهم وهدايتهم الاصم والاعمى المسلوبي العقل جديري
السمع والبصر راجحي العقل الا هو وحده ان الله لا يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا
مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب
ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم
على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان
سببا فيه الا ساعة من النهار يستقصرون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون
بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع
التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت
اما الاولى فحال من هم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان تتعلق بالظرف واما
ان تكون مبينة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر
على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم
وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه
معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه
قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة
فان قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد
مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن ابي عبلة ثم بالفتح
اي هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم
والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد
ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين
النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم
الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم متى هذا الوعد
استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له لا املك لنفسي ضرا من مرض وفقر ولا نفعا من صحة
او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر
وجلب العذاب لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان
اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فاذا جاء آجالهم بياتا
نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فان قلت هلا قيل ليلا ونهارا قلت لانه اريد ان ياتيكم
عذابه وقت بيات فيبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات
بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه في وقت انتم فيه مشتغلون بطلب
المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب والمعنى
ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال
ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجوز ان يكون من للبيان
في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فان قلت بم تعلق الاستفهام واين جواب الشرط قلت
تعلق بارأيتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على
الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه فان قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت اريدت الدلالة

في القبور

على موجب تركه الاستعجال وهو الاجرام اذ ليس من حق المجرم ان يخاف المعذب على اجرامه ويهلك فزعا من
مجيئه وان ابطا فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط كقولك ان اتيتك
ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم وان يكون اثم اذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل
منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول
حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله افامن اهل القرى او امن اهل القرى الآن
على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون
يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ آلان بحذف
الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلآن ۝
ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون احق هو وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرا
الاعمش آلحق هو وهو ادخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان اللام للجنس
كانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود واي بمعنى
نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق
ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم
لا محالة ولو ان لكل نفس ظلمت صفة لنفس ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها
واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها من قولهم فداه فافتدى ويقال
افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم
يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا
ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه
من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسروا الندامة اخفاها رؤساؤهم
من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها لان اخفاءها
اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل
اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشيء اذا اظهره وليس هناك تجلد وقضي بينهم اي بين
الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب
المعاقب وما وعد من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما
غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون قد جاءتكم
موعظة اي قد جاءكم كتاب جامع هذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وهو شفاء اي دواء
لما في الصدور من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق ورحمة لمن آمن به منكم واصل الكلام بفضل الله
وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة
بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء لاجل معنى
الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل
الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته
فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما روي وعنه لتاخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة ابي فافرحوا
فافرحوا راجع الى ذلك وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه
ارايتم اخبروني وما انزل الله ما في موضع النصب بانزل او بارايتم في معنى اخبروني فجعلتم
منه حراما وحلالا اي انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله
هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا آلله اذن لكم
متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني آلله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون
ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون الهمزة للانكار وام منقطعة
بمعنى بل افتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسال عنه
من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شيء جائز او غير جائز الا بعد ايقان واتقان
ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله يوم القيامة منصوب بالظن وهو ظن واقع
فيه يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو
وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرا عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه واي ظن ظنوا يوم القيامة
وجيء به على لفظ الماضي لانه كائن فكان قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم
بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما
هدوا اليه وما تكون في شان ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشان الامر واصله
الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في منه للشان لان تلاوة القرآن
شان من شان رسول الله بل هو معظم شانه او للتنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لان
كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل ولا تعملون من عمل انتم جميعا
اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون من افاض في الامر
اذا اندفع فيه وما يعزب وقرئ بالكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما
براسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال
لان قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكل فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله
في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض قلت حق السماء ان تقدم على
الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب
عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية اولياء الله الذين
يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم
اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس
رضي الله عنه الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم
من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم

ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا
حزن الناس ثم قرا هذه الآية الذين آمنوا نصب او رفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره
لهم البشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل محبة
الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل
لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة
قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة
اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما
يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقوال الله ولا اخلاف لمواعيده كقوله
ما يبدل القول لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك
وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال
امرك وسائر ما يتكلمون به في شانك ان العزة استئناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل
ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في ملكة الله لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم
فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرا ابو حيوة ان العزة بالفتح
بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكر من القراءة
به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك من في
السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا
كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون
شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا او شريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك
او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبع
شركاء اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال
ان يتبعون الا الظن ظنهم انها شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا
ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول
بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان تكون
ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم
وقرا علي بن ابي طالب رضوان الله عليه تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي
شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون
فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ثم صرف الكلام عن الخطاب الى
الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم
قدرته ونعمته الشاملة لعباده الذي يستحق بها ان يوحد في العبادة بانه جعل لكم الليل مظلما
لتسكنوا فيه مما تقاسون في نهاركم من تعب التردد في المعاش والنهار مبصرا يبصرون فيه مطالب
ارزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع مدكر معتبر سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم
الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لانه انما يطلب الولد من يلد وما يطلبه به الا للتسبب في نحله الحاجة فمن
الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن
اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله
ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما
تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل
على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم يفترون على الله الكذب باضافة الولد
اليه متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر
ومنافسة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده كبر عليكم عظم
عليكم وشق وثقل ومنه قوله تبارك وتعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر
مقامي مكاني يعني نفسه كما يقال فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف
مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مدة طويلة الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري
لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى
عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع
الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال ۝ هل اغدون يوما وامري مجمع ۝ اي مجتمع والواو بمعنى
مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرا الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير
تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا
من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم
وادعوا شركاءكم فان قلت كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله
قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي
لا يكون عليهم غمة قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من
اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما
وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان
يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني
لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة
والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام
ولا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم
ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا
الي قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما
يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم
وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به الي وابرزوه لي فان توليتم فان اعرضتم
عن تذكيري ونصيحتي فما سالتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من
طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة
اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون

على تعليمهما الدين شيئاً ولا يطلبون به دنيا يريدان ذلك بمقتضى الإسلام والذي كل مسلم مأمور به والمراد
أن يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر أن توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الأمر معهم على
الطريق الذي يجب أن يساق عليه وإنما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير **فكذبوه** فتموا على تكذيبه
وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في أولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان
وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق **فانظر كيف كان عاقبة المنذرين** تعظيم لما جرى عليهم
وتحذير لمن أنذرهم رسول الله عن مثله وتسلية له **ثم بعثنا من بعده** من بعد نوح **رسلاً إلى قومهم** يعني هوداً
وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً صلوات الله عليهم **فجاؤوهم بالبينات** بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم
فما كانوا ليؤمنوا فما كان إيمانهم إلا ممتنعاً كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه
بما كذبوا به من قبل يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين
حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد **كذلك نطبع** مثل ذلك الطبع المحكم نطبع
على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لأن الخذلان يتبعه ألا ترى
كيف أسند إليهم الاعتداء ووصفهم به **ثم بعثنا من بعدهم** من بعد الرسل **بآياتنا** بالآيات التسع **فاستكبروا**
عن قبولها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها **وكانوا قوماً
مجرمين** كفاراً ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤوا على ردها **فلما جاءهم الحق من عندنا**
فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله لا من قبل موسى وهرون **قالوا** لحبهم الشهوات **إن هذا لسحر مبين**
وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس إلا تمويهاً وباطلاً فإن قلت هم قطعوا بقولهم
إن هذا لسحر مبين على أنه سحر فكيف قيل لهم **أتقولون أسحر هذا** قلت فيه أوجه أن يكون معنى قوله
أتقولون للحق أتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف
القالة وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم
ثم قال أسحر هذا فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وأن يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم
إن هذا لسحر مبين كأنه قيل أتقولون ما تقولون يعني قولهم إن هذا لسحر مبين ثم قيل أسحر هذا وأن يكون
جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح
ولا يفلح الساحرون كما قال موسى عليه السلام للسحرة ما جئتم به السحر إن الله سيبطله **لتلفتنا** لتصرفنا
واللفت والفتل أخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال **عما وجدنا عليه آباءنا** يعنون عبادة
الأصنام **وتكون لكما الكبرياء** أي الملك لأن الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار
ووصف بالصيد والشوس ولذلك وصف ابن الرقيات مصعباً في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه
جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز أن يقصدوا ذمهما وأنهما إن ملكا
أرض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض **وما نحن لكما بمؤمنين**
أي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ يطبع ويكون لكما الكبرياء بالياء **ما جئتم به السحر** ما موصولة واقعة
مبتدأ والسحر خبر أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحراً من آيات الله وقرئ **آلسحر**
على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية أي أي شيء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر
وقرأ أبي ما أتيتم به سحر والمعنى لا ما أتيت به **إن الله سيبطله** سيمحقه أو يظهر بطلانه بإظهاره
المعجزة على الشعوذة **إن الله لا يصلح عمل المفسدين** لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار **ويحق الله الحق**
ويثبته **بكلماته** بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بأمره ومشيئته **فما آمن لموسى** في أول أمره **إلا ذرية
من قومه** إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل كأنه قيل إلا أولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء
فلم يجيبوه خوفاً من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية
مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فإن قلت إلام يرجع الضمير
في قوله **وملئهم** قلت إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون
له ويجوز أن يرجع إلى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون
أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم ويدل عليه قوله **أن يفتنهم** يريد أن يعذبهم **وإن فرعون
لعال في الأرض** لغالب فيها قاهر **وإنه لمن المسرفين** في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه
الربوبية **إن كنتم آمنتم بالله** صدقتم به وبآياته **فعليه توكلوا** فإليه أسندوا أمركم في العصمة
من فرعون ثم شرط في التوكل الإسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ
للشيطان فيها لأن التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام إن ضربك زيد فاضربه إن كانت بك قوة
فقالوا على الله توكلنا إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين لا جرم أن الله سبحانه قبل توكلهم
وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل
على ربه والتفويض إليه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص **لا تجعلنا فتنة** موضع فتنة لهم أي عذاب
يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا أو فتنة لهم يفتتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا
تبوءا اتخذا مباءة كقولك توطنه إذا اتخذه وطناً والمعنى اجعلا مصر بيوتاً من بيوته
مباءة لقومكما ومرجعاً يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه **واجعلوا بيوتكم قبلة** أي مساجد متوجهة
نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في أول الأمر مأمورين بأن
يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون
على ذلك في أول الإسلام بمكة فإن قلت كيف نوع الخطاب فثنى أولاً ثم جمع ثم وحد آخراً قلت
خوطب موسى وهرون عليهما السلام أن يتبوءا لقومهما بيوتاً ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض
إلى الأنبياء ثم سيق الخطاب عاماً لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأن ذلك واجب على الجمهور
ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي هي الغرض تعظيماً لها وللمبشر بها **زينة** ما يتزين
به من لباس وحلي وفرش وأثاث وغير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض
الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فإن قلت ما معنى قوله **ربنا ليضلوا
عن سبيلك** قلت هو دعاء بلفظ الأمر كقوله **ربنا اطمس على أموالهم واشدد** وذلك أنه لما عرض عليهم
آيات الله وبيناته عرضاً مكرراً ورد عليهم النصائح والمواعظ زماناً طويلاً وحذرهم
من عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على
عرض الآيات إلا كفراً وعلى الإنذار إلا استكباراً وعن النصيحة إلا نبواً ولم يبق له مطمع فيهم وعلم
بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال وأن إيمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة
أو علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وأفرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم
أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله إبليس وأخزى الله الكفرة مع علمك أنه لا يكون غيره وليشهد

عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة وأنهم لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه
كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالاً وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي
منهم هم أحق بذلك وأحق كما يقول الأب المشفق لولده الشاطر إذا ما لم يقبل منه كثرة ما
فأنه من قبول نصيحته وجرة عليه لا أبرئ خلاعته واتباعه هواه **واشدد على قلوبهم**
الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان **فلا يؤمنوا** جواب للدعاء الذي هو اشدد أو دعاء بلفظ النهي
وقد حملت اللام في **ليضلوا** على التعليل على أنهم جعلوا نعمة الله سبباً في الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا
وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله **ربنا اطمس على أموالهم واشدد على** … دعاء معترض بين المعطوف
والمعطوف عليه وقرأ الفضل الرقاشي أئنك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم **قد أجيبت دعوتكما**
قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز أن يكونا جميعاً يدعوان والمعنى أن دعاءكما مستجاب
وما طلبتما كائن ولكن في وقته **فاستقيما** فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في إلزام الحجة فقد
لبث نوح في قومه ألف عام إلا قليلاً ولا تستعجلا قالوا إن فرعون مكث بعد الدعاء أربعين سنة **ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون** أي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الأمور بالمصالح ولا تعجلا فإن
العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام إني أعظك أن تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان
بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيهاً بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وقرأ الحسن
و**جوزنا** من أجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الأعشى وإذا تجوزها حبال قبيلة
لأنه لو كان منه لكان حقه أن يقال وجوزنا بني إسرائيل في البحر كما قال كما جوز السكي في الباب فيتق
فأتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته وقرأ الحسن رضي الله عنه **وعدواً** وقرئ **آمنت أنه** بالفتح على حذف
الباء التي هي صلة الإيمان وإنه بالكسر على الاستئناف بدلاً من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في
ثلاث عبارات حرصاً على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت
المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف **الآن** أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك
الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق حين أوشك أن يغرق وقيل قاله بعدما
غرق في نفسه والذي يحكى أنه حين قال آمنت أخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر
في وقت قد علم أن إيمانه لا ينفعه وأما ما يضم إليه من قولهم خشية أن تدركه رحمة الله فمن باب الزيادات
الباهتة لله وملائكته وفيه جهالتان إحداهما أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس فحال البحر لا يمنعه
والأخرى أن من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر لأن الرضى بالكفر كفر **من المفسدين**
من الضالين المضلين عن الإيمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا
يفسدون وروي أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته
وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد
الخارج على سيده الكافر نعماه أن يغرق في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه **ننجيك**
بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الأرض وقرئ ننحيك بالحاء
نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك أنه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء إلى الساحل كأنه
ثور **ببدنك** في موضع الحال أي في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن أو ببدنك كاملاً سوياً لم
ينقص منه شيء ولم يتغير أو عرياناً لست إلا بدناً من غير لباس أو بدرعك قال عمرو بن معدي كرب
أعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة
رحمة الله عليه بأبدانك وهو على وجهين إما أن يكون مثل قولهم هوى بأجرامه يعني ببدنك كله
وافياً بأجزائه أو يريد بدروعك كأنه كان مظاهراً بينها **لتكون لمن خلفك آية** لمن وراءك من الناس علامة
وهم بنو إسرائيل وكان في نفوسهم أن فرعون أعظم شأناً من أن يغرق وروي أنهم قالوا ما مات فرعون ولا
يموت أبداً وقيل أخبر موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله على الساحل حتى رأوه
وكأن مطرحه كان على ممر من بني إسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون
ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته ومهانته وأن ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال
وأنه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل أمره إلى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره
أو لتكون عبرة يعتبر بها الأمم بعدك فلا يجترؤوا على نحو ما اجترأت عليه إذا سمعوا بحالك وبهوانك
على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف أي لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز أن يراد ليكون طرحك
على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس أمرك ولئلا يقولوا لادعائك
العظمة إن مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا أن ذلك تعمد
منه تعالى لإماطة الشبهة في أمرك **مبوأ صدق** منزلاً صالحاً مرضياً وهو مصر والشام **فما اختلفوا**
في دينهم وما تشعبوا فيه شعباً إلا من بعد ما قرؤوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات
عليه واتحاد الكلمة وعلموا أن الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم
واختلاف بني إسرائيل وهم أهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وأنه هو أم ليس به بعدما **جاءهم العلم**
والبيان أنه هو بعينه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فإن قلت
كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك** مع قوله في الكفرة
وإنهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وإنهم لفي شك منه مريب بإثبات الشك لهم على
سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فإن كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كأنه قيل فإن وقع لك شك
مثلاً وخيل لك الشيطان خيالاً منه تقديراً **فاسأل الذين يقرؤون الكتاب** والمعنى أن الله عز وجل
قدم ذكر بني إسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله مكتوب عندهم
في التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة
محمد عليه السلام ويبالغ في ذلك فقال فإن وقع لك شك فرضاً وتقديراً وسبيل من خالجته شبهة في
الدين أن يسارع إلى حلها وإماطتها إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته وإما بمقادحة العلماء المنبهين
على الحق فسل علماء أهل الكتاب يعني أنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك وقبلها علماً بحيث يصلحون
لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلاً عن غيرك فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه ثم قال **لقد جاءك
الحق من ربك** أي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة أن ما أتاك هو الحق الذي لا مدخل
فيه للمرية **فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله** أي فاثبت ودم على ما أنت عليه من
انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز أن يكون على طريقة التهييج والإلهاب كقوله فلا
تكونن ظهيراً للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ولزيادة التثبيت والعصمة

ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل احدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك يعني لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم بمعاينة احياء الموتى وقرئ فاسأل الذين يقرءون الكتب حقت عليهم كلمة ربك ثبتت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرئ ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى لأن المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل هكذا روي عن الجرمي والكسائي وروي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله افانت تكره الناس يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشأن في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم انها تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم انها لا تؤمن بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ ونجعل بالنون قل انظروا ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله تعالى فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما انا عليه أأثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وأن وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر فان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذن جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم ثم اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني قلت كأنه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده والمراد

بالمشية مشية المصلحة قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بحفيظ موكول الى امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم حتى يحكم الله لك بالنصر عليهم والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معاوية فماذا قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

الا ابلغ معاوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامي
بانا صابرون فمنظروكم الى يوم التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

احكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت آياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور الا تعبدوا مفعول له على معنى لئلا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله تبارك وتعالى بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كأنه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هو صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان آمنتم فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حياة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا عذاب يوم كبير وهو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ فان تولوا من ولي يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضمار الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث وكان يعجب رسول الله مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس ليثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فان قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فسبحانه ما اعظم ذلك ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهو ان جعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا

ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن
محارم الله واسرع في طاعة الله وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت بفتح الهمزة ووجهه
ان يكون من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما وانك تشتري بمعنى علك اي ولئن قلت لهم
لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين
ابتوا القول ببطلانه ويجوز ان تضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان البعث
امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او اشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق
بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون
الرسول صلى الله عليه وسلم والساحر كاذب مبطل العذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن
ابن عباس قتل جبريل عليه السلام المستهزئين الى امة الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من
النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء ويوم يأتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من
يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على
جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط
بهم ما كانوا به يستهزئون العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزئون موضع يستعجلون
لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره الانسان
للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليؤوس شديد اليأس من
ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم
لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نسّاء له ذهب السيئات
عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله
الفرح والفخر عن الشكر الا الذين آمنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم
نعمة ان يصبروا كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت
آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا
لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات وكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم
واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه
اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل
عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال
انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او
تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه
وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم
واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة
والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض
القراءات وقول السمهري العكلي بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها ام
منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في
الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على
سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما
قالوا افترى القرآن واختلقه من عند نفسه وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان
وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فأتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق
من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون
ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان
وان كان مفترى فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل
قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا
يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه
وسلم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير
في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم
بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه
الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا هو
وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد
هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم
عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم
مخلصون نوف اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون
فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك
ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل
وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في
الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف اليهم بالياء على ان الفعل لله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم على البناء
للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم
وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا
به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان
عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن
عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل كانوا
يعملون وان تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة معناه
امن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين
الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة
من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان

شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا
ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن
كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه
ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن
وسكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة اماما كتابا مؤتما
به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل عليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به
يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله
فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية بالضم وهما الشك منه من القرآن او من الموعد ولكن
يعرضون يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم وتشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون
على الله بانه اتخذ ولدا او شريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فاخزناه وافضحناه والاشهاد
جمع شاهد او شهيد كاصحاب او اشراف ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون
اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا
معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم
من دون الله من اولياء فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم وهو
من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم
لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا
عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع
ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء
من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد خسروا
انفسهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم
خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة
وشفاعتها لا جرم فسر في مكان آخر هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم واخبتوا الى ربهم
واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم
للشيء الدني الخبيت قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت وقيل التاء فيه بدل
من الثاء شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق
وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان
يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو في والاصم
وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان
الفريقان مثلا تشبيها اي انا ارسلنا نوحا بانه لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله
اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به حرف الجر فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك
ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا
الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اليم وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي
لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة
هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده الملا الاشراف من قولهم فلان ملي بكذا اذا
كان مطيقا له وقد ملؤوا بالامر لانهم ملؤوا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم
يتمالؤون اي يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم
ملاء بالاحلام والآراء الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد
ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملا وموازيهم في المنزلة فما جعلك احق
منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل
جمع الارذل كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرئ بادي الرأي بالهمز وغير الهمز بمعنى
اتبعوك اول الرأي او ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث
ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شيء عن لهم بديهة
من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما
كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر
المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زال عنهم ان التقدم
في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتأهيل
لها على ان الانبياء بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من
اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله من فضل من
زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه ارأيتم اخبروني ان كنت على
بينة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بايتاء
البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فان قلت
فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا قلت
الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ
فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان قلت فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة
كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى عميت عليكم البينة
فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فان قلت فما معنى قراءة ابي قلت
المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه
قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم
تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعول متصلين جميعا ويجوز ان
يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن ابي عمرو
اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند
الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر والضمير
في قوله لا اسألكم عليه راجع الى قوله اني لكم نذير مبين الا تعبدوا الا الله وقرئ وما انا بطارد
الذين آمنوا بالتنوين على الاصل فان قلت ما معنى قوله انهم ملاقو ربهم قلت معناه انهم يلاقون

الله فيعاقب من طردهم او بلا قوة فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف
غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي من غير نظر وتفكر وما علي ان
اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الاية او هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة تجهلون تتسافهون على
المومنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم
من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم وكانوا يسالونه ان يطردهم ليومنوا به
انفة من ان يكونوا معهم على سواء اعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله
ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي
بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء او حتى اطلع على
ما في نفوس اتباعي وضمائر قلوبهم ولا اقول انا ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا احكم على من استرذلتم
من المومنين لفقرهم ان الله لن يوتيهم خيرا في الدنيا والاخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا
على هواكم اني اذا لمن الظالمين ان فعلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه
وازرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا فاكثرت معناه اردت جدالنا وشرعت
فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل انما ياتيكم به الله اي
ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه ان شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم
وقال ابن عباس رضي الله عنه فاكثرت جدالنا فاكثرت ... قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله
ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل
بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني فان قلت فما معنى قوله
ان كان الله يريد ان يغويكم قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجئه
سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية
وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه انكم كنتم من التصميم
على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه كيف ينفعكم نصحي فعلي اجرامي
واجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحو جرم واجرام قفل واقفال
ونصر الجمع ان فسره الاولون باثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي
وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتالبوا علي وانا بريء منه يعني ولم يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى
مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم لن يومن اقناط من
ايمانهم وانه كالمحال الذي لا يتعلق به التوقع الا من قد امن الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه
وقد للتوقع وقد اصابت محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال
ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك
وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم باعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها
محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا تكلؤه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان
لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله
عنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين
ظلموا ولا تدعني في شان قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم
بالاغراق فقد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله تعالى يا ابراهيم اعرض
عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه
ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزة الماء فيه عزة شديدة
فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فانا نسخر منكم يعني في المستقبل
كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا
والحرق في الاخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط
الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم واستجهالنا لكم اكثر لانكم لا
تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي
ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها
في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما
يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد ادم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن
رضي الله عنه كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام
لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك
التراب فقال اتدرون من هذا فقالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب
بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا
هلكت قال لا مت وانا شاب ولكنني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح
قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب
والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا من ياتيه في
محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي ياتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب
عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك
له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الاخرة حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط
والجزاء فان قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء
وقت الموعد فان قلت فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما قلت اما ان يجعل حالا واجوابا وقال
استينافا على تقدير سوال سائل او تجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملا وقال جوابا واهلك عطف على
اثنين وكذلك ومن امن يعني واحمل اهلك والمومنين من غيرهم واستثنى من اهله من
سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا
لتقديره عليه وارادته تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامراته الا قليل روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساوهم وعن محمد بن اسحاق كانوا
عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام
ويافث ونساوهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء ويجوز ان يكون كلاما واحدا

وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل باسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله
او قائلين باسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران
كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان
يراد مكانا الاجراء والارساء وانتصابهما بما في باسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول
والكلامان ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدا وخبر مقتضبة اي باسم الله اجراؤها
وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم
الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها
اي بقدرته وامره فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا
عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل
ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله وجاؤوا بانه على علينا فاضحى اليوم والكرى صاحي
فلا تكون كلاما براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل
اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا
مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت
بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون باسم الله وهي تجري بهم وهم فيها
في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت
الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض
وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل
التطبيق وقيل ان يعم الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوي الى جبل يعصمني من الماء قيل كان
اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرا علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامراته وقرا محمد بن علي وعروة بن
الزبير رضي الله عنهما ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن
رضي الله عنه قال قتادة سالته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي
وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب
واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام
وقرئ السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه في معزل مفعل من عزله
عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المومنين وقيل كان
في معزل عن دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من
الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدها
ساكنة الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي
الا مكان من رحم الله من المومنين كان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما
جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو
مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله
ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم
كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول نداء الارض والسماء بما
ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو
قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يومر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي
من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها
ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلاله وثوابه وعقابه وقدرته
على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون
الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المامور به مفعولا
لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى
وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت
واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا
ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء اخباره
على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل
فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى
ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي
السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح
علماء البيان هذه الاية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك
وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب
وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين
ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت
سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا
شكرا لله تعالى ونادى نوح ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله
فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف فقال رب على نادى بالفاء قلت اريد
بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابني
من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق
وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال
ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل
ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين
فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من
الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان
قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في النسب وان
كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك
رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار

وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل
فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك
انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه
ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح
اي عمل عملا غير صالح وقرئ **فلا تسألن** بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة وبيا وبغير يا يعني فلا
تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على ان
النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمى نداءه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد
تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده
الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من
افعال **الجاهلين** فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على
الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد
فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا قلت ان الله عز وعلا قدم
له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب
للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في
انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه **انى اعوذ بك** من
ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك **والا تغفر لي** ما فرط مني
من ذلك **وترحمني** بالتوبة علي **اكن من الخاسرين** اعمالا وقرئ **يا نوح اهبط** بضم الباء **بسلام منا**
مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما **وبركات عليك** ومباركا عليك والبركات الخيرات
النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد **وعلى امم ممن معك** يحتمل ان تكون من للبيان فتراد الامم
الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون
لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله **وامم** رفع
بالابتداء **وسنمتعهم** صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن
معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤون ممن معك وممن معك
امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان
منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن
ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله
عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة
قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام **تلك** اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها
الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض **انباء الغيب** موحاة **اليك**
مجهولة عندك وعند قومك **من قبل هذا** من قبل ايحائي اليك واخبارك بها او من قبل هذا
العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت **فاصبر** على تبليغ الرسالة واذى قومك كما
صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه **ان العاقبة** في الفوز والنصر
والغلبة **للمتقين** وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور
عددهم اذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا
عبد الله ولا اهل بلده **اخاهم** واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان
غيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ **ان انتم الا مفترون**
تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول
لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحصها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم
تنجع ولم تنفع **افلا تعقلون** اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب
الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك قيل **استغفروا ربكم** آمنوا به **ثم توبوا اليه** من عبادة
غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان **والمدرار** الكثير الدرور كالمغزار وانما قصد
استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب
زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين
بما اوتوا من هذه القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية
وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت ارحام
نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل
ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار
حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته
مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود **ويزدكم قوة الى قوتكم**
وقول نوح ويمددكم باموال وبنين **ولا تتولوا** ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وانتم **مجرمين**
مصرين على اجرامكم وآثامكم **ما جئتنا ببينة** كذب منهم وجحود كما قالت قريش
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر **عن قولك** حال من
الضمير في تاركي آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك **وما نحن لك بمؤمنين** وما يصح
من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة **اعتراك** مفعول نقول
والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك **بعض آلهتنا بسوء** اي خبلك ومسك بجنون
لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم
بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار
خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام
يسمون التائب من ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم يجدهم معه على غير ما كانوا عليه في ايام
جاهليته من المواددة وما ذاك الا لغرق من الالحاد الى الاذقان يتبصص ومن لم يرد له الاذان
يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت
ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا
في حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الآيات
ان واجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته
بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا

الي ولا تنظرون **اكد** براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة
الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على ان لا
افعله فان قلت هلا قيل **اني اشهد الله** واشهدكم قلت لان اشهاد الله على البراءة من الشرك
اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة
على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما
يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله **مما تشركون من دونه**
من اشراككم آلهة من دونه او مما تشركونه من آلهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو
شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا **فكيدوني جميعا** انتم وآلهتكم اعجل ما تفعلون من غير انظار فاني لا
ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم
وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب
بعقلي ولما ذكر توكله **على الله** عز وجل وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب
التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل **دابة** في قبضته وملكته وتحت قهره
وسلطانه **والاخذ بناصيتها** تمثيل لذلك **ان ربي على صراط مستقيم** يريد انه على طريق الحق والعدل
في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به **فان تولوا** فان قلت الابلاغ كان قبل
التولي فكيف وقع جزاء الشرط قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم
محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول **ويستخلف**
كلام مستأنف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم **ولا تضرونه**
بتوليكم **شيئا** من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله
ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف
قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم **على كل شيء حفيظ** اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم
ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار
لم يضر مثلكم **والذين آمنوا معه** قيل كانوا اربعة آلاف فان قلت ما معنى تكرير التنجية
قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت
تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج
من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه
واشد وقوله **برحمة منا** يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له **وتلك عاد** اشارة
الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف احوالهم فقال
جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين
احد من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده **كل جبار عنيد** يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم
الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة
لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله **الا** وتكرار الا مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل
لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت **بعدا** دعاء بالهلاك فما
معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستأهلين له الا ترى الى قوله
اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا فان قلت **قوم هود** عطف بيان لعاد فما الفائدة في
هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم امرا
محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى
ارم **هو انشأكم من الارض** لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم
من التراب **واستعمركم** فيها وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان
ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم
من عسف الرعايا فسأل نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش
فيها عبادي وعن معاوية انه اخذ في احياء الارض في آخر عمره فقيل له فقال ما حملني عليه
الا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الارض آثار وقيل استعمركم من العمر
نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر
كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء
اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده
فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره **قريب** داني الرحمة سهل المطلب **مجيب**
لمن دعاه وسأله **فينا** فيما بيننا **مرجوا** كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك
لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا
عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس رضي الله عنه فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو
ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه **يعبد آباؤنا** حكاية حال ماضية **مريب** من اراب الرجل اذا
اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين ومن اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على
الاسناد المجازي قيل **ان كنت على بينة من ربي** حرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه
للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت
ربي في اوامره فمن ينصرني من عذاب الله **فما تزيدونني غير تخسير** يعني تخسرون اعمالي
وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران
واقول لكم انكم خاسرون **آية** نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل
فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما
تقدمت انتصبت على الحال **عذاب قريب** عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة
ايام ثم يقع عليكم **تمتعوا** استمتعوا بالعيش **في داركم** في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار
فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من
عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت **غير مكذوب** غير
مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من
قوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفي به فقد صدق ولم
يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة
بمعنى الصدق **ومن خزي يومئذ** قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله

ما وجه عطف المسبب على المقتضى • فان قلت علام عطف قلت على نجينا لانه بتقدير ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذلته ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الاخرة وقرئ الا ان ثمودا ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس جاء جبريل ومن كان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر بالبشرى وهي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك سلاما سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت • كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح • فما لبث ان جاء فما لبث في المجي به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه بعجل ولد البقر ويسمى الحسيل والخشف بلغة اهل السراة وكان مال ابراهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرتك ولكن منكر ومستنكر وانكرتك وقال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت • من الحوادث الا الشيب والصلعا • قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا واوجس فاضمر وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله عز وجل او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامراته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه وامراته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرئ فضحكت بفتح الحاء يعقوب رفع بالابتدا كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود اي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب • الالف في يا ويلتا مبدلة من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرئ بالياء على الاصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدأ وشيخ خبر او يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ولابراهيم عليه السلام مائة وعشرون ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الايات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت اراد وان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب في امر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستانف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدا فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل في يجادلنا هو جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكو اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس قال والله ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها اربعة الاف الف انسان ان ابراهيم لحليم غير عجول على كل من اساء اليه اواه كثير التاوه من الذنوب منيب تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت له الملائكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء امر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب وعصبصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده يهرعون يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك

غاية الكرم واراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرا ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرا اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله تعالى هذا بعلي شيخا او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء مبتدا وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزوني ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فانه اذا اخزي ضيف الرجل او جاره فقد اخزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة اليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة وانك لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اطيقه ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او اوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين وروي انه اغلق بابه دون اضيافه وجعل يراددهم ما حكى الله تعالى عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله عز وجل فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره فاسر قرئ بالقطع والوصل الا امراتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين فان قلت ما وجه قراءة من قرا الا امراتك بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله رضي الله عنه فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرا بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة من طين وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما تعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من الظالمين ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم بعيد بمعنى بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه اني اراكم بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن ال فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو فان قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسن لانه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير • وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم • وروي بخس درهم • وكانوا ياخذون من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام

عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون
معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فائدتها مع الايمان من حصول
الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك
استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شأنه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم
وانصح به اياكم ويجوز ان يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات
خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام
فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله
بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت
لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت
حين انذرت كان شعيب عليه الصلوة والسلام كثير الصلوات وكان قومه اذا رأوه يصلي
تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلوتك تأمرك السخرية والهزء والصلوة وان جاز ان
تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان
يقال ان الصلوة تأمر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام
مساق الطنز وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم بصلوته وارادوا ان هذا الذي تأمر به
من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يأمرك به
آمر فطنة فلم يبق الا ان يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلاتك التي تداوم
عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون وما يتولع به المجانين والموسوسون من
بعض الاقوال والافعال ومعنى تأمرك ان نترك تأمرك بتكليف ان نترك ما يعبد آباؤنا
حذف المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلوتك بالتوحيد وقرأ
ابن ابي عبلة او ان تفعل في اموالنا ما نشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك
التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم
والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا
ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل
معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما تأمر به لا يطابق حالك وما
شهرت به ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا
حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان قلت اين جواب ارأيتم وما له لم يثبت كما
اثبت في قصة نوح ولوط قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على
مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي
وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء
لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه
اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء
يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد
الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر
ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او
بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على
قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا له كقوله ضعيف النكاية اعداءه اي
ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي وما كوني موفقا لاصابة
الحق فيما آتي واذر ووقوعه موافقا لرضى الله الا بمعاونته وتأييده والمعنى انه استوفق
ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التأييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم
لاطماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا
وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ومنه قوله تعالى
لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته
ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل
اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا
فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان
المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على
السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالا وقرأ مجاهد والجحدري
وروي عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت
وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم
او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فان قلت ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه قلت
اما ان يراد وما اهلاكهم بشيء بعيد او وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان
يسوى في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي
هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ
المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا
لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا
يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه وقالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل
لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا يفهمون كثيرا منه
وكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا
فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن رضي الله عنه ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا
اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو
قيل انا لنراك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا
قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك لرجمناك
احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم

لرجمناك وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما
يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف
النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا
ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب
فان قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز
عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه
دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه
وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى
الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى امس امسي بما تعملون محيط
قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها على مكانتكم لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى المكان
يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى
اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين
لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه يجوز ان تكون من استفهامية
معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب
وان تكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو
كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل
ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستيناف الذي هو جواب لسؤال مقدر
كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصلت تارة
بالفاء وتارة بالاستيناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما
الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول
لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى
الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى
المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر
عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى
ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم صلوات الله
عليه وسلامه قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب
يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو
والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم
الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت
وكيت واما الاخريان فلم تقعا تلك الوقعة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف
الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم يعني ان
جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا كأن لم يغنوا كأن
لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى
الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت ثمود وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد
وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما
فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من
غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله
كما بعدت ثمود منها بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الآيات فيها سلطان
مبين لموسى عليه السلام على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وما امر
فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امر هو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة
من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من
شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على
طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف
وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان
المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من
ليس في امره رشد قط يقدم قومه اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار
وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله
يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما
يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة
الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم
العين فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي قلت لان الماضي
يدل على امر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورد
والمورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة
ثم قيل بئس الورد المورود الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد
الاكباد والنار ضده واتبعوا في هذه في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة
بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب
ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى ذلك مبتدأ من انباء القرى
نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها قائم وحصيد
للقرى اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد فان قلت ما محل
هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم
بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم آلهتهم فما قدرت ان ترد عنهم بأس الله يدعون يعبدون
وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب
اذا خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك
والنصب فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى وهي ظالمة حال من
القرى اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل

قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل كل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال ذلك إشارة إلى ما قص الله من قصص الأمم الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لأنه ينظر إلى ما أحل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو إلا أنموذج مما أعد لهم في الآخرة فإذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله عز وجل ونحوه إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله إذا قلت يجمع له الناس فإن قلت لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد إنك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وإن شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا أي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فإن قلت ما منعك أن تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون أن تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الأيام فإن جعلته مشهودا في نفسه فسائر الأيام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التمييز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز أن يكون مشهودا في نفسه لأن سائر أيام الأسبوع مثله يشهدها كل من شهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا لأن المسافر والمقيم كلاهما يشهد أن الشهر يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الأجل وبلغ الأجل آخره ويقولون حل الأجل إذا أرادوا آخر مدة التأجيل والعد إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره إلا لأجل معدود إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء وقرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا أدر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فإن قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وجل كقوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أو يأتي ربك وجاء ربك ويعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى أن تأتيهم الساعة فإن قلت بم انتصب الظرف قلت إما أن ينتصب بلا تكلم وإما بإضمار اذكر وإما بالانتهاء المحذوف في قوله إلا لأجل معدود أي ينتهي الأجل يوم يأتي فإن قلت فإذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لإتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت المراد إتيان هوله وشدائده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن فإن قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم فمنهم الضمير لأهل الموقف ولم يذكروا لأن ذلك معلوم ولأن قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له النار لإساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لإحسانه قراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا زفير وشهيق الزفير إخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ: بعيد مدى التطريب أول صوته ❊ زفير ويتلوه شهيق محشرج ما دامت السموات والأرض فيه وجهان أحدهما أن تراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وقوله وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم إما سماء يخلقها الله أو يظلهم العرش وكل ما أظلك فهو سماء والثاني أن يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد فإن قلت فما معنى الاستثناء في قوله إلا ما شاء ربك وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار في الأبد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم وإهانته إياهم وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه إلا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته إن ربك فعال لما يريد أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فإن القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة إن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وقد بلغني أن من الضلال من اعتقد هذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبها على أن نغفل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق أبوابها وأقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله تعالى لهم أجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحل بهم من نقمه وما أعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء أي فلا تشك

بعد ما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز أن تكون مصدرية وموصولة أي من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون من الأوثان ومثل ما يعبدون منها وإنا لموفوهم نصيبهم أي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم فإن قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن ولولا كلمة يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى أو قومك وهذه من جملة التسلية أيضا وإن كلا التنوين عوض من المضاف إليه يعني وإن كلهم وإن جميع المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وإن جميعهم والله ليوفينهم ربك أعمالهم من حسن وقبيح وإيمان وجحود وقرئ وإن كلا بالتخفيف على إعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لأصلها الذي هو التثقيل وقرأ أبي وإن كل لما ليوفينهم على أن إن نافية ولما بمعنى إلا وقراءة عبد الله مفسرة لها وإن كل إلا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم وإن كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله أكلا لما والمعنى وإن كلا ملمومين بمعنى مجموعين كأنه قيل وإن كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون فاستقم كما أمرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم وإنما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله إنه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود والواقعة وأخواتها وروي أن أصحابه قالوا له لقد أسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رأيت رسول الله في النوم فقلت له روي عنك أنك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم قال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما أمرت قال افتقر إلى الله بصحة العزم وقرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن أبي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة إلا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن أبي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من أركنه إذا أماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضى بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فإن الركون هو الميل اليسير وقوله إلى الذين ظلموا أي إلى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل إلى الظالمين وحكي أن الموفق صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ له في الدين عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو الله لك ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلما يصعدون فيك إلى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك وعن الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من أولياء حال من قوله فتمسكم النار أي فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من أولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لأنه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الإبقاء عليكم فإن قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لأن النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قربه وازدلف إليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه ونحوه وأطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم جمع ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما أن القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلاة أي أقم الصلاة طرفي النهار وأقم زلفا من الليل على معنى وأقم صلوات تتقرب بها إلى الله عز وجل في بعض الليل إن الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان أحدهما أن يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث إن الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني أن الحسنات يذهبن السيئات بأن يكن لطفا في تركها كقوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في أبي اليسر عمرو بن غزية الأنصاري كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبته فقال لها إن في البيت أجود من هذا التمر فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال أنتظر أمر ربي فلما صلى

صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروى انه اتى ابا بكر فاخبره فقال
استر على نفسك وتب الى الله واتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله فنزلت فقال عمر اهذا له
خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضا
وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده
ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة
للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك
بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه
فلا يتم منه شيء الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة
الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان
من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القران فمعناها هلا الا التي
في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء
ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولو بقية اولو فضل وخير وسمي
الفضل والجود بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل
ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة • ان تذنبوا ثم تاتيني بقيتكم •
ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى
التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولو بقية
بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولو مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم
ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من
القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا
للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الذين ظلموا فان قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا
على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد
الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرا قومك القران الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من
المحضضين على قراءة القران وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد الا قليلا من الناجين معنى
نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان
انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه
اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا همهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه
من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهنيء ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم
وقرا ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان
يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه
قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر فان قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا
قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن
انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه
واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فان قلت
فقوله وكانوا مجرمين قلت على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان
تابع الشهوات مغمور بالاثام موبق بالاجرام او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم
وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون كان بمعنى صح
واستقام واللام لتاكيد النفي بظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى
ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته تعالى عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من
الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق
فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا اخر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة يعني
لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم
امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق
ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا
فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على
دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني
ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره
ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة
والناس لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل
نبا نقص عليك ومن انباء الرسل بيان لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى
وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب
المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه
لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة او في هذه الانباء
المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا
على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون على مكانتنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم
ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات والارض لا تخفى عليه خافية مما يجري
فيهما فلا تخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم
فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما تعملون وقرئ يعملون بالياء اي
انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان
يوم القيامة من السعداء ان شاء الله

سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة
ايات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله
لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سالت
عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم
انتقل ال يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف انا انزلناه انا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة
يوسف في حال كونه قرانا عربيا وسمي بعض القران قرانا لان القران اسم جنس يقع على كله وبعضه
لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرانا اعجميا
لقالوا لولا فصلت اياته القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث
يقصه قصصا كقوله شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب
ونحوهما النبا والخبر في معنى المنبا به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق
والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القران
اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون
المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القران مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القران
بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القران بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص
انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب
التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القران وان اريد بالقصص المقصوص
فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت
والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم
الناس وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص قلت من قص اثره اذا اتبعه
لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القران اذا قراه لانه يتلو اي يتبع ما
حفظ منه اية بعد اية وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية
والضمير في من قبله راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك
من الغافلين عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال
يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص
فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان
عربيا لانصرف لخلوه عن سبب اخر سوى التعريف فان قلت فما تقول فيمن قرا يوسف
بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني
للفاعل او المفعول من اسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة
المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف
يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من انس
واونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن
الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت قرئ بالحركات الثلاث فان قلت ما
هذه التاء قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف فان
قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر
ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت فلم ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة قلت لان
التانيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في اخره فان قلت
فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء
تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى
التاء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب
وانما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير
فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض
منه لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي لا يجوز يا ابت قلت الياء والكسرة
قبلها شيئان والتاء عوض من احد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض
والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من
الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد
من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت
على مثل ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة لغو ووجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع
الياء اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه من قرا بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف
الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة
الياء المعوض منها في قولك يا ابي واما من ضم فقد راى اسماء في اخرها تاء تانيث فاجراها مجرى الاسماء المؤنثة
بالتاء فقال يا ابة كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة وقرئ اني رايت بتحريك
الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذلك
الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان ورايت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره
معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة
لكانت اية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء
الكواكب قلت روى جابر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
محمد اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه
السلام فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال
جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ
ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي
اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب
ان يوسف عليه السلام راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض
كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك
ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له
فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف
ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت

لتعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما
من الطوالع كما أخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز أن تكون الواو
بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر رأيتهم قلت ما معنى تكرار رأيت قلت ليس
بتكرار إنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند
قوله إني رأيت أحد عشر كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رأيتهم لي ساجدين فإن قلت
فلم أجريت مجرى العقلاء في رأيتهم لي ساجدين قلت لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود
أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم أن يلابس الشيء الشيء من بعض
الوجوه فيعطى حكما من أحكامه إظهارا لأثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب عليه السلام دلالة
الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين
كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الإخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان منها
في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رياك بقلب الهمزة
واوا وسمع الكسائي رياك ورياك بالإدغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لأن الواو في
تقدير الهمزة فلا يقوى إدغامها كما لم يقو الإدغام في قولهم اتزر من الإزار واتجر من الأجر
فيكيدوا منصوب بإضمار أن والمعنى إن قصصتها عليهم كادوك فإن قلت هلا قيل
فيكيدوك كما قيل فكيدون قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل
الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك
ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء ولقوله لأقعدن لهم
صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورطهم من حمله ولا يؤمن أن يحملهم
على مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا
العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن كذلك يجتبيك لأمور عظام وقوله ويعلمك
كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال
من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته من تأويل الأحاديث الرؤى لأن الرؤيا إما
حديث نفس أو ملك أو شيطان وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف عليه السلام أعبر الناس
للرؤيا وأصحهم عبارة لها ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث معاني كتب الله عز وجل وسنن الأنبياء وما
غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها
وسميت أحاديث لأنه يحدث بها عن الله ورسله فيقول قال الله وقال الرسول كذا وكذا ألا ترى
إلى قوله فبأي حديث بعده يؤمنون الله نزل أحسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة
ومعنى إتمام النعمة عليهم أنه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بأن جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكا
ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى في الجنة وقيل أتمها على إبراهيم بالخلة والإنجاء من النار ومن ذبح
الولد وعلى إسحاق بإنجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وبإخراج يعقوب والأسباط من صلبه وقيل علم يعقوب
أن يوسف يكون نبيا وإخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل
لما بلغت الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه وقيل
كان يعقوب عليه السلام مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل
وكان إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة إلى صدره ولا يصبر
عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قصها على أبيه على يعقوب عليه السلام قال هذا أمر مشتت يجمعه
الله لك بعد دهر طويل آل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على
أهيل إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام
ولكن أهلهما وأراد بالأبوين الجد وأبا الجد لأنهما في حكم الأب في الإضافة ومن ثم يقولون ابن
فلان وإن كان بينه وبين فلان عدة وإبراهيم وإسحاق عطف بيان لأبويك إن ربك عليم
يعلم من يحق له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته إلا على من يستحقها في يوسف وإخوته أي في قصتهم
وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سأل عن قصتهم وعرفها
وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة من غير
سماع من أحد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل إنما قص الله على النبي
عليه السلام خبر يوسف وبغي إخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به وقيل أسماؤهم
يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد وآشر
السبعة الأولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والأربعة الآخرون من سريتين زلفة
وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف ليوسف اللام لام
الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه
وأخوه هو بنيامين وإنما قالوا أخوه وهم جميعا إخوته لأن أمهما كانت واحدة وقيل أحب في
الاثنين لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث إذا كان معه من
ولا بد من الفرق مع لام التعريف وإذا أضيف جاز الأمران والواو في ونحن عصبة واو الحال
يعني أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة
رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما
إن أبانا لفي ضلال مبين أي في ذهابه عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا
وقيل إلى الأربعين سموا بذلك لأنهم جماعة تعصب بهم الأمور ويستكفون النوائب وروي
النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن
ابن الأنباري هذا كما تقول العرب إنما العامري عمته أي يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة
ما حكي بعد قوله إذ قالوا كأنهم أطبقوا على ذلك الأمر إلا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون
وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين أو اطرحوه أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران
وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الناس ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة
يخل لكم وجه أبيكم يقبل عليكم إقبالة واحدة ولا يلتفت عنكم إلى غيركم والمراد سلامة
محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم إياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم لأن
الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال تعالى ويبقى وجه ربك
وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو
التغريب ويرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا قوما صالحين تائبين إلى الله مما جنيتم عليه

هو م

١١٢

وتصلحوا ما بينكم وبين ربكم بعذر تمهدونه أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلو وجه
أبيكم ويكونوا إما مجزوم عطفا على يخل لكم وإما منصوب بإضمار أن والواو بمعنى مع كقوله
وتكتموا الحق قال قائل منهم هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن أبرح الأرض
لا تقتلوا يوسف فإن القتل عظيم وألقوه في غيابة الجب في قعره وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله
قال المنخل إذا أنا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والأهل أراد غيابة
حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدري غيبة والجب
البئر لم تطو لأن الأرض تجب جبا لا غير يلتقطه بعض السيارة بعض الأقوام الذين
يسيرون في الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لأن بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم
ومنه ذهبت بعض أصابعه إن كنتم فاعلين إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو
الرأي ما لك لا تأمنا وقرئ بإظهار النونين وبالإدغام بإشمام وبغير إشمام وتيمنا بكسر التاء مع
الإدغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما يدل
على خلاف النصيحة والمقة وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته
في حفظه منهم وفيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه يرتع نتسع في أكل الفواكه
ونحوها وأصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ يرتع من ارتعى يرتعي وقرئ نرتع ونلعب بالنون ويرتع
من أرتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء فإن قلت
كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا
أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله إنا ذهبنا نستبق وإنما سموه لعبا لأنه في
صورته ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله عز وجل إن ربك ليحكم بينهم ودخولها أحد ما ذكره
سيبويه من شبه المضارعة اعتذر إليهم بشيئين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه
لأنه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم
أو قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم أن الذئب قد شد على يوسف
وكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي أمثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذئب
بالهمز على الأصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح إذا أتت من كل جهة القسم محذوف
تقديره والله لئن أكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله إنا إذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ
عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم
من بينهم وحالهم أنهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الأمور وتكفى الخطوب إنهم إذا لقوم خاسرون أي هالكون
ضعفا وخورا وعجزا أو مستحقون أن يهلكوا لأنه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم أو مستحقون
لأن يدعى عليهم بالخسار والدمار وأن يقال خسرهم الله ودمرهم حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون
وقيل إن لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذا وخسرناها فإن قلت لما عبر إليهم
بعذرين فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الأمرين
فأعاروه آذانا صما ولم يعبأوا به أن يجعلوه مفعول أجمعوا من قولك أجمع الأمر وأزمعه فأجمعوا أمرهم
وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بأرض الأردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على
ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روي
أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد
منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا أبتاه لو تعلم ما يصنع بابنك
أولاد الإماء فقال يهوذا أما أعطيتموني موثقا ألا تقتلوه فلما أرادوا إلقاءه في الجب تعلق بثيابهم
فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا إخوتاه ردوا علي
قميصي أتوارى به وإنما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقالوا له ادع الشمس
والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء
فسقط فيه ثم آوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا
أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام وروي أن إبراهيم صلوات الله
عليه حين ألقي في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم
إلى إسحاق وإسحاق إلى يعقوب فجعله يعقوب عليه السلام في تميمة علقها في عنق يوسف فجاءه جبريل
عليه السلام فأخرجه وألبسه إياه وأوحينا إليه قيل أوحي إليه في الصغر كما أوحي إلى يحيى وعيسى
وقيل كان إذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بأمرهم هذا وإنما أوحي
إليه ليؤنس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول إليه أمره ومعناه لتتخلصن مما أنت فيه ولتحدثن
إخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك
عن أوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والأشكال وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتارين
فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرني هذا الجام أنه
كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في
غيابة الجب وقلتم لأبيكم أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز أن يتعلق وهم لا يشعرون بقوله
وأوحينا على أنا آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون أنه
مرهق مستوحش لا أنيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على أنه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون
متعلق بأوحينا لا غير عشاء وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيشيانا وأصيلانا وأصيلالا
ورواه ابن جني عشى بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي أن امرأة حاكمت إلى شريح
فبكت فقال له الشعبي يا أبا أمية أما تراها تبكي قال قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا
ينبغي لأحد أن يقضي إلا بما أمر أن يقضي به من السنة المرضية وروي أنه لما سمع صوتهم
فزع وقال ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم وأين يوسف قالوا يا أبانا
إنا ذهبنا نستبق أي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي
وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو أو في الرمي وجاء في التفسير ننتضل وما أنت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا
صادقين ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيئ الظن بنا
غير واثق بقولنا بدم كذب ذي كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه
كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به الجود وأنتم به البخل وروي
كذبا نصبا على الحال بمعنى جاؤوا به كاذبين ويجوز أن يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضي
الله عنها كدب بالدال غير المعجمة أي كدر وقيل طري وقال ابن جني أصله من الكدب

وهو الفوق الباض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم فذا اثر في قميصه وروي انهم
ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح
باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال
تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص
يوسف ثلث ايات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة
يوسف حين قد من دبر فان قلت **على قميصه** ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه
قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاءوا على جماله باحمال فان قلت هل يجوز ان يكون حالا
متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا تتقدم عليه **سولت** سهلت من السول وهو الاسترخاء اي
سهلت **لكم انفسكم** امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم استدل على فعلهم
به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحي اليه بانهم قصدوه **فصبر جميل**
خبر او مبتدا لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا
والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق
الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم
كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب عليه السلام على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما
هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني فقال يا رب خطيئة
فاغفرها لي **والله المستعان** اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء
فيه **وجاءت سيارة** رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف
في الجب فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة
وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف **فارسلوا** رجلا مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب
لهم الماء **واردهم** الذي يرد الماء ليستقي للقوم **قال يا بشراي** نادى البشرى كانه يقول تعالي
فهذا من اوانك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشريّ بالياء
مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل
السروات يقولون في دعائهم يا سيدي ومولي وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من
التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق
يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي **هذا غلام** وقيل ذهب به فلما دنا
من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به **واسروه** الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا
امره ووجدهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان
الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة
ان يقتلوه **بضاعة** نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة
اي قطع **والله عليم بما يعملون** لم يخف عليه اسرارهم او هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او
والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع **وشروه** وباعوه **بثمن بخس**
مبخوس ناقص عن القيمة نقصا ظاهرا او زيف ناقص العيار **دراهم** لا دنانير **معدودة** قليلة
تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها
وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة تمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما
وعن السدي اثنين وعشرين **وكانوا فيه من الزاهدين** ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن
لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينزعه
من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة
من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا ان يخطروا بما لهم فيه ويروى
ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة
لا تتقدم على الموصول الا ترى انك لو قلت وكانوا زيدا من الضاربين لم يجز وانما هو بيان كانه قيل
في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه **الذي اشتراه** من مصر هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان
على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات
في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز
وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلثين
سنة واتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل
كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين
ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا
فابتاعه قطفير بذلك المبلغ **اكرمي مثواه** اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا
بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه
طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من
رجل وامراة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في **لامراته**
متعلقة بقال لا باشتراه **عسى ان ينفعنا** لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر
به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير
عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف
فقال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمراة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو
بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي انه ساله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه **وكذلك**
الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف
مكنا ليوسف اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف
فيها بامره ونهيه **ولنعلمه من تاويل الاحاديث** كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما
تحمد عاقبته من علم وعمل **والله غالب على امره** اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما
يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره قد اراد اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما
اراد الله ودبره **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ان الامر كله بيد الله وقيل في **اشده** ثماني عشرة سنة
وعشرون وثلث وثلثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون **حكما** حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب
ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها **وعلما وكذلك نجزي المحسنين** تنبيه على انه كان محسنا

في عمله متقنا في عنفوان امره وان الله عز وجل اتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من
احسن عبادة ربه في شبيبته اتاه الله الحكمة في كهولته **وراودته** مفاعلة من راد يرود اذا جاء
وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان
يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها **وغلقت الابواب**
قيل كانت سبعة **هيت لك** هيت اسم فعل مثل الها وكرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير
وهيت كحيث وهيت بمعنى تهيات يقال هاء يهيء مثل جاء يجيء اذا تهيا وهيت لك واللام من صلة
الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك **قال معاذ الله** اعوذ بالله
معاذا **انه** ان الشان والحديث **ربي** سيدي ومالكي يريد قطفير **احسن مثواي** حين قال لك اكرمي مثواه
فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم **انه لا يفلح الظالمون** الذين يجازون الحسن
بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمو انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب **هم** بالامر
اذا قصده وعزم عليه قال هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك
لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه
الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله **ولقد همت به** معناه ولقد همت بمخالطته
وهم بها وهم بمخالطتها **لولا ان راى برهان ربه** جوابه محذوف تقديره لولا ان راى برهان
ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني
خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت
المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد
اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر
في **برهان** الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد
المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء
على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده **المخلصين** ويجوز ان يريد بقوله
وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته
كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه
قلت الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما براسه ان
يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا ان راى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين
الهمين فان قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه وهم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما
قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه
من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف بعضها اذا دل عليه
الدليل فجائز فان قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت
به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا
من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت
ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها وكان اعقاله
الفاء له فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين
توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان
راى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان يعلق بهم بها وحده
وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله
وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها
فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمعه ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له
يعقوب عليه السلام عاضا على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل
ولد يعقوب كان له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته
حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل
بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا ثم راى فيها واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل عليه السلام ادرك عبدي قبل ان يصيب
الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل
راى تمثال العزيز وقيل قامت المراة الى صنم كان هناك فسترته وقالت استحيي منه ان يرانا
فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من السميع البصير العليم بذات الصدور
وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل
والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى
زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على ادم صلوات الله عليه زلته وعلى داود
وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون عليهم السلام وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثني عليه
وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي
القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين
ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة
كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الاخرين كما جعله لجده الخليل ابراهيم عليه السلام وليقتدي
به الصالحون الى اخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله اولئك
في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزال الله السورة التي هي احسن القصص في القرآن العربي المبين
ليقتدي بنبي من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي ان
ينهاه ربه ثلث كرات ويصاح به من عنده ثلث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد
الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل
ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل عليه السلام وباجباره ولو ان اوقح الزناة
واشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي به مما ذكروا لما بقي له عرق
ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه **كذلك** الكاف منصوب
المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوع اي الامر مثل ذلك **لنصرف عنه السوء** من خيانة السيد
والفحشاء من الزنا **انه من عبادنا المخلصين** الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين اخلصهم الله

لطاعته باز عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك
وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية
ابراهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة **واستبقا الباب** وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال
الفعل كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب
ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج فان قلت كيف وحّد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب
قلت اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار فقد روي كعب انه لما هرب
يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب **وقدت قميصه من دبر** جذبته من
خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه **والفيا سيدها** وصادفا بعلها وهو
قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له
على الحقيقة قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة لما اطلع منها [illegible] وجها على
تلك الهيئة المريبة وهي مغاضبة [illegible] يوسف عليه السلام اذ لم [illegible] احتالت بحيلة جمعت فيها غرضها
وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها
ومن مكرها وكرها لما ايست من مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن **ما**
نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من
في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا قلت قصدت
العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن ويعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف
وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه
فقال **هي راودتني عن نفسي** ولولا ذلك لكتم عليها **وشهد شاهد من اهلها** قيل كان ابن عم لها
وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف عليه السلام
وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك
ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف
بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم
صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فان قلت لم سمي قوله شهادة
وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة
فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول او على ارادة
القول كانه قال وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت ان دل قد قميصه من دبر على انها
كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه
كان تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعة عن نفسها قدت قميصه
قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ **قد من قبل ومن دبر**
بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل
ومن جهة يقال لها دبر وعن ابي اسحق انه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما
الصرف للعلمية والتأنيث وقرئا بسكون العين فان قلت كيف جاز الجمع بين ان الذي هو
للاستقبال وبين كان قلت لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت
الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي امتن عليك **فلما رأى**
يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها **قال انه من كيدكن** ان قولك ما جزاء من اراد باهلك
سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف **ان كيدكن عظيم** الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد
النساء لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك رفق
وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن
ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان
لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم **يوسف** حذف منه
حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله **اعرض عن هذا** الامر
واكتمه ولا تحدث به **واستغفري** انت **لذنبك انك كنت من الخاطئين** من جملة القوم المتعمدين للذنب
يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان
العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة **وقال نسوة** وقال جماعة من النساء وكن خمسا
امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم
مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث وفيه لغتان
كسر النون وضمها **في المدينة** في مصر **امرأة العزيز** يريدون قطفير والعزيز الملك بلسان العرب
تراود فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي **قد شغفها** خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل
الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة
وقد حال هم دون ذلك والج • مكان الشغاف تبتغيه الاصابع • وقرئ شعفها بالعين من شعف
البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران قال • كما شعف المهنوءة الرجل الطالي • **حبا** نصب على التمييز
انا لنراها في ضلال مبين في خطأ وبعد عن طريق الصواب **فلما سمعت بمكرهن** باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة
العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتهن لها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي
الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها **ارسلت اليهن** دعتهن قيل دعت اربعين
امرأة منهن الخمس المذكورات **واعتدت لهن متكأ** ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة
وهي قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن
نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد
ان تقصد الجمع بين المكر به وبهن فتضع الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فيبكتهن بالحجة
وليهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه انهن
يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة
المترفين ولذلك نهي ان يأكل الرجل متكئا **واتت كل واحدة منهن سكينا** لتعالجن بها ما يأكلن وقيل المتكأ
طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له
تكأة يتكئ عليها قال جميل • فظللنا بنعمة واتكأنا • وشربنا الحلال من قلله • وعن مجاهد متكأ طعاما
يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير
همز وعن الحسن رضي الله عنه متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله

١١٥

منتزاح بمعنى منتزح ونحو منباع بمعنى ينبع وقرئ متكأ وهو الاترج وانشد
فاهدت متكة لبني ابيها • تخب بها العثمثمة الوقاح • وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها
الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد
وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه وقرئ
الاعرج متكا مفعلا من تكئ يتكأ اذا اتكأ **اكبرنه** عظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع
والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم
مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف
رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى
نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه
وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اذا
حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكان ابا الطيب
اخذ من هذا التفسير قوله • خف الله واستر ذا الجمال ببرقع • فان لحت حاضت في الخدور العواتق •
وقطعن ايديهن كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها **حاش لله** كلمة تفيد معنى
التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد قال • حاشا ابي ثوبان ان به • ضنا عن الملحاة والشتم
وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله
وهي قراءة ابن مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كانه قال براءة ثم قال
لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو حاش لله بحذف
الالف الاخيرة وقراءة الاعمش حشا لله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة اتبعت الالف في الاسقاط
وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الاله فان قلت فلم جاز في حاشا لله ان لا ينون بعد
اجرائه مجرى براءة لله قلت مراعاة لاصله الذي نقل عنه الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على
اصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع المضمر والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل
مثله واما قوله حاش لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله **ما هذا بشرا** نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة
حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا
اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما [illegible] كما ركز في الطباع ان لا ادخل
في الشر من الشياطين ولا اجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم
للحقائق وتجردهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب [illegible]
ابهام ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم [illegible]
قالت فذلكن الذي [illegible] تقول لهذا اشترى [illegible] والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف
[illegible]
[illegible] العبد الكنعاني [illegible]
[illegible]
[illegible] برهان ربه [illegible] فان قلت [illegible]
راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول [illegible] ما آمره [illegible]
[illegible] ترجع الى يوسف ومعناه لئن لم يفعل امري اياه [illegible] وقرئ وليكونا بالتشديد والتخفيف والتخفيف
اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة وقرئ السجن بالفتح على المصدر [illegible]
[illegible] **رب السجن احب الي** من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن [illegible]
اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه [illegible] قلت [illegible]
[illegible] **والا تصرف عني كيدهن** [illegible] الى الطاف الله [illegible]
[illegible] **اصب اليهن** [illegible] والصبوة الميل الى الهوى
[illegible] **من الجاهلين** [illegible]
[illegible] **فاستجاب له ربه** [illegible]
[illegible] **انه هو السميع** لدعوات الملتجئين اليه **العليم** باحوالهم وما يصلحهم
ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات [illegible]
[illegible] وهي الشواهد على براءته [illegible]
[illegible]
[illegible] **ليسجننه** وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب
[illegible] **حتى حين** [illegible]
[illegible] ابن مسعود [illegible]
[illegible] **ودخل معه** [illegible]
[illegible] **السجن فتيان** [illegible]
[illegible] يوسف [illegible] **انا نراك من المحسنين**
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] انا يوسف [illegible] يعقوب [illegible]
[illegible] السجن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فان قلت

تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقدم القرآن وتأخيره وذهب الى ان ذلك ليعلم متصل
بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن والقد لعقب النظم روايات موضوعة عن عمر ان يوسف حين قال اني لم اخنه
بالغيب قال جبريل ولا حين هممت بها وذا قالته امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك انما نكلم على محمد الله
ورسله
تعالى استخلصه واستخصه اذا اجعله خالصا لنفسه وخاصا به **فلما كلمه** وشاهد منه ما لم يحتسب **قال انك**
اليوم لدينا مكين امين ذو مكانة ومنزلة مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول اتاه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله
قال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل
البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال
اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال له ما هذا اللسان قال لسان عمي
[illegible]
[illegible]
[illegible]
قال اجعلني على خزائن الارض [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

الى الضمائم بالاحكام ... ان شاء الله ... ارجع ... ان شاء الله

المشيئة بالرجوع مطلقا ... ان شاء الله ...

الكلام ... ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتأخير ...

... كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله ...

... عادة الناس ...

[illegible]

منه وقوله يدبر الامر يفصل الايات خبر بعد خبر ... من ذكر الايات ...

يرونها لها السموات ... رفع السموات بغير عمد ترونها ...

المفصل الايات ... لعلكم بلقاء ربكم توقنون

[illegible]

والثقال جمع ثقيلة لانه يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امراة كريمة ونساء كرام **ويسبح الرعد بحمده**
ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يصيحون سبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال اللهم لا تقتلنا
بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك ومن ابن عباس ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من
الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة
الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم **والملائكة من خيفته** من خيفته واجلاله